سلسلة و الموتى يتحدثون أيضاً

العدد الأول

د. محمد الشيخ

طبيب شرعي

وللجثث رأيٌ آخر



شهرزاد للنشر و التوزيع

والموتى يتحدثون أيضًا

للجثث رأي آخر

سلسلة: والموتى يتحدثون أيضًا (للجثث رأي آخر)
المؤلف: د. محمد الشيخ
الطبعة: الرابعة
سنة الإصدار: ٢٠٢٠
تصميم الغلاف: محمد محسن
المراجعة اللغوية: معاذ خالد رجب
التنسيق الداخلي: هند محمود
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٨١٧٢
الترقيم الدولي: ٤-١٠-٦٧٦٣-٩٧٧-٩٧٨



شهرزاد للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
القاهرة
هاتف: ٠١٠٩١٧٤٤٥١١.
shahrazadpub@gmail.com

إهداء

إلى أبي، ذاك الراحل النبيل الذي كان يهدئ روع الياسمين في الدار، فيغار القرنفل، ويتسارع الفل إلى مصرعه عند قدميه..

ذاك الذي كان في بياض القطن موسم الزهر، لا همَّ له سوى سعادتي..

ذاك الذي كان في شموخ النيل موسم الفيض، أعظم هزائمه أن يترقرق ماء عذبًا فراتًا.

هذه سلسلة كتبي الأولى حبيبي، أهديها كلها لك لتقرَّ عينك.

سميتها «والموتى يتحدثون أيضا»، تُرى هل تُعجبك؟

فوحدي أعلم أن للموتى آذانٌ أيضًا، والمقابر لا تنام.

فقط أريدك أن تعلم يا حبيبي أنَّ وجودك كان جنتي الخالدة، وأن رحيلك كان فجيعتي المؤكدة، وأنني هنا لك وحدك أحكي، وأنه لك أساسًا خُلقت الحكايات.

محمد

مقدمة

عندنا في «مشرحة زينهم»، حيث الموت ليس فجائيًا كالأمطار؛ هو يطل عليك من منصات التشريح، من الملابس المتناثرة، من النوافذ الباكية، من العظام المحطمة، من الطرقات المختنقة بالدم، من الحوائط النابضة بالقهر، من النسوة المنتحبات المتشحات بالسواد...

الموت هنا ليس فجائيًا أبدًا، بل الحياة هنا هي التي تأتي فجأة!

ويعلم الجميع هنا أن الموت حق والحياة باطلة، وأن الأنسان مهما عاش لا يعيش إلا ليموت، ومهما تحدث وصرخ فمصيره إلى سكوت، ومهما ملأ الحياة فرحًا فلا بد أن يأتي يوم وتشهق المأساة في كل البيوت، ونعلم أن الموت صديق طيب مترفع، على الأقل هو يرفع عنك ضرر الحياة، وأنت ونصيبك في الآخرة.

في حياة الناس تتكاثر الحكايات، وفي حياتنا تتناسل الجثث، الموت مقيم داخلنا، على أسنة مشارطنا، في برودة أيدينا، مفاجآتنا، تهكمنا المر، فوضويتنا الدائمة، نعمل ونحن نعلم أن كلًّا منا ميت سيلقى حتفه حتمًا بين جثتين.

عشنا أعمارنا على وجع، عابري موتى، مسافرين دائمًا، وفي انتظار راحة السفر الأخير.

كلنا استثناء..

يستحيل أن تجد آخر يشبهنا، فنحن أيضًا كالموت، لا نأتي -أبدًا- مرتين.

حسنًا، مساء الفرح على الأموات جميعهم.

مساء عبر المساءات.

مساء الحكايات الآثمة التي لا تُكتب إلا ليلًا، ولا تُقرأ إلا ليلًا.

على مدار عشر سنوات من استنطاق الجثث، هناك جثث تحب البوح وكشف أسرارها، وهناك جثث تفضل الصمت مؤمنةً أن دورها انتهى في هذه الحياة، وأنّ أي طبق شهي للبوح لا يخلو من توابل الرياء، وأنّ الصمت عند الموت هو أكثر حديثنا صدقًا.

حسنًا، لهم ما أرادوا.

ومساء الورد عليهم جميعًا.

ومساء الورد عليكم أنتم أيها القراء.

مساء الورد يا رسالات حبٍ بيضاء قادمة من السماء.

مساء الغموض عليكم، مساء الجنون.

كم وددت وأنا أتذكر هذا الكم الكبير من الجثث الآن أن أرسل إليكم أحد الأرواح لتوشوش في آذانكم أني أحبكم، دون أن تنهروها تمامًا.

هنا مشرحة زينهم.

ومساء الجنون عليكم، مساء الرعب، مساء طلتكم الرائعة وأنا أضع كتابي الأول بين أيديكم فوجدتكم على مقعد الذهول المقابل لحكاياتي، مساء الحب الأول يوم تعثر قدري بكم وبالكتابة، فقررت أن أقيم!

محمد

الحكاية الأولى

دي قصة افتتاح الكتاب، وحبيت أفتتحه بحاجة حصلت بعيد عن المشرحة.

القصة دي الحمد لله إنه نجاني منها، ويمكن القصة دي ليها كل الفضل إني أعرف أي دجال أو مشعوذ بمنتهى السهولة، وكمان ليها الفضل إني أكون أنا، محمد اللي مسح من قاموسه أي معنى للخوف.

أحمد كان صديقي أيام الجامعة وما زال، كلية طب طنطا.

كنت في الوقت ده مشهور جدًا في الجامعة برئيس أسرة المستقبل وأدمين منتدى ماجيك دكتورز والرحلات والهلس والمسخرة، وكمان زادت شعبيتي لما رفضت إني أكون أمين إتحاد الطلاب لأنه منصب مسيس وغير محايد ولا صاحب رأي.

في الوقت ده ناس حاولت تقرب مني بدافع الحب او الإعجاب أو الاستطلاع، ويمكن الكره.

اللي بيكرهك هو كمان هيقرب منك، مش شرط كل اللي بيقرب منك يكون بيحبك، فيه ناس بتقرب منك بخبث عشان تسرق ضوءك ونجاحك، وناس بتقرب منك بحقد لأن ضوءك كشف عيوبه، وناس بتقرب منك عشان تعيش عمرها كله بهدف إثبات عدم شرعية نجاحك، في وسط كل الناس اللي اتعرفت عليهم في الوقت ده كان أحمد، وأحمد شخص لذيذ جدًاا وطيب، ومقبول على المستوى العام، فيه بعض العيوب لكن كلنا فينا عيوب، اتصاحب عليا جدًا جدًا، بقى ييجي بيتي واروح بيته، وأنا بحب أصحابي جدًا.

فجأة اتغير حاله تمامًا، كنا في آخر سنة امتياز، حاله اتقلب، بعد تمامًا عن كل الناس، تحت عينيه بقي أسود بشكل مرعب والولد بقى شكله أقرب للشبح، مبيجيش الكلية أساسًا، ولو روحتله ميرضاش يقابلني.

رحت تانى وتالت وخامس من غير ما أقابله، في يوم وأصريت إنى أقابله باي شكل ومرضيتش أمشي، وانفعلت جدًا على أهله وقولتلهم: شوفوا ابنكو ماله وكان عندهم برود. لكن أنا كنت أعرف من حكايات أحمد إنهم عيلة مفككة وكل واحد في حاله، لكن كنت متعجب جدًا جدًا ازاى يسيبوا ابنهم يوصل للمرحلة دي، وإيه وصله لكده، لكن زعيقي تقريبًا لم الناس في الشارع، ووقتها كنت مندفع جدًا، فتقريبًا بقت شبه فضيحة عندهم وبقى كل الشارع بيسأل هو فيه إيه؟

تانى يوم أحمد اتصل بيا وزعق معايا جدًا، وهددنى لو رحت عندهم تانى، فرديت بعنف وقولتله: أنا عشان العيش والملح مش هسيبك تضيع نفسك لحد ما أعرف فيه إيه، قالي بغرابة شديدة وبلهجة كلها غل: وأنا هعرفك أنا هعمل فيك إيه!

وخد عندك بقا.

أول يوم أوضتى بدون سبب ولعت وكل هدومى اتحرقت ولحقنا البيت بالعافية، بعدها بدأ حالي يتغير تمامًا!!! كسل رهيييب، مش بتحرك تقريبًا، عدم رغبة إطلاقا في الأكل أو الشرب، ضعف عام وصداع. كل ده كان تفسيره بالنسبة لي عادي دور تعب وإرهاق، اللي مكانش ليه تفسير بالنسبة لي حاجة تانية تمامًا، وغريبة جدًا.

انا كان دايما ليا أوضة لوحدي فوق خالص في آخر دور في عمارتنا منفصلة تمامًا عن الكل عشان أعيش براحتى. عمار عارف كده. والسياعي ده أنتيم عمار وجاري، العمارة في العمارة كل ما أطلع أوضتى ألاقيه قاعد على الكمبيوتر بتاعي!

فكان بيحصل معايا التالي:

اجيب مثلا قنوات مسيحية زي قناة أجابي مثلا وأسرح قدامها من (١٠) الصبح أبص في الساعة ألاقيها ستة المغرب! ازاى أنا معرفش!

(٨) ساعات فاتوا بلمح البصر وأنا صاحى ومش عارف أنا بشوف إيه أساسًا!

في أعياد الأخوة المسيحيين أجيب القداس وأسرح تمامًا لكام ساعة لحد ميخلص معرفش عدوا ازاى ولا فاهم بيقولو إيه!

أنزل ألف بالعربية في الشوارع وفجأة أفوق وأنا قاعد جوه كنيسة من الكنائس في طنطا. أنا بطبيعتي عندي يعني شبه انتماء ديني كده، أو بمعنى تانى أحب الصالحين ولست منهم، يمكن بسبب حفظي القرآن كاملا في سن صغيرة أوي.

قلقت جدًا، مقلقتش من التعب، لكن قلقت من موضوع المسيحية والكنائس ده. وكنت وقتها، آه قلبي جامد شوية ومبخافش، لكن كنت بقلق زي أي حد لما يحصل حاجة مش فاهمها ولا مستوعبها.

رحت لشيخ عندنا فضيلة الشيخ (عبد العزيز رسلان) قالي: معمول ليك سحر، إداني آيات وأدعية قالي: تقولها قبل النوم على وضوء وتنام هتعرف الحقيقة.

قلتها فعلًا ونمت، أنا بطبيعتي مبحلمش إطلاقا، وكانت من المرات النادرة اللي حلمت فيها، وكان أبشع حلم شوفته في حياتي.

أرض قذرة أشبه بالخرابات كل شيء فيها مرعب ومقزز، كل أشكال القاذورات في كل مكان، ورائحة عفن قاتلة في كل مكان، موتى يتم تعذيبهم، معلقين من أعناقهم بخطاطيف حديدية ويتم تقطيع لحمهم بسيوف، ناس عايشة في زيت مغلي صرختها تقفل ودنك، ناس بينداس على راسها من كائنات ضخمة فتتحطم الجمجمة تمامًا وتتساوى بالأرض، وينتشر الدم وأجزاء المخ في كل مكان، أشكال رهيبة من العذاب لكل الموجودين، آلاف الأشكال، وأنا في مكان فوق بتفرج وفي حالة رعب مهولة، وكل شوية حراس يجيبو واحد عندي في المكان العالي ويرموه في الأرض ياخد دوره من العذاب.

وفجأة لقيتهم جايبين أحمد، وعاوزين يرموه من عندي، وكان نفس الشكل اللي شوفته فيه آخر مرة، نفس الشكل تمامًا مع إضافة بسيطة، إن ريحتة كريهة بشكل لا يوصف، وقفت أتحايل عليهم ميرموهوش، قالولي: ازاي وهو اللي أذاك! بصيت لأحمد قولتله: أذيتنى ازاي؟ سكت، ردوا قالولي: عملك سحر بجن مسيحى ونقشه على صليب. كنت مذهول بس مش فاهم حاجة، قلت لأحمد إنت عملت كده؟ سكت، قولتلهم: طيب لو أنا سامحته هتسيبوه، قالوا: هنسيبه هنا، لكن لو فضل في طريقه مش هنسيبه هناك، إنت تقدر تلحقه وتلحق غيره.

صحيت فجأة من النوم مذهول على موبايلي يرن باستماتة، وصوت آذان الفجر (الله أكبر) وأنا أؤمن بالقدريات جدًا، لقيت أحمد بيتصل، ودي المرة الـ١٤ اللي يتصل فيها باستماتة مكونتش قادر أرد من حالة عدم الاستيعاب اللي أنا فيها، حالة ذهول، من اللي شفته واللي صحيت عليه، تمالكت أعصابي رديت.

- ألو.

- بكاء بنحيب رهيب على الطرف الآخر مع كلام متقطع كل اللي فهمته منه شكرًا إنك سامحتنى أنا محتاجك جنبي أوى.

- أنا جايلك حالا.

أحمد كان ساكن في بلد تابعة لطنطا تبعد عني (١٥) كيلو، نزلت بهدوم البيت، كنتُ ماشي بالعربية على سرعة (١٥٠) في طريق داخلي كله مطبات. وكأني رايح أنقذ حد بيموت

وصلت عند البيت لقيته واقف على الباب بيكاء، خلى هدومه كأنه واقف في مطر شديد بقاله ساعتين وعينه كأنها دم مش عين.

أخدته في العربية ويعدت. لا أنا بتكلم ولا هو بيبطل بكاء، قطعت الصمت وقولتله: تعالى نصلي الفجر، ازداد بكاؤه، وقالي: مش هينفع!

فضلت ماشي على طريق أستاد طنطا لحد ما وصلت لأراضي شاسعة مزروعة، ركنت.

كان النور بدأ يطلع.

نزلت قعدت قدام العربية، على الارض وناديته، جه قعد وكان بدأ يتماسك من الدموع، قولتله: احكيلي يا أحمد، مد إيده في جيبه وطلع كيس أصفر إداهولي وقالي: إديه للشيخ عبد العزيز يقرا عليه ويحرقه.

رديت باستغراب وذهول، إنت تعرف الشيخ عبد العزيز منين؟ قالي: أنا كنت بعرف كل حاجة بتعملها في لحظتها، فتحت الكيس لقيت جواه صليب خشب عليه رموز وأرقام، فهمت، مرضيتش أجرح فيه أكتر، واضح إنه كان منتهي، قولتله: إيه اللي وصلك لكده يا أحمد؟

أخد نفس عميييييق وبدأ يحكيلي:

اللي جاي ده لازم تفهموه كويس جدًا، لازم تعرفوا اللي بيقولوا: عليهم روحانيين، ومعاهم جن مسلم، وبتوع ربنا بيعملوا إيه عشان يوصلوا إنهم يبقى عندهم خدمة من الجن، لازم تعرفوا إن أي حد يقول: على نفسه روحاني، ده دجال وكافر.

أحمد كان مع ناس أصحابه من بلده، الناس دول قالوله: ده فيه شيخ روحاني اسمه (الشيخ جابر) بيعرف كل حاجة في الدنيا وممكن يقولك: إيه اللي هيحصللك قدام! وعاوزين نروحله، فضل يضحك ويتريق وقرروا يروحوا من باب الفضول والهزار.

جابر ده ساكن في بيت عبارة عن غرفة واحدة ومكان للقعدة كبير، من دور واحد، سقفه خشب مبنى في أرض زراعية تبعد عن العمران حوالي (١٢ كيلو) يعنى منطقة مقطوعة تماااااما، أخدوا عربية واحد زميلهم وراحوا، كانوا أربعة، تلاتة مؤمنين تمامًا إن ده رجل روحاني، وبيعرف الغيب والرابع اللي هو أحمد شايف إن كل ده كذب وتهريج.

خبطوا على الباب ودخلوا.

نادى جابر على كل واحد منهم باسمه واسم أمه، وقعدهم قدامه، أحمد بقا في حالة ذهول. بدأ يخاف، وجابر بدأ يتكلم مع واحد واحد، ويقوله: على مشاكل في حياته بمنتهى الدقة، لحد ما جه دور احمد، لقاه بيقوله: إنت بقى مش مصدق إنى أعرف كل شيء، وبدأ يحكي لأحمد أدق أسراره الشخصية، أدق أدق أسراره، أحمد بدأ يعرق ويخاف وعاوز يمشي، جابر جابله عصير برتقان وقاله: اشرب بس واقعد، شرب ويا ريته ما شرب.

من لحظة ما شرب العصير وجابر أصبح ليه سلطة مطلقة عليه، مشيوا من عنده وأحمد شبه متخدر، مش واعي للي حواليه ومش شايف قدامه غير عيون جابر المرعبة والسواد اللي تحتها. بعدها بدأت سيطرة جابر عليه، بقى يستدعيه من غير أي وسيلة اتصال، أحمد يقوم فجأة من مكانه كأن حد بيحركه يمشي (١٢) كيلو على رجله لحد ما يوصل لجابر، فيزعقله إنه اتأخر! بدأ جابر يتكلم معاه، إداله كتاب تعاويذ نسخة أصلية، وبدأ يعلمه طقوس معينة، أجبره ميروحش الكلية ويبعد عن أي شيء يخص الدين.

أحمد زي المتخدر بقى يعمل كل اللي يتطلب منه وينفذ تعليمات جابر ويقول: تعاويذ الكتاب، ولكن مكانش فيه أي حاجة بتحصل ولا التعاويذ بتعمل شيء.

راح لجابر كالعادة لما استدعاه وسأل جابر ليه التعاويذ مبتعملش أي حاجة، جابر قاله: مش هتعمل إلا لما أديك الإذن وتدخل الخلوة، قاله: يعنى إيه؟ رد جابر قاله: لازم تسلم نفسك ليا تمامًا، لازم تعاهدني عهد إنك خاضع تمامًا ليا وتنفذ أمري بدون مناقشة. وأي مخالفة مصيرها الموت، بعد تردد ولأنه مسلوب الإرادة، أحمد قاله: أعاهدك، رد جابر بكل ثقة، اسجدلي.

أحمد أخد عشر ثواني واقف، بعدين سجد تحت رجل جابر، وجابر حط رجله على راس أحمد وضغط عليها، أحمد بيقسم إنه لما رفع راسه كان وش جابر وش شيطان أسود وعنيه بااااارزة تمامًا للخارج ورقبته وصدره من فوق أحمر دم، بيقول: كان منظره مرعب، مرعب، لدرجة إن أحمد بقى يخاف ويترعب منه، وينفذ أوامره دون لحظة تفكير، وبعضها أوامر جنسية قذرة لا داعي لذكرها، بعد فترة قال: لأحمد، قول: لأهلك إنك رايح مكان لمدة (١٠-١٥) يوم وتجيلي يوم (١٤) في الشهر العربي، فسأله يجيب ليس معاه، قاله لأ، متجيبش أي شيء.

يوم (١٤) أحمد راح ليه، قاله إنت هتدخل الخلوة النهارده بالليل، هتدخل الأوضة دي مقفولة عليك وضلمة تمامًا، مش هتخرج من بابها إلا بعد (١١) يوم بالعدد. أنا هاجي أفتحلك. هتاخد بس معاك تمر. هديهولك، (٩٩) تمرة، كل يوم (٩) تمرات فقط لا غير، وإزازتين ميه، كل يوم كوباية فقط لا غير، قاله والحمام؟ قاله تعمله في أي ركن في الأوضة وممنوع تغتسل بأي مية بعد الحمام طول مدة الـ(١١) يوم، وكل يوم تعمل استمناء في هدومك، وإداله آية قصيرة جدًا في القرآن، وقاله: طول الوقت وإنت صاحي تقرأ الآية دي، لكن بالمقلوب، طلب منه يعكس كلماتها، وعلمه يقولها ازاى، وقاله في آخر ليلة هيظهرلك الخدمة، اوعى تخاف، هيحاولو يخوفوك، اوعى تخاف لحد ما يظهرلك الروحاني الملاك، هيعلمك كل شيء، وأي حاجة يطلبها تقول: موافق، وأنا هاجي أفتحلك بالليل، أخد جابر من أحمد موبايله قفله، واداله التمر والميه ودخله الأوضة اللي كانت ضلمة كحل من غير أي شباك، وقفل عليه بمفتاح وقفل وساب جابر البيت ومشي.

تكمل...

والكلام لأحمد:

قالي: بدأت أعمل اللي قالهولي بالظبط حرفيا. وأقول: الآية بالمقلوب، وآكل التمرات، وأشرب كوباية ومفيش أي غسل بعد الحمام وأقوم وأنام لحد ما ريحتي وريحة الأوضة أصبحت لا تطاق وكنت برجع التمر اللي باكله فازداد الموضوع سوءًا وقذارة، ومستني آخر ليلة بفارغ الصبر، ومعرفش أصلا فات أد إيه! وأنا في اليوم الكام؟ لحد ما وصلتلها. بيقولي: أنا أكتر حاجة بخاف منها التعابين، بترعب منها.

ويقول: قاعد في ركن الأوضة كاره نفسي وفجأة الأوضة كلها نورت نور عالي جدًا. ولقيت تعبان بحجم مهوول بيزحف ناحيتي وبيعمل صوت فحيح، كنت هاصرخ، افتكرت كلام جابر اوعى تخاف. فضلت قاعد مكاني بتنفض وبحاول مركزش معاه، لحد ما وصل عندي وحرك راسه على رجلي، وأنا قلبي هيقف، لكن فضلت متماسك، وفجأة اختفى، والأوضة نورت أكتر من الأول بكتير جدًا، وظهر في آخرها راجل جميل جدًا جدًا، بملامح ملائكية، وجه بريء، ودقن بيضاء رائعة، ووجه كالقمر، وقالي: السلام عليكم، رديت عليه السلام، قالي: أنا أخوك الملاك الروحاني طهطائيل، وأنت نلت خدمتنا ببركة سيدك جابر، وقد حددت لك خمس أفراد للخدمة، وسنتفق على إشارة بيننا عندما تحتاج أحدهم أرسله لك. بيقولي: بيتكلم بالعربية الفصحى بصوت هادي ومؤثر جدًا. خلاق فعلًا اتأثرت بيه، وإدي لاحمد خاتم قاله: البسه وعندما تحتاج أحد لف الخاتم في إصبعك سيأتي إليك وينفذ أوامرك ولن يراه غيرك، ولكن بشرط أن نأخذ منك العهد أولا.

أحمد قاله: عهد إيه؟ قاله: من اليوم إنت لست أحمدًا، أنت اسمك (الشيخ صابر) ومطلوب منك أشياء تنفذها، أسقطنا عنك فريضة الصلاة، فلا تصلي أبدًا، وإن اضطررت للصلاة أمام أحد فصلي بدون وضوء، وأسقطنا عنك فريضة الصوم فلا تصوم أبدًا، وأحللنا لك جميع النساء حتى محارمك فيجوز لك التمتع بأي منهن، ومطلوب منك إفساد أي علاقة زوجية ما استطعت لأنها ليست شرعية ومبنية على قوانين باطلة، فهل وافقت، افتكر أحمد كلام جابر وقاله: وافقت، قاله: هناك طلب أخير تنفذه الآن فإن نفذته بدأنا خدمتك وأخذت العهد، أحمد قاله: إيه هو؟

أحمد سأله إيه الطلب؟ إداله مصحف وطلب منه يقطع ورقه ويدوس عليه بالشبشب، وعمل كده.

قاله: الآن نحن معك، اطلب تجاب، هل تود زيارة أي مكان، اختار أي مكان في العالم، أحمد قاله: المغرب، قاله: قم تحرك ثلاث خطوات، قام اتحرك لقي نفسه في المغرب في قلب الدار البيضاء، وشايف كل شيء فيها والناس مش شايفاه، وطلب منه يرجع تلات خطوات رجعهم فرجع للأوضة تانى، قاله: الآن أنت من أصحاب الخطوة وهذا أقل شيء، انظر إلى أعلى، بص أحمد لقي السما كلها مضيئة ومكتوب عليها حروف كتير لكن مش واضحة. سأله إيه ده؟ قاله: اللوح المحفوظ، وبعد فترة سأعلمك قراءة الغيب من عليه، الخاتم معك لو احتجتنى، سأذهب الآن، ومشي.

أحمد بيقول: قعدت ليلتها في شعور غريب، على أد ما أنا كاره نفسي، على أد ما أنا كنت موهوم وحاسس إنى ملكت الدنيا كلها وبقى معايا خدم يخدمونى في أي شيء.

عرفتوا بياخدوا الخدمة ازاى اللي بتقولوا: عليهم شيوخ روحانيين؟

دول كفرة اشتروا دنيتهم بآخرتهم.

اقرأوا الآية دي بكل جوارحكم، بكل قلوبكم، وأنتوا تعرفو مين الملاك الروحانى اللي ظهر ليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}

[البقرة: ١٠٢]

صدق الله العظيم

عرفتوا مين؟

عرفتوا مصيرهم؟

ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون.

الصبح جابر فتح الباب، أحمد كان خارج ريحته وريحة ملابسه لا تطاق، جابر خلاه اغتسل وإداله لبس من عنده، وقعد معاه فضل يعلمه يؤذي الناس ازاى.

من يومها وأحمد بقا يتفنن في أذى الناس اللي ضايقوه في حياته، كلها باستخدام كتاب السحر والخاتم وتعليمات جابر، يحرق لده بيته، يدمر لده حياته، يجنن لده مراته، كم أذى هو نفسه مش فاكر عدده، لحد ما رحت عند البيت وزعقت فقرر يأذيني أنا كمان.

أحمد رغم كل ده كان حاسس إنه ضعيف وإنسان قذر وحقير واكتشف إنه لا ملك الدنيا ولا شيء وبدأ يكره القصة كلها ويكره جابر.

واجه جابر وقاله: أنا عاوز أبطل القصة دي، وأرجع لحياتي وخد الخاتم، جابر هدده وقاله: إنت عارف مين اللي معايا، لو طلعت من القصة دي أو قلتها لحد هقتلك هتكون نهايتك عندي، وده العهد.

كل الأحداث دي دارت لحد يوم الحلم بتاعي اللي احنا فيه، سألته طيب إنت حكيتلي دلوقتي ومعملش ليك أي شيء ليه؟

قالي: عشان جابر مات من كام ساعة.

مات ازاى؟ رد أحمد مات ومرمي هناك زي الكلب، قولتله: إنت شفته؟ قال: لأ لكن الجن عرفني وأنا لقيتها فرصتي أخلص من كل شيء لأنه مش هيقدر يأذيني.

في اللحظة دي بقيت حاسس إني مش واعي أو بحلم، أو هو إيه اللي بتقوله ده، وخاصة إني كنت طول الحكاية بقول: ده مريض نفسي وبيهزي، قولتله: تعالى نروح نشوفه، وأنا متوقع إنه هيرفض لأن مفيش حاجة كده، إلا إنه قالي: بكل هدوء يلا، بس أنا مش هدخل، قولتله: مش هتدخل ليه؟ قالي: عشان هو هتلاقي شكله زي الشيطان، وأنا بخاف من الشكل ده، بقى عندي يقين إنه مريض نفسي.

ركبت العربية واتحرك معايا يوصفلي الطريق، ولقيت في الأرض بيت نسخة طبق الأصل من اللي أحمد وصفه. أول ما قربت منه رائحة لا تطاق، لا تطاق، ووقتها مكونتش اتعودت أبدًا على الروائح دي.

دخلت، تماسكت، وصورت بموبايلي، شفت المنظر اللي قدامكو ده، بالظبط.

بعد الموقف ده خرجت ورجعت البيت، أخدت أحمد معايا، رحت للشيخ عبد العزيز، قرأ عليا وعليه، روحنا وشاف كل واحد منا رؤيا.

أحمد شاف إنه نجا من العذاب وشاف جابر بيتعذب.

أنا شفت إني مطلوب مني أرجع حقوق المظلومين.

صحيت من النوم على اتصال واحدة صديقتي اسمها علياء بتقولي: إنها هتقدم في الطب الشرعي لأنهم طالبين عدد ٤ أطباء شرعيين وعاوزاني أقدم معاها.

اشترطت إنها تجمعلي ورق التقديم، روحنا بعدها بأسبوع عملنا اختبارات متتالية، كنا حوالي (١٦٠٠٠) طبيب، ومطلوب منهم عدد محدود جدًا فقط لا غير.

الجميع كان معاه واسطة قاتلة حتى علياء، وأنا كان معايا الرؤيا اللي شفتها لا غير، ورفضت أي واسطة.

وكنت الاسم الأول بين الناجحين!

من يومها، لا يوجد في قاموسي كلمة رعب، وما يخافه الناس بجنون، هو بالنسبة لمحمد، كوميديا، كل الكوميديا.

الحكاية الثانية

القصة دي عارف إن معظم الناس مش هتصدق، أنا نفسي لو كانت القصة دي اتحكت لي ما كنتش أصدقها بسهولة، ولو كانت حصلت ليا وحدي كان ممكن أعتبر نفسي في حلم، أو بتخيل أشياء من التوتر والضغط النفسي، أو يمكن أكون واخد حبايه الفيل الأزرق، لكن بما إن كان فيه غيري شخصين حضروا القصة بكل تفاصيلها فكان لازم أصدق، ولحد النهارده كل ما نتجمع إحنا التلاتة بنفتكر أحداثها بنفس الذهول، نبدأ...

***

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: سبتمبر ٢٠١٦.

التوقيت: العاشرة والنصف ليلًا.

في الأول لازم تعرفو سيستيم الشغل عندنا بيكون ازاى، بيكون فيه بلاغ بحالة جنائية، بتتحرك الشرطة فورًا تعاين، بعدين تستدعي النيابة تعاين، بعدين يبعتولنا الجثة المشرحة ومعاها قرار تشريح، وأحيانا بتيجي الجثة من غير قرار وتفضل في التلاجة لحد القرار ما ييجي، والقرار ده بيوصل مع موظف نيابة، أو أمين شرطة، وأحيانا مع الأهالي، والجثة بتيجي في سيارة إسعاف وفي حالات نادرة جدًا بتيجى في سيارة الأهالي، الجثة لما بتوصل بيستقبلها فني التشريح الموجود في أوضة ملحقة بمبنى المشرحة من الخارج، يدخلها ويسجل بياناتها، ولو معاها قرار تشريح بيستدعي الطبيب النوبتجي عشان يشتغلها، وفني التشريح في اليوم ده كان اسمه (شعبان) وده الديب هربان منه تماما.

في الوقت ده أنا كنت هسافر أمريكا بعد أيام، في مهمة رسمية فالريس قال: لازم أخلص القضايا اللي معايا قبل ما أسافر عشان متتأخرش القضايا عندنا (الريس بتاعنا إحنا اللي قال، الريس التاني مبيقولش بيعمل على طول). فقررت إني مش هشتغل أي قضايا تاني عشان أخلص اللي معايا، ووقتها الريس كان مُصر إني أبات في المكتب بتاعه؛ لأن كان فيه اجتماعات ومؤتمرات كل يوم الصبح خاصة بالعلاقات العامة، والإعلام للطب الشرعي مع جهات أجنبية وأنا بالمناسبة مدير العلاقات العامة والإعلام، وكان مُصر على كده خاصة إنه عارف كويس إن أنا لو روحت نمت في البيت يوم السبت؛ على وعد إني هاجي الصبح بدري فبتصل بيه التلات بالليل أقوله: (صباح الخير)

وبالتالي أنا الشخص الوحيد (الحي) اللي متواجد في مبنى مشرحة زينهم الست أدوار مع حوالي (٣٠٠) جثة و(٥٠٠٠) عينة أعضاء من جثث.

الساعة تسعة بالليل قاعد في المكتب بكتب القضايا وزهقان، اتصلت بشعبولا قولتله: لو جت حالة اتصل بيا أنا هنزل أشتغلها عشان زهقان.

الساعة عشرة ونص بالليل تقريبًا اتصل بيا شعبان: أيوه يا ريس (ودي كلمة بتتقال عندنا للي فوقك عشان محدش يفهمني غلط)، فيه حالة جت.

- سألته ظروفها إيه يا شعبان؟

- قالي: بنت سورية أختها بتقول إنها منتحرة بس أختها حلوة أوي يا ريس.

الديب هربان منه.

- طيب يا شعبان، جهزها وأنا نازل.

هنا بقى لازم تفهمو المشرحة مبنية ازاي عشان تفهمو اللي هقوله.

المشرحة ليها مدخل واحد بس من داخل المبنى، بيدخل منه العاملين فيها، أما الجثث بتدخل عن طريق باب خلفي. الباب ده حديد مصفح، وفيه فتحة تسمح بدخول الجثة بس، وممنوع مخلوق يدخل جوه، وفيه شباك حديد بنتكلم منه مع أي حد موجود لو حبينا نتكلم، فيه جوه قاعتين تشريح كبار كل قاعة فيها ترابيزتين تشريح، جنبهم التلاجات اللي متقسمة على هيئة أدراج هحاول أنزلكم صورة ليها. كل درج من دول

بيتفتح ويتحط فيه الجثة، آخر المشرحة فيه غرفة صغيرة فيها واحد اسمه الشيخ (سعيد وزوجته) وده هو اللي بيقوم بعملية الغسل والتكفين بعد التشريح، الغرفة دي ليها باب صغير جدًا، ومعزولة بباب حديد عن المشرحة عشان لو حد من الأهالي حب يحضر الغسل، بعدين بتتسلم الجثة للأهل من نفس الفتحة اللي دخلت منها، عاوزكوا تتخيلوا الشكل كويس.

هاتلي يا شعبان أختها، شعبان نده عليها، جت وقفت عند الشباك الحديد، قالها الدكتور عاوز يتكلم معاكي، مردتش.

بدأت كلامي كالمعتاد، البقاء لله هو إيه اللي حصل؟

- قالت بكل برود: انتحرت.

البنت كانت جميلة جدًاااا، الجمال اللي بيبهرك، وأنا راجل بيقدر الجمال الصراحة، وفي نفس الوقت باردة جدًااا، مفيش أي إيموشنز في تعابير وشها، لكن جمالها خلاني أركز معاها الصراحة.

كانت لابسة شيميز مقلم أبيض في أسود، طرحة على الاستايل السوري لونها تريكواز، وجينز أزرق.

وهنا عاوزكو تعرفو إن الطبيب الشرعي حياته كلها الملاحظة والتفاصيل، لدرجة بتشغل كل حياته، فبيلاحظ أي حاجة مهما كانت صغيرة أو ملهاش لازمة، ودايما مؤمنين إن الشيطان يكمن في التفاصيل.

المهم، قولتلها انتحرت ازاى؟

- دبحت نفسها.

- بسهولة كده؟

- آه.

- غريبة، وانتى كنتى فين؟

- مكونتش موجودة.

- وإيه عرفك إنها دبحت نفسها؟ ما يمكن حد دبحها؟

- لا أنا عارفة إنها دبحت نفسها، هي قالتلي: إنها هتعمل كده.

(البنت بتتكلم ببرود رهيب غير طبيعي، مفيش أي تعابير ظاهرة على وجهها إطلاق حاجة غريبة جدًا، لا ابتسام، ولا دموع، لا حزن، ولا فرح، حاجة كده كأنه ميت بس بيتحرك وبيتكلم).

- فين السكينة اللي دبحت بيها نفسها؟

- الشرطة أخدوها.

لسه أنا في حالة حيرة بين جمال البنت، وبرودها، وقولتلها: انتى جيبتيها هنا ليه وازاى؟ قالت: أنا جيبتها عشان تغسلوها وتكفنوها وشيلتها حطيتها في عربيتى وجيبتها هنا.

- بس انتى هدومك معليهاش دم؟!

- لما نزلتها طلعت غيرت هدومي.

- بدأت أشك وقولتلها: فين عربيتك؟

- وديتها مغسلة.

ردود باردة ومستفزة لأقصى درجة ممكنة.

قولتلها: طيب بصي يا ماما، دي لازم تتشرح، وعشان تتشرح لازم قرار من النيابة، والنيابة تعاين. قالتلي: ما النيابة عاينت وأنا اديت للأستاذ قرار النيابة، شعبان ادهولي، قريته بسرعة صحيح ومختوم، قولتلها: والشرطة مجابتهاش هي ليه ما دام النيابة عاينت وكل شيء؟ قالتلي: هما مشيو عشان يبعتو إسعاف فأنا جيبتها وجيت.

قولتلها ماشي، هنشرح ونشوف

ردت بنفس البرود، وكأنها بتدينى أمر، أنا مش عاوزاها تتشرح.

قولتلها: ده مش بمزاجك، مرديتش. اتفضلي اقعدى وأنا هناديلك لو احتجتلك.

شعبان ادالها باسبور البنت بعد ما أخد البيانات، وطلب منها تصوره في أي مكتبة وتجيبه.

- البت دي مش مريحاني يا شعبان.

- بس حق الله فرس يا ريس.

الديب هربان منه تماما.

- قولتله: طيب يلا نشتغل.

لبسنا الجوانتيات، جاب البنت، حطها ع الترابيزة، بسم الله.

بشيل الغطا من عليها.

أعاااااا، دي هي البنت اللي بره؟؟؟

شعبان: آه صحيح شبه الفرس يا ريس.

نسخة طبق الأصل من البنت اللي بره بس اللبس مختلف، مش قصة إخوات، لا، ده توأم متطابق حاجة كده زي حسام وابراهيم.

(بدأت الريكوردينج)

«الجثة لأنثى في بدايات العقد الثالث من العمر، متوسطة القامة والبنية، ترتدي تي شيرت أبيض اللون، وبنطال جينز أسود اللون، وحمالة صدر بيضاء اللون، وسليب داخلي حريمي أسود اللون، وطرحة سوداء، حافية القدمين، والملابس جميعها عليها آثار دماء، وخالية من القطوع والتمزقات المشتبهة، والجثة في حالة بداية التيبس الرمي، وعلامات التحلل لم تظهر بعد، وقد تبينًا (نمل) يخرج من الأنف والأذن (النمل ده بنشوفه في حالة جثة اترمت في شارع، أو مكان فيه نمل كتير أوى لمدة يوم ولا اتنين خاصة لو طفل لقيط، لكن البنت دي ميتة من ساعات، وهدومها معليهاش تراب عليها دم بس ومفيش أي شيء يدل على كده) نكمل:

وقد تبينًا بها من الإصابات الحيوية الحديثة ما يلي:

- جرح ذبحي مستوي متباعد الحواف، يشمل مقدم العنق على شكل حرف S بطول كلي قرابة (٢٠ سم).

- جرح مستوي متباعد الحواف بطول (٤ سم) بباطن أعلى اليد اليمنى، أسفل أصابع البنصر والوسطى، مستعرض الشكل على غوار الجروح الدفاعية.

صورت صورتين.

شعبان، الجثة دي مش انتحار والبت اللي بره دي مش مريحاني، ناديهالي تاني كده.

طلع شعبان دور على البنت ملقهاش إطلاقًا، وأنا قاعد ألف حوالين الجثة ومش مرتاح.

جرح الـ(S) ده غريب، وشوفته مرتين، المرة الأولى في صور كانت بتوثق حادثة سفاح بني مزار اللي حصلت في بداية القرن ده، والتانية شفتها في حالة في مشرحة واشنطن دي سي، وكانت لجثة واحد من عبدة الشيطان، وكانت حاجة غريبة عليا جدًا، ويومها لما سألت الطبيب الشرعي هناك، قالي: إن حرف الـ(S) ده بيرمزو بيه لـ(Satan) أو الشيطان وده معبودهم.

أنا مش مرتاح يا شعبولا.

بقولك إيه: دخل الجثة دي التلاجة، واستنى لما تيجي مذكرة النيابة نشتغلها، ومحدش يشتغلها غيري، وخلي القايل ده معاك اللي فيه قرار التشريح على ما تيجى المذكرة وعرفني.

شال الجثة حطها في أحد الأدراج ساعدته عشان كان لوحده، قلعت الجوانتي، وطلعت المكتب.

تمت الساعة واحدة.

الساعة اتنين ونص بالليل عشر اتصالات على موبايلي من شعبان، طبعا الموب سايلنت ومردش.

باب المكتب بيخبط بغباء.

صحيت، بص في الساعة شفت الميسدات وقلت فيه كارثة تمت.

فتحت لقيت شعبان.

فيه إيه؟ بالراحة يا لطخ.

لقيت شعبان وشه أحمر على غير طبيعته. شعبان أساسًا وشه ملهوش لون، ولا طعم ولا ريحة. حاجة كده شبه الكائنات الفضائية، وبنعتبره في المشرحة واحد من أقرب السلالات للجنس البشري وفقا لنظرية التطور.

قالي: أنا مش لاقي الجثة بتاعة البنت السورية!! قولتله: تلاقيها مستخبية هنا ولا هنا. وبدأ صوتي يعلا، خاصة إن كله عارف إن أنا تقتلني ممكن أسامحك، لكن تصحيني من النوم لأ.

- أنت بتستظرف يا شعبان؟؟

- شعبان بصوت مهزوز والله ما لاقيها.

امممممم، هيا ليلة باينة من أولها، قدامي

نزلت معاه طول الطريق بيحكيلي إنه بعد ما حطها في الدرج قفل باب المشرحة، وطلع قعد في الأوضة بتاعته مع الشيخ سعيد ومفتاح الباب في جيبه، ومن شوية جه أمين شرطة من مباحث العبور بجثة تانية خالص. فسألته فين مذكرة الجثة اللي جت من عندكو من شوية، قالي: أنا الموجود من الساعة (٨ المغرب) ومفيش أي جثة عندنا، راح شعبان بسخرية يفتح الدرج عشان يصور الجثة وورقة البيانات اللي بنحطها على إيديها ملقاش الجثة، دور في أدراج المشرحة درج درج ملقيهاش، اتصل بيا وبعدين طلعلي.

سألته، فين الشيخ سعيد؟

- قالي: نايم في الأوضة، قولتله: يا حمار هتلاقيه فكرنا خلصنا ونقلها أوضة الغسل، رد بيلاهة الشيخ سعيد نايم جنبي من زمان.

دخلت المشرحة قولتله: ناديلي الشيخ سعيد.

الشيخ سعيد جاي بيتاوب، داخل بيقول: لا يا ريس أنا نايم من الساعة عشرة أساسًا. مشوفتش جثث أصلا!!

- أصلا!! طيب أنت بتمشي، وأنت نايم أساسًا يا شيخ سعيد.

تعالى بس نشوفها.

رحنا أوضة الغسل مفيش أي جثث، فجاة الشيخ سعيد بيقول: إيه ده؟ إيه ده؟ المية والدم اللي على ترابيزة الغسل دي منين؟ أنا آخر جثة مغسلها العصر وماسح ومنشف كل حاجة مكاني، مين جاب المية والدم ده هنا؟

اممممم، يا حلاوة.

الجثة فين يا ولاد الكلب.

حالة ذهول مسيطرة علينا إحنا التلاتة، الناس دي شغالة في المشرحة من (٣٠ سنة) أول مرة تحصل حاجة زي كده ومستحيل يتوجه ليهم اتهام بشيء لأن أمانتهم تفوق الحدود بمرااااااحل، وفي مبالغ بملايين وإغراآت مهولة عشان محدش دماغه تروح بعيد.

بنبص لبعض مبنتكلمش، شعبان على وشه إبتسامة بلهاء كالعادة، وبيبصلي بطرف عنيه.

الشيخ سعيد اللي مضايقه بس الميه اللي جت ع الترابيزة بعد ما مسحها.

وأنا كل اللي مسيطر على تفكيري مكونتو تقولولي يا بقر لما أصحى كده مش هعرف أنام.

اعملي قهوة يا شعبان، وهاتلي ملف القضية.

راح يعمل قهوة وأنا قعدت في أوضة الدفاتر على كرسي، وممدد على كرسي تاني والشيخ سعيد لسه بيمسح الترابيزة، شعبان جاب القهوة، فتح درج من جنبي طلع الملف، الملف فيه الورق الأبيض بتاعي عليه كتابتي وقرار التشريح مش موجود فيه.

نعم؟

قلبت الورق ورقة ورقة ملقيتهوش، وقتها أنا حسيت إني بحلم فعليا، أو ده شيء محصلش. فتحت الدفتر اللي بنسجل فيه الحالات:

- الساعة (١٠: ٢٥) حالة بإسم (سارة أحمد جاسم البوريني) سورية الجنسية. جواز سفر رقم (٣-٢٤-L25467) رقم القضية (٣٢١١٢) لسنة (٢٠١٦) إداري بين قوسين "انتحار".

دى البيانات اللي مسجلها شعبان بخط إيده، قمت فتحت الأدراج كلها ملقيتهاش.

طلعت قعدت في المكتب مش فاهم هو فيه إيه؟

الساعة (٩) اتصلت بالنيابة، صباح الخير، د. محمد الشيخ، عاوز أعرف بيانات عن القضية رقم (٣٢١١٢/٢٠١٦) إداري، رد بسخرية يا دكتور ٣٢ ألف إيه إحنا لسه موصلناش عشرين ألف!

شكرا!!!!.

قفلت وأحيه يابو سوسو. لحد النهارده القضية دي مكتوبة في الدفتر، وجنبها اسمي متحوط عليها بخط أحمر وعلامة إكس. قرار التشريح اختفى، بالتواصل مع السفارة مفيش جواز بالرقم ده ولا الاسم ده، لا حد جه سأل عليها، ولا ظهر عنها أي معلومة لحد النهارده، ولا نيابة ولا شرطة العبور تعرف أي حاجة عن الجثة دي.

المذهل إن معايا صورة الجثة دي لحد النهارده.

فكرة الشك في شعبان أو الشيخ سعيد أنا بقولكم ده شيء مستحيل بمعنى الكلمة. يعني حاجة يحكم مواقف سنين مستحيل حد يفكر فيها. اتعرضوا قبل كده لإغراآت أموال بعشرات الملايين وإغراآت بالجنس، وكل حاجة ممكن تتخيلوها عشان يتلاعبو ورفضوا وبلغوا فورا. وبعدين لو عاوزين يتلاعبو وإن أختها عاوزة تغسلها بس كان بمنتهى الهدوء مبلغونيش أساسًا إن فيه جثة، وغسلوها وادوهالها ولو حصل مساءلة هينكروا تمامًا إن فيه حد جه، ده غير إن دماغهم أساسًا لا تستوعب إنها تفكر في حاجة بالشكل ده. الشيخ سعيد متدين جدًا وغلبان وطيب لحد الغباء، وشعبان الديب هربان منه. فكرت كتير إن حد يكون غفّل شعبان ودخل أخد الجثة لكن كنت بقف قدام الأسئلة دي.

مين زوّر قرار تشريح بختم النسر وبمنتهى الدقة اللي لا تثير أي شكوك؟

مين زوّر جوازين سفر بتوع البنت وأختها بمنتهى الدقة اللي لا تثير أي شكوك؟

مين يقدر يدخل المشرحة اللي ملهاش غير باب واحد مقفول بإحكام، ومجرد فتحه بيعمل صوت صرير يجيب من على بعد كيلو، وكان مؤكد شعبان سمعه وهو في الأوضة اللي جنبه مباشرة وبابها مفتوح!

هل اللي دخل كان عنده الوقت إنه ياخد الجثة، يغسلها بمنتهى الهدوء في أوضة الشيخ سعيد ويخرج من فتحة الجثث بمنتهى السهولة!!

مين أخد قرار التشريح؟

الأخت كانت اختفت فين؟

مين البنت دي أساسًا؟

فين أهلها؟ أو أي حد يعرفها؟

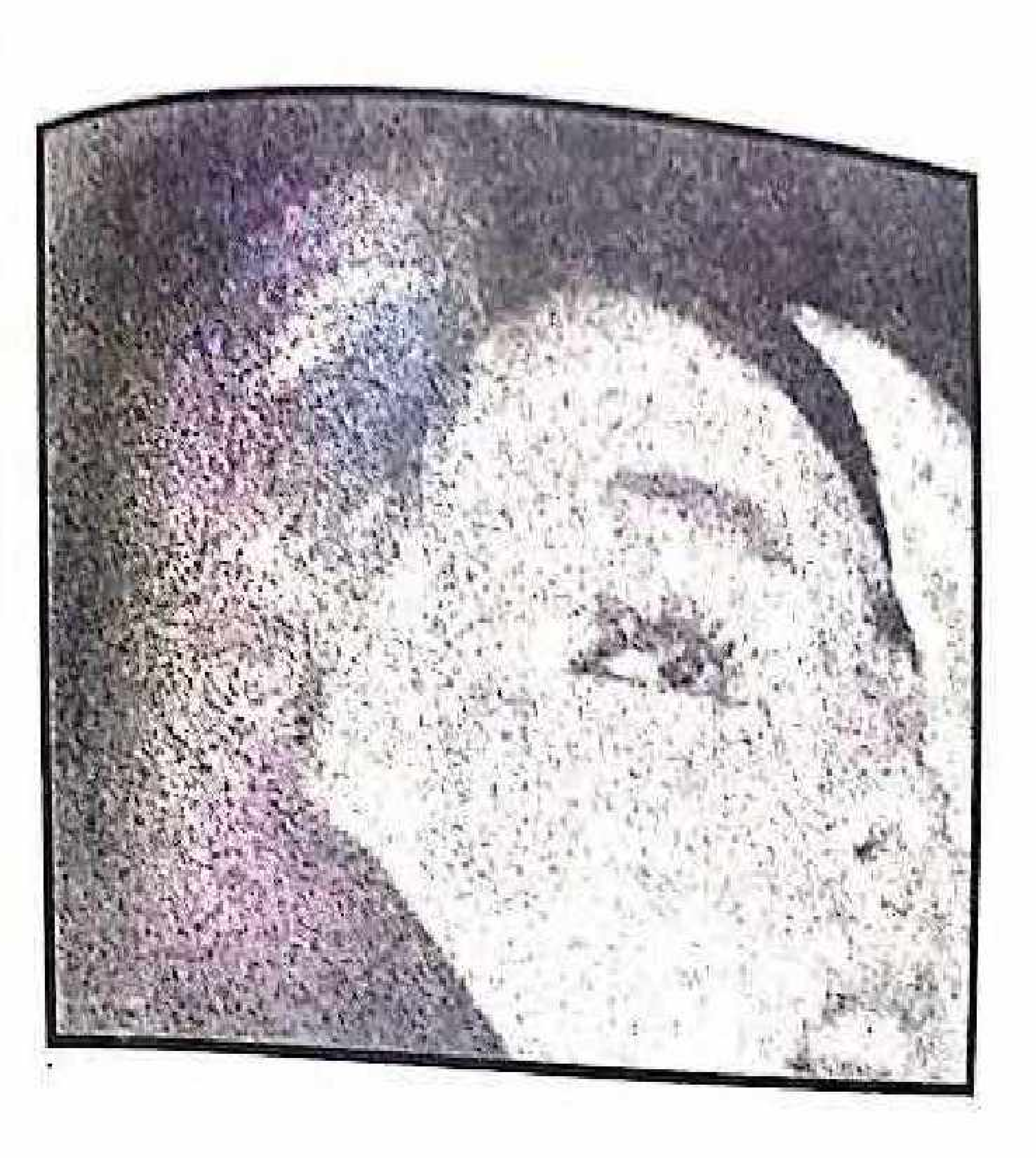
جه منين النمل؟

مين عمل جرح الـS؟

مبلاقيش أي إجابات وبيسيطر عليا شكل البنت البارد بدون انفعالات، وهي بتقولي بصوت معدني مش عاوزاها تتشرح!!



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب.
لذا وجب التنويه!



الحكاية الثالثة

ربما على مدار عملي كله، كنت أترك القضايا ومشاكلها دائمًا عند باب المشرحة، لم يحدث يومًا أن يشغلني التفكير في قضية خارج أسوار مشرحة زينهم الزرقاء. التفكير يكون إما في المكتب أو قاعة التشريح، وحدها التقارير تُكتب في البيت بعد أن أكون قد حسمت أمر القضية تمامًا.

نادر جدًا جدًا ويعدد أقل من أصابع اليد الواحدة أن يرافقك طيف جثة في بيتك، أن يظهر وجهها في نومك، أنْ تُحيط روحها بك أينما ذهبت.

أما هذه القضية فهي استثناء، استثناء ليس لأنها فقط رافقتني أرواح جثتها نومًا وصحوًا روحًا وطيفًا، على مدار أيام؛ بل لأن الأمر تعدى مجرد الأحلام والإلهام والطيف إلى روح تلامسك عيانًا بيانًا؛ بل وتحاول الاعتداء عليك.

هل سمعت قبل ذلك عن جثة تجبر محقق على أن لا يبوح بسرها؟ كانت مأساة، مورس فيها كل أنواع السحر السفلي والدجل والتلبيس والشعوذة وسحر السيمياء، ولكن حتمًا مَن كان الله معه، فمن عليه!

المكان: مشرحة زينهم.

***

الزمان: يناير ٢٠١٧.

التوقيت: الثانية عشرة والنصف ليلًا.

انتو كمان اقروا القصة ليلا عشان يوصل معناها، اطفو النور، اقفلو الستاير، واستمتعوا.

الحادية عشرة ليلا دارت هذه المكالمة.

- ألوووو، ازيك يا شعبولا، مراتك ولدت ولا لسه؟

- ازيك يا معالي الريس. لا لسه بتولد والله.

- طيب يا شعبولا ربنا يقومهالك بالسلامة، مش عاوز حاجة طيب، مش عاوزني أجيلك؟

- أنا في المشرحة يا ريس.

مراتك وحدها يا مجنون مشرحة، منزلتش حد مكانك ليه يابني، أنت سايب؟

- يا ريس أمي معاها وأنا مبحبش المرقعة وتقعد تصوتلي وهي بنت كلب كهينة فكنت هطلقها وآجي خليني هنا أحسن. وبعدين ما تولد ولا تتنيل أنا مبيشغلنيش الكلام ده.

- طيب إيه اللي عندك ومين شغال؟

- دكتور عمرو واتصلت بيه كذا مرة مردش. وعندي حالة أم وابنها وبنتها.

- طيب استنى هو معايا على الويتنج أهه، خليك معايا.

- إيه يا مورو ازيك؟

- ازيك يا حبي بقولك إيه.

- فيه حالة بولادها وعاوزني أروح أشتغلها بدالك.

- أنا نفسي أفهم هو ليه الـ*** اللي هناك دول مبيخبوش عنك أي حاجة؟

- والله أنا اللي متصل، عنيا يا عمور هلبس وأنزل.

- حبيبي، سلام.

- سلام.

- إيه يا شعبولا، أنا جاي أنا هشتغلهم.

- تمام يا ريس في انتظارك.

ويجي قافل على طول شعبان مبيستناش، مبيحبش المرقعة بتاعة سلام سلا سلا سلام اتفضل اتفضل اتفض سلام.

لبست ونزلت. الجو برد جدًا ومطر، اضطريت أمشي بالراحة، الطريق من التجمع للمشرحة تقريبًا أخد ساعة إلا ربع، على ما وصلت تقريبًا كانت (١٢:٣٠).

دخلت، شعبولا بيسمع على الموبايل مطربة اسمها شفيقة ومندمج.

دخلت، قولتله: فين الزباين؟ قالي: ست كبيرة وتلت زعازيع صغيرين.

قولتله إنت يابني مش قايل واد وبنت؟

قالي: مش عارف والله أنا دخلت أطلعهم لقيتهم تلت عيال، قولتله إنت عارف يا شعبان أنا لو مش بحبك؛ كان زمانك دلوقتي في حلايب وشلاتين أقسم بالله. وبدأت أزعق يعني إيه مدخل جثث بورق مش عارف عددهم، سكت وبدأ يتمسكن. والله يا ريس أصل أنا مراتي بتولد ودماغي مش فيا، ومشغول جامد مش مركز، أهاا مش دي اللي مبتحبش المرقعة وتولد ولا تتنيل ميشغلكش، قال: آه أصلها بنت كلب كهينة.

تنتهي كل محادثة بيننا كالعادة بإني مقدرش أمسك نفسي من الضحك، ماساة شعبان إنك مستحيل تبقى عارف هو بيهزر ولا بيتكلم جد، فرحان ولا زعلان، مستحيل، لأن وشه مش بالمقاييس البشرية بتاعتنا اللي بيبان عليها، وشه جلدة كاوتش محفور فيها أماكن أعضاء الحس لجوه مش لبره، وصوته معدني ثابت طول الوقت.

بصيت على الحالات، الست شكلها غريب، مزرقة بشكل أوفر، عليها حتت أسمنت، ملامح وشها أسفكسيا خنق، الملاية اللي اتخنقت بيها ملفوفة حوالين رقبتها، إحساسي بيقولي إنها هتحتاج شغل، مش حالة منتهية، لأ، واحنا بنوصل بعد فترة لدرجة من الإحساس بالجثث بتخليك من لحظة ما تشوفها تعرف منهية ولا لأ، هتتعبك ولا لأ، فيها التكة ولا لأ. ودي فيها، وفيها كتير.

طيب، هطلع أغير هدومي وأشرب قهوة على ما تجهز كل جثة على ترابيزة ورن عليا.

طلعت المكتب في الدور التاني، عملت قهوة أمريكان، شربتها وأنا بتابع قنوات الأخبار، غيرت لبسي، واستنيت شعبان يرن.

الباب بيخبط شعبان، مش قولتلك يابني رن عليا، أصل امي اتصلت بيا يا ريس وقالتلي: إن الولية تعبانة والنزيف مش راضي يقف وشكلها هتموت واتصلت بهشام بيجي مكاني لقيته في الفيوم، طيب طلعت الجثث. قالي: آه الاربعة على الترابيزات، من المرات النادرة اللي أشوف شعبان هه مضايق بيتّه كده، طب خد مفتاح العربية أهه واطلع على مراتك ولو فيه حاجة كلمني. يا ريس وأنت هتفضل لوحدك هنا ازاي؟ ومين هيدخل جثث؟ ومين هيكتب ورق؟ قولتله ملكش دعوة، امسك المفتاح، يا ريس أنا هشوف تاكسي طيب، امسك وفيه فلوس في الدرج اللي فوق القتيس على طول خد منه اللي أنت عاوزه.

مشي وهو بيبرطم، عملت قهوة تاني، خاصة بعد ما عرفت إن السهرة صباحي، نزلت، ماشي في كوريدور المشرحة، إحساس إنك معاهم لوحدك برضه إحساس تاني، حوالي (٣٠٠ جثة) حواليك في كل مكان. خدني التفكير، يا ترى الـ(٣٠٠) دول مين فيهم كان كويس ومين وحش؟ مين دلوقتي في الجنة ومين في النار؟ مين مبسوط وسعيد ونفسه القيامة تقوم؟ ومين مرعوب وخايف ونفسه متقومش؟ وهل ممكن يبقي فيه كويسين وتكون نهايتهم تشريح؟ طب ما أنا شفت ناس كتير على ترابيزة التشريح كأنهم البدر ليلة التمام، وشفت جثث متحللتش في الأرض بعد دفنها بسنين، إذًا مش مقياس التشريح من عدمه، بالعكس، ده ممكن ليه مقابل عند ربنا، ده ممكن يغفر بيه ذنوب كتير جدًا، زي مثلا البنت اللي كان عندها (٨ سنين) في براءة وردة واغتصبت واتقطعت حتت وهي صاحية، هل نهايتها بعد كل العذاب اللي شافته ده، تتشرح؟ يبقي أكيد ربنا عنده مقابل لده، مؤكد، آلاف الأسئلة اللي ما تجيش أبدًا غير وأنت وحدك وفي مكان فيه رهبة زي ده، رهبة الموت، الحقيقة الوحيدة على الأرض دي. الحاجة الوحيدة اللي بيتشابه فيها كل الجنسيات والأشكال والألوان، مصير واحد.

دخلت القاعة الأولى فيها جثة ولد وبنت، دخلت القاعة التانية، فيها جثة الست وطفل رضيع معاها.

طيب هبدأ بالست، إيديها طالعة خارج الترابيزة بشكل غريب، لبست جوانتي، دخلت إيديها جنب جسمها، لفيت بس عشان أجيب المشرط والأدوات، حسيت حركة ورايا، بص لقيت إيديها التانية هي اللي خارج الترابيزة، دايما بنتعامل هنا مع أي شيء بالمنطق إلى أن يثبت العكس، واضح إن لما رجعت إيديها اللي كانت متخشبة جنب جسمها،

الأيد التانية اتزقت فنزلت من الناحية التانية خاصة إن الجثة مليانة شوية، بهدوء رحت دخلت الإيد التانية، ورجعت أجيب الأدوات، جبيتها وبلف، أجيبيه!!

رجلها الشمال خارج الترابيزة تمامًا، وده بقى لا علم ولا منطق ولا أي شيء، أولا: لأن الرّجل متخشبة وثابتة تمامًا على الترابيزة، ثانيا: لأن الترابيزة ليها جوانب عشان الدم ميخرجش بره والجوانب دي متقدرش الرجل تتزحلق من عليها بسهولة، فيه جثث إحنا بنبقى عارفين إن فيه شيء ما ورائي رافض التشريح. بشكل أو بآخر، البعض بيقول قرين، والبعض بيقول روح، والبعض بينسبها للجن، ولكن المحصلة إن فيه رفض للتشريح موجود، وبالتالي بيحاول إنه يبعدك بعدة طرق بالتدريج، والطرق دي تقريبًا كلها معروفة لينا، الأول هيخوفك بحركات خايبة، بعدين هيبدأ يزعجك بأصوات وأشياء ممكن تبوظ، ولو أنت ضعيف ممكن توصل لدرجة إنه يأذيك، وكده رسالتها الأولى وصلت ولازم يكون ردك قوي عشان تحسم الأمر، جبت الأدوات حطيتها كلها على الترابيزة، جبت قطعة قماش أبيض طويلة دخلت رجلها وربطت الرجلين في بعض، بعنف، كده أنت رديت على الرسالة الأولى ووصلتلها إنك مبتخافش، هتبدأ القصة التانية، المشارط هتتقطم كل ما تلمس جثتها، منشار كهربائي هيبوظ، جيقت هيتتني أي شيء من ده، وده اللي حصل، وبيكون ردك في الوقت ده هو البرود المتناهي والإصرار على إنك تكمل، يتكسر مشرط تجيب التاني، يتكسر التاني، تروح تجيب التالت، يتكسر التالت فبكل هدوء كده وببرود تروح تجيب علبة المشارط كلها تحطهالها في حجرها. وتطلع واحد ورا واحد، كده بتوصل الرسالة التانية إن متحاوليش، بتبدأ يقى شيء من الإزعاج الشبيه بالمس ودي حاجة روحية خالصة. طول ما ربنا معاك بيقين مستحيل شيء ينتصر عليك، إبليس نفسه، أعتى الجن وأكثرهم إجراما قال لربنا، بكل ثقة، {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} وبعدين افتكر حدوده، فكمل بسرعة، {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} ده أقواهم وأكثرهم إجراما، فرد ربنا عليه: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (*) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}، ورد في إيه تانية، {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (*) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} صدق الله العظيم، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا، لكل الديانات السماوية بوجه كلامي، لو ربنا معاك مين عليك، اوعى تلجأ لساحر أو دجال لا في كنيسة ولا في مسجد، الجأ لخالق الساحر والدجال والجن اللي معاهم.

المهم، فشلت كل محاولاتها فيتستسلم تمامًا، لكن اللي حصل ميبعديش كده، ده بيديك انطباع إن الست دي كان ليها نشاط في الاتجاه ده، وإن القصة مش هتنتهي بانتهاء التشريح، كلنا عارفين إن ما دام حظك وقعك في جثة من دول يبقى هتعاني كام يوم لحد ما تنتصر، لأنهم رغم ضعفهم بيحاولوا كتير، وميستسلموش بسهولة أبدًا.

قريت مذكرة النيابة بسرعة، التفاصيل باختصار بتقول إن (هدي) دي واحدة مطلقة، ومعاها ولد شاب وبنت، وإن ليها أخ راح يزورها لقاها لسه والدة طفل صغير رضيع رغم إنها منفصلة عن جوزها من سنين، فانتقم منها بخنقها بداعي الشرف، طيب والولد، باقي المذكرة بتقول التالي: «إن ابنها الكبير راح للمباحث وكان في حالة هيستيريا ولم يكن متزن وقال: إن خاله قتل أمه، وحط عليها أسمنت ومايه في حفرة عملها في البيت ولما الابن وصل البيت هرب، وإنه لما لقي أمه اتقتلت خاف على أخته والطفل الرضيع فقرر يقتلهم وينتحر، وإنه فعلًا أخد حبوب اسمها حبوب الغلة. وبعدها بشوية مات في القسم» المباحث راجعت كاميرا محل في المنطقة لقيت أخوها اللي اسمه (صلاح) خارج من البيت في زمن الجريمة وإن ليها أخ تاني اسمه (زكريا) عايش في بلد تانية ولم يتواجد إطلاقًا، وإن الابن كان جوه البيت أساسًا قبل الجريمة بتلت ساعات ومخرجش، راحوا يقبضوا على الخال بعد (٥ ساعات تقريبًا) من الجريمة. لقيوه ميت بالمنظر اللي هتشوفوه تحت. وإن هما بيحاولو نقله للمشرحة، يعني إيه بيحاولو نقله مش فاهم، وإيه العك ده كله؟

يعني خال قتل أخته وحاول يحطها في حفرة، والابن قتل أخته والطفل الرضيع وبعدين انتحر!! طب راح القسم ليه يعنى؟ خايف على العدالة أوى، والعم كمان مات، وإيه بيحاولو ينقلوه مش فاهم، طيب خلينا ناخدها واحدة واحدة.

بدأت الريكوردينج.

«الجثة لأنثى في العقد الخامس من العمر، متوسطة القامة، ضخمة البنية، يغلب على جلدها اللون الأزرق، عليها بعض القطع الإسمنتية، ترتدي قميص نوم حريمي وردي اللون دون ملابس داخلية، ويظهر عليها عدم اهتمام تمامًا بالنظافة الشخصية، مع وجود آثار وضع منذ يومان تقريبًا، الجثة في حالة تيبس رمي، والرسوب الدموي بلون قاتم في الظهر وخلفية الساقين، وعلى وجهها تبدو ملامح أسفكسيا شديدة، مع وجود ملاءة

مربو ملتفة حول عنقها ومربوطة بإحكام، بإجراء الصفة التشريحية تبينًا الأعضاء الداخلية في بدايات تعفن!!!! (والكلمة دي هتبقى مشكلة بعدين) ورائحة مقيته، بالرقبة تبينا آثار الانسكابات الدموية التي تؤكد وفاتها بسبب الخنق برفع الملاءة حول العنق، تبينا آثار حز عميق جدًا موضعها وصل إلى العضلات الداخلية للعنق: حتى ضغطت بعنف على المجرى العلوي للقصبة الهوائية والبلعوم مما أدي إلى بروز اللسان خارج الفم، وهذا يشير إلى أن القوة المستخدمة في الخنق كبيرة جدًا تتجاوز ثلاثة أفراد كونها بملاءة قماشية.

على جسدها بعض الرموز والأوشام بلون أخضر وبعض الجمل غير المفهومة، وكذلك جدول صغير على الظهر يحتوي على أرقام غير مرتبة. تُعزى الوفاة إلى اسفكسيا الخنق، ووفقًا للمظاهر التحللية فقد مضى على الوفاة قرابة ٢٤ ساعة تقريبًا».

ركزت شوية مع الرقبة وأنا بوصفها وبشيل الملاية وبفتح عليها بالمشرط، أخدت تقريبًا تلت دقايق، برجع عشان ألقي نظرة عامة أخيرة، لقيت رجليها الاتنين مفكوكين، وخارج الترابيزة، والقماشة البيضا اختفت.

ضحكت، قلتلها خلاص انتي حرة هسيبك بأشياءك بره كده من غير خياطة لحد ما ييجي شعبان وهو يتعامل معاكي، تدري ليش؟ لأن شعبان ميحبش المرقعة وإنتي بتتمرقعي. سيبتها ونقلت على جثة الرضيع.

الساعة اتنين وربع تقريبًا، الجثث جاية من العياط جيزة، حبيبي مقتش مباحث هناك، قلت أكلمه قبل ما أكمل، خرجت من القاعة، كلمته كان صاحي، احكي يا شهرزاد

- قال: والله يا دكتور أنا ما فاهم حاجة ودماغي هتشت من ساعتها، ليه بس؟ قالي: دلوقتي فيه محل في وش البيت، الكاميرا اللي فيه جابت الست وهي داخلة البيت الساعة تلاتة العصر، قولتله: تلاتة العصر امتى؟ قالي: من عشر ساعات. قولتله: هي مين؟ دي بقالها أكتر من يوم ميتة!! قالي: أقسم بالله الفيديو قدامي أهه داخلة البيت تلاتة العصر وابنها كان جوه البيت من بدري، وأخوها جه بعد ساعة تقريبًا والكاميرا جايباه بمنتهى الوضوح، قعد معاهم نص ساعة وبعدين الابن خرج اشتري حاجة من المحل اللي في وشهم ده. ودخل وبعد نص ساعة تانية الخال مشي والابن كان بيوصله

لعربيته ومشي هو كمان، ركب عربيته ومشي، وكل ده متصور كانت الساعة خمسة تقريبًا. الاتنين راح القسم. حكى الموال الغريب بتاعه ده ومات، رحنا نشوف مين خالع وجيبه، لقينا ليه اتنين أخوال، واحد مسافر بره من (١٢ سنة) ولا شافهم ولا شافوه والتاني وصلنا لبيته واتأكدنا إن هو اللي كان موجود من عربيته، لقيناه على الأرض ميت ومتعفن ورائحة لا تطاق كأن بقاله اسبوع ومليان دود وحشرات بتطير، ولازق في الأرض لا حد قادر يستحمل يقرب منه، واللي بيقرب منه مش قادر يحركه!! امممم، وانتوا اتأكدتوا يا باشا إن هو اللي كان عند أخته؟ ما يمكن حد شبهه؟ يا دكتور كل جيرانه شايفينه وهو نازل، وشايفينه وهو خارج ووهو راجع، وبيركن عربيته وطلع بيته وشاور للناس، واتكلم مع واحد، ومعدين خلي عشرين شاهد بيكذبوا، الكاميرا كمان هتكذب؟

امممممم، حيا ليلة سودا وعمرو خلع منها ولبسني فيها، عمرو مين يا دكتور؟ لا يا حبيبي متشغلش بالك، هشتغل كده وهبقى أبعتلك لو فيه جديد، سلام، سلام.

دخلت القاعة لقيت إيديها الشمال كمان بقت الترابيزه مع منظر بطنها مفتوحة والجمجمة منشورة الموضوع زاد بشاعة، كل ده برضه لسه في إطار العادي لحد دلوقتي، بصيتلها، قولتلها والله لو لعبتي باليه مافي حتى لسه هلبس جوانتي تاني؛ لقيت اتصال من مباحث العياط، آلو ازيك يا دكتور؟ ازيك يا أحمد بيه؟ قال: أنا كنت عاوز أعرف بس أي معلومات تساعدنا في قضية الست وولادها. قولتله: أنا لسه قافل مع محمود بيه حالا ومتكلم معاه، قالي: محمود بيه مين؟ عنتر؟ قولتله آه، قالي: محمود بيه قاعد قدامي بقاله (٤ ساعات) وهو اللي قالي: أكلمك، نعم اديهولي، هو أنا يا ريس مش لسه قافل معاك؟ قالي: أنت بتتكلم جد ولا بتهزر؟!! أنا مكلمتكش من تلت شهور، عشان كده قلت لأحمد يكلمك عشان محروج أكلمك فتقول مبيتصلش غير عشان شغل، اللي جه في بالي تمامًا إني كلمت حد تاني، بس مين تاني ليه نفس الاسم وعارف كل البيانات، قولتله يتردد يمكن كلمت حد تاني طب قولي يا باشا إيه اللي عندكو، ودارت نفس المكالمة بنفس الحروف بنفس الردود اللي المفروض إنها تمت من خمس دقايق، بالحرف. كنت عاوز أقفل بسرعة. قفلت، فتحت سجل المكالمات، لقيت آخر مكالمة صادرة مني لشعبان وبعدها مكلمتش حد، شديت كرسي وقعدت في الكوريدور.

قريت كتير عن سحر السيميا، وسحر التخيلات، ومحاولة إيهامك سواء بالسمع أو بالرؤية لأشياء محصلتش، ولكن إنه يوهمك بشيء حقيقي لكن هيحصل بعد دقايق، ده شيء جديد، لكن مش ده اللي خلاني أقعد: اللي خلاني أقعد إن الميت لا حول له ولا قوة، ولو فيه أي اعتراض او انتقام عن طريق القرين بيكون موجه للميت نفسه، تمام زي قصة البنات الخمسة اللي فاتت، يصرخوا أو يتحركوا، حاجة خاصة بجثثهم، وكانت نفس القصة هنا في حركة الإيدين والرجلين، لحد ما حصلت المكالمة دي، الموضوع تعدى مرحلة القرين، في حد في الخارج عايش هو اللي بيحرك الأحداث بإيديه زي عرايس الماريونيت، وده على أد ما ممكن يضايق حد ويزعجه ويخوفه، على أد ما بيطرحني أنا، لأن ما دام فيه حد حي في قصة غامضة يبقى هنعرف الحقيقة كلها، كل الحقيقة.

صوت سارينة عربيتي بره، غالبا شعبان جه، اتحركت بهدوء ناحية الباب المصفح أفتحله، لن أنسى هذا المنظر ما حييت، في آخر الكوريدور (٣ قطط سوداء صغيرة) أمامها قطة سوداء يبلغ حجمها عشر أضعاف القطة العادية، عيونهم كلهم مضيئة ومليانة حقد ومتأهبين للهجوم، مريت بموقف مماثل قبل كده، لكن كان مع قطة واحدة، واللي علمني قالي: تقدم اوعى تخاف أو تتراجع، كمل طريقك زي ما انت ماشي، كملت بمنتهى الهدوء بنفس الخطوات، وهما بيزدادوا تأهب وكأنهم بيستعدوا للانقضاض، عيني ثابتة في عين القطة الكبيرة، وأول ما خلاص هلمسها برجلي اختفوا، كملت، فتحت الباب، لقيت شعبولا بيقولي إن مراته بقت كويسة وأد إيه هي كهينة بنت كلب لكن مكونتش فايقله

دخل وقفل الباب، شكرني، بص في الأرض، إيه ده، نقط دم في الأرض مكان القطط بالظبط، قالي: إيه ده يا ريس؟ قولتله: متشغلش بالك. تعالى المعمعة جوه.

شعبان دخل القاعة ببلاهته اللامتناهية، بص لقي الست راسها جلدها متشال والجمجمة مفتوحة، وبطنها مفتوح من تحت الدقن لحد الحوض، القلب والرئتين والكليتين والرحم بره، ورجليها مفتوحين تمامًا وكل رجل نازلة على جنب من جوانب الترابيزة، شعبان بصلي، وبص تاني على رجليها، وقالي: هو أنا لا مؤاخذة جيت في وقت مش مناسب ولا حاجة؟

ضحكنا، مرضيتش أحكيله، خليته يكتشف بنفسه، قولتله خيّط دي بس بسرعة الأول. لبس وبدأ يخيّط الراس، وأنا قاعد بتفرج، طلع الرجلين على الترابيزة، وهو بيستغرب نزلوا ازاي دول؟ ولسه بيحط إبرة الخياطة في جلد بطنها من تحت، وجت رجليها منطورة خابطاه في منطقة حساسة ضربة قوية جدًا، جدًا!!!!!!

شعباان بينحني للأسفل وهو بيقول، يا بنت الكلاااااااب، آااااااه، وصراخ متواصل وأنا ضحك متواصل مش قادر أقوم، وفي وسط صراخه، بيقول بجدية تامة وصوت متقطع ومش طالع وهو بيكلم نفسه، كويس إن الولية ولدت، أنا بالسلامة كده خلاص. هستحملها بقا عشان تستر عليا، مع إنها كهينة بنت كلب

وأنا في هيستيريا ضحك متواصل.

لحد ما بدأ يفوق، ومن غير ولا كلمة راح جاب حبل محترم، وكتفها، وخيّطها، وبعدين مدها على رجليها.

أنا لسه بضحك بدموع.

شعبان رايح يجيب علبة مشارط من الأوضة اللي جوه عشان المشارط قربت تخلص، سمعته بيقول هششش، هششش، وبعدين رجع بالمشارط، بقوله أنت بتهش مين؟ قالي: دول قطط، قولتله بزعيق قطط ازاي يا شعبان في المشرحة، قالي: يا ريس متقلقش ده دول من اللي بيظهروا ويختفوا دول، شعبان من فرط بلاهته أنا أعتقد إن الجن بيترعب منه. لأنه واصل لمرحلة إنه مش بس ممكن يهش جن، لأ، ممكن يمسك في خناقه.

طيب يلا يا شعبولا هات الرضيع ده الأول نشتغله بسرعة.

(شغل الريكوردينج)

«الجثة لرضيع ذكر يبلغ من العمر قرابة يومين، متوسط القامة والبنية وفقا لسنه، عارٍ الملابس، الحبل السري مقطوع قطع غير طبي وعنيف، تظهر على جسده آثار تعذيب عبارة عن سحجات، وكدمات، وإهمال نظافته الشخصية، وآثار احمرار بالوجه والجسم، وتبينا بالظهر جدول آخر يشبه الموجود بالأم؛ ولكن بأرقام مختلفة. بإجراء الصفة التشريحية تبينا الوفاة ناتجة عن صدمات عصبية مع إهمال غذائي تام أدي إلى الوفاة».

أخدت عينات (DNA) عشان نعرف بعدين ابن مين الرضيع اللي للأسف مرضعش من لحظة ما اتولد كان مسالم تمامًا، ولم تظهر منه أي مظاهر ما-ورائية غير معتادة.

خيّط يا شعبان.

شعبان بيخيّط، بالنسبة لي القصة شبه منتهية، منتهية في نقطتين رئيسيتين، الأولى: إن دي وفيات ليها علاقة بالسحر الأسود أو السفلي، تفاصيلها لسه مش معروفة لكن هتتضح مع الوقت، النقطة التانية: إن فيه حد كان شريك ليهم لسه عايش وبيدير اللعبة من الخارج وبيقاتل لعدم إظهار الحقائق.

بدأنا جثة الشاب...

رحنا القاعة التانية اللي فيها جثة الولد والبنت.

الجثة لشاب في نهاية العقد الثاني من العمر، متوسط القامة والبنية، يرتدي جلبابًا أبيض اللون متسخ بشدة، وملابس داخلية بيضاء اللون مع آثار احمرار خفيف بالوجه والأنف، وخلو عموم الجسد من أي إصابات أخرى ظاهرة، كما تبينًا أنّ العينين مفتوحتان بشكل مبالغ فيه دون وجود سبب واضح، مع وجود عتامة بيضاء على القرنيتين، وتبينًا آثار محاولة انتحار قديمة فاشلة عن طريق قطع شرايين اليدين، كما تبينا آثار وشم بالكتفين والصدر وأعلى الظهر بنقوش غريبة غير مفهومة، مع جدول يشبه ذلك الموجود على ظهر الطفل والرضيع بأرقام أيضا مختلفة.

بإجراء الفحص الكيميائي تبينا الوفاة ناتجة عن تسمم بمركب عضوي فوسفوري الموجود في أقراص حفظ القمح وهو ما أدي إلى الوفاة.

غريب شكل الولد، عمري ما شفت جثة لسه طازة ومبرقة عينيها بالشكل ده، وإيه موضوع الجدّاول اللي على ضهر كل واحد فيهم دي؟ لسه القصة غامضة وغير مفهومة حتى الآن، ولكن لاحظت إن مفيش اشياء غريبة بدأت تحصل.

سألت شعبان، قولتله مش ملاحظ إن العملية هديت؟

قالي: وهو بيبص بحسرة على أشياءه، آه كله من بنت الـ*** اللي هناك دي.

ويلف مع بعض نبص عليها من إزاز الباب بين القاعتين، شاهدنا بأم أعيننا الحبل اللي شعبان رابطها بيه بيترمي في الهوا بين الترابيزتين، اتحركنا بسرعة فتحنا الباب لقينا الأخت بدون حبل والحبل مرمي على الأرض ورجليها الاتنين خارج الترابيزة!!

ووشها مستقر مكانه متزحزحش

شعبان على وشه ابتسامة عريضة بلهاء، وهو بيقولي: شوف وشها بريء ازاي كأنها معملتش حاجة، الظاهر مش مراقي بس اللي كهينة بنت كلب.

قولتله سيبها بقا خالص، نخلص ونرجع نشوف الدنيا إيه.

روحنا نشوف جثة البنت، جثة البنت عادية جدًا، مفيش أي مظاهر عنف أو اعتداء أو أي أشياء غريبة، مفيش وشم ولا تعاويذ، البنت عذراء، بالتشريح فيه آثار حمى روماتيزمية قديمة في القلب، وسبب الوفاة جلطة في القلب، وفاة طبيعية جدًا بدون أي مظاهر غريبة، وده شيء في وسط المدعكة دي أكثر غرابة من إنها تكون ماتت بأي سبب تاني.

خيّط يا شعبان.

خيّط وبدأ نقل الجثث لأدراج، الست أرفته فعلًا على ما نقلها وعرف يدخلها، الساعة عدت خمسة الفجر، غيرت هدومي، وقولتله فيه جثة تانية تبع القضية دي، أول متيجي عرفني.

ركبت عربيتي، ومشيت.

طول الطريق بفكر، المطر قوي جدًا، الشوارع خالية تمامًا، بفتكر شعبان وأضحك، أنا ساكن في شارع التسعين الشمالي، وأنا عند نادي بترو سبورت كدا لقيت راجل عجوز بيحاول يعدي الطريق، لافف وشه تمامًا بكوفية، والمطر صعب، وقفت على ما يعدي ونورتله الطريق، عدي الطريق بمنتهى الهدوء لحد ما بقى قريب من الشباك بتاعي، شكله راجل عجوز ضهره منحني، فتحت الشباك على أساس إني أشوفه رايح فين دلوقتي في الجو ده أوصله، فضل يقرب ببطء لحد ما شفته بوضوح، أو شفت عنيه بس، عينين متركزة عليا وفيها كم حقد وكره أنا مقابلتهوش في حياتي كلها، عين مركزة لدرجة إن أنا حسيت بطاقة سلبية رهيبة جابتلي صداع، إيدي بتتحرك ببطء على سلاحي الشخصي،

لحد ما لف وشه ومشي، لا أنا اتكلمت ولا هو اتكلم، بس أنا عندي صداع رهيب، رهيييب.

كملت الطريق بصداع لا يوصف، كنت لوحدي في البيت، ركنت وطلعت، دخلت، فتحت المية الباردة وحطيت راسي تحتها (٥ دقايق) لحد ما الصداع بدأ يفك، يا ساتر إيه ده!! يا دوب رفعت راسي وبنشف وشي بإيدي لقيت حد حاط إيده على كتفي، بحاول ألف أشوف مين، لكن قوة إيده مثبتاني في مكاني، هو قدر يهاجمني في الحمام، في المنطقة اللي عارف إني مش هقول فيها أذكار، وأنا من كتر الصداع نسيت ذكر الدخول، فضلت هادئ، شديت الفوطة، نشفت وشي وشعري، لحد ما ساب كتفي، لفيت بسرعة لقيته ورايا واختفى في لحظة، نفس الراجل العجوز بنفس العينين اللي مليانه كره لكن المرة دي شفت وشه، شفته بوضوح، شعره الأصلع، وشه اللي مليان حفر، وعلامة شيطانية غريبة على جبينه تشبه زاوية قائمة قاطعها حرف (S)، قعدت شوية في الريسيبشن، قلت بعض الأذكار، قمت أخدت شاور، صليت الفجر، لسه الصداع مأثر على دماغي ومخلي تفكيري بالكامل مشوش، مش هعرف أفكر دلوقتي، نمت.

صحيت العصر تقريبًا، وكده بدري بالمناسبة.

لقيت شعبولا متصل ٣ مرات. كلمته، إيه يا أم السعد؟ إيه الأخبار عندك؟ قالي: دنا شفت ليلة سودا في المشرحة امبارح!

قلتله: ليه؟ قالي: يا ريس دخلت أستحما بعد ما أنت مشيت وشدوا الشورت بتاعي وجريوا وطول الليل بجري وراهم في المشرحة عريان.

مشكلتي الأزلية مع شعبان إن مستحيل تعرف هو بيهزر ولا بيتكلم بجد.

سألته عن الجثة، قال: جت من الصبح، قولتله: حلوة؟ قال متشوفش وحش.

تعالى شوف بعينك.

قمت متحمس، أكلت باتيه وشربت قهوة، لبست ونزلت.

دخلت قابلني شعبولا، شكله مرهق

واضح إنه فعلًا كان بيجري طول الليل.

قولتله: يلا على السريع عشان همشي بدري.

دخل يطلع الجثة، الشيخ سعيد بيعمل قهوة، قعدت أفتكر في القضية، الجثة اللي هتتشرح دي المفروض إنها جثة الخال، اللي المفروض قتل أخته ورجع بيته بعربيته وفقا لأقوال الشهود، وإن الشرطة راحت تقبض عليه بعد الواقعة ب خمس ساعات لقيته زي ما هنشوف تحت.

ريحته مقيتة مالية المشرحة وشعبان بينقل الجثة، خلصت القهوة بسرعة ورحت القاعة ولقيت الجثة بالمنظر ده.

الجثة منقولة في كيس جثث أسود برائحة بشعة متعفنة تمامًا، محاطة بالديدان والحشرات من كل جانب، يدها قريبة من وجهها، الوجه يبدو بملامح مرعبة، الجثة تقريبًا مضى على وفاتها وفقا لمظاهر التحلل قرابة ٢٠ يوم، بالتشريح كل الأعضاء متحللة، العظام كلها خالية من الكسور، عينات السموم والمخدرات سلبية، الملابس خالية من القطوع والتمزقات المشتبهة، ويتعذر الجزم بسبب واضح للوفاة، يعني الجثة اللي كنت باني عليها كل الأمل، طلعت فشنك.

وازاي بقا المحروس ده قتل واحدة امبارح، وروّح بيته وبعد خمس ساعات لقيوه كده!!

فيه حاجات ممكن أتقبلها بشكل أو آخر، زي جثة تتعفن بمعدل سريع جدًا، أو جثة لا تتحلل بعد فترة طويلة جدًا، وده أنا بعتبره من علامات حسن وسوء الخاتمة (والكلام ده على مسئوليتي أنا الشخصية، لأن العلم لا يعترف بيه)، لكن أنا بتقبل ده بحدود، أتقبل مثلا إن الجثة تتحلل أو تتعفن بسرعة، تمام زي جثة الست، ولكن لا أتقبل أبدًا إن الديدان والحشرات توصل للحجم ده في خلال ساعات.

صحيح، هو انتوا فكرتو قبل كده هي الديدان والحشرات اللي بتحلل الجثة دي بتيجي منين؟

معظمكوا طبعا هيقول من الأرض، طيب، معنى كده إني لو حطيت جثة في غرفة مغلقة كلها سيراميك من الأرض للسقف مش هتتحلل ولا هيظهر ديدان؟؟ لا طبعا، بعد كام يوم هتظهر الحشرات والديدان وهتبدأ تكبر بنفس المعدل، لأن أصل الديدان والحشرات دي بيبقى بكتيريا الجهاز الهضمي للإنسان، ودي بكتيريا متعايشة ومفيدة موجودة

بشكل طبيعي جوه الجهاز الهضمي لكن بعد الوفاة بتبدأ تهاجم الجسم والأعضاء وتحللها، وتتغذى عليها وبتكبر جدًا في الحجم يوم عن يوم، لدرجة إن فيه باب كامل في الطب الشرعي عن تحديد زمن وفاة الجثة من طول الديدان الموجودة عليها، وبالتالي يستحيل إن الراجل ده يكون كان عايش امبارح ولا من عشر أيام فاتوا، ممكن أتقبل لو تعفن، لكن متقبلش أبدًا حجم الديدان والحشرات دي، والقصة بالنسبة لي منتهية.

مبقاش فيه أمل مؤقتا غير في شغل المباحث، وأنا عارف إنهم هناك بتوع شغل بجد ومش عيال ميشو.

كلمت محمود بيه، واتفقنا هنتقابل عندي في المكتب تاني يوم بكل الأوراق والمعلومات المتاحة، ونتناقش. طول الليل أشياء غريبة بتحصل معايا، ومحاولات مستميتة متعود عليها على إجباري على الاستسلام، بس هو مين.

روّحت ونمت، رحت الشغل تاني يوم على المعاد، جه محمود بيه، مع رئيسه خالد بيه، بالمناسبة، هو مدير أمن دلوقتي ويستحق.

فرشنا الملاية، وبدأنا نتكلم.

اتكرر نفس الكلام اللي اتقالي قبل كده، أنكرت باستماتة القصة كلها لعدة أسباب:

- الأم ماتت مخنوقة بقوة أكتر من ٣ أفراد أو بقوة غير طبيعية.

- الطفل الرضيع ميت من إهمال وتعذيب على مدار يومين، مش زي ما الأخ قال: إنه قتله.

- البنت وفاتها طبيعية مش زي ما الأخ قال: إنه قتلها.

- الخال ده متوفي من عشرين يوم تقريبًا ويستحيل يكون متواجد وقت الواقعة.

سألت عن الخال الغايب.

- قالوا: إنه سافر دولة أفريقية من زمان جدًا! ومجاش، وإنهم بعتوله عن طريق السفارة مقدرتش توصل ليه، وعن طريق الجوازات عرفوا إنه رجع مصر من سنة ومظهرش لحد دلوقت.

في نفس الوقت جه تليفون لمحمود بيه إن الخال التاني ده ظهر، وبيقول إنه عرف من طريق أحد الجيران اللي كان متواصل معاه، وإنه أصلا رجع مصر من سنة، لكن كان في قطيعة من عشر سنين أو أكتر بينه وبين إخواته، ولا شافهم ولا شافوه.

محمود بيه قالهم: يجيبوه على المشرحة يحاول يتعرف على الجثث، واستأذنوا هيشوفوا نتيجة قضية تانية في المعمل بتاعة مخدرات وهيقابلوا الخال ده تحت يتعرف على الجثث. طلبت الاحتفاظ بنسخة من كل الأوراق والمحاضر والتحقيقات، سلموا ومشيوا.

قعدت أقلب في الورق، كل الكلام متكرر. فضلت أقرا كل الأقوال، بعد ساعة تقريبًا لقيت قيد عائلي بتاع الأسرة دي.

ولقيت فيه حاجة لفتت نظري جدًا!!! الخال الميت والخال اللي المفروض هييجي تحت، توأم، توأم!!! بنفس تاريخ الميلاد. بدأت حاجات تتفتح، يبقى الخال ده قتل أخوه من عشرين يوم، واستغل وجه الشبه بينهم بإنه يظهر قدام الناس كأنه أخوه ولسه عايش، وراح قتل الأخت. لسه الحتة دي غامضة، بس ده تفسير منطقي جدًا!! قمت وقفت، طلعت موبايلي اتصلت بشعبان، قالي: الراجل موجود على الشباك هو ومحمود بيه وخالد بيه ولسه مدخلش، قولتله استنى متخليش حد يدخل، أنا جاي حالا، نزلت جري، خلصت الكوريدور ووقفت على باب الأوضة. ولقيته في وشي، بصيتله وسرحت، هو، نفس عينين الغل والحقد والكره، نفس العلامة الشيطانية اللي في جبينه زاوية قايمة متقاطعة مع (حرف S) شيطاني مقرز، مستحيل أخطئ فيه، وهو بيحاول يتجنب نظراتي ليه ويبص في حتة تانية. خالد بيه بهزار، أنت تعرفه ولا إيه يا دكتور؟ قولتله ده حبيبي، حبيبي من أيام التجمع.

وفجأة الراجل اندفع بكل قوته يجري خارج مبنى المشرحة. الكل واقف في حالة ذهول! محمود بيه بدأ يجري وراه، فتحت الباب وخرجت، الأمن على أول المشرحة شاف. قطع عليه الطريق، جري على أقرب عمود إنارة ليه، وفضل يخبط دماغه في الحديد بهيستيريا لحد ما وقع على الأرض فاقد الوعي.

كل الأحداث دي حصلت في عشر ثواني تقريبًا، وقفنا حواليه في ذهول، محدش فاهم أي شيء، لكن أنا بدأت أفهم، ومش عاوزه يموت، شفت النبض، ضعيف لكن لسه موجود، إسعاف بسرعة واتنقل بحراسة على أقرب مستشفى.

رجعت لقدام الشباك، سألوني فيه إيه؟ قولتلهم معرفش، دايمًا الجزء اللي وراي ده بحتفظ بيه لنفسي لأسباب خاصة، ولأن مش كتير اللي بيصدقوا ويؤمنوا بيه، وأنا مبحبش الجدال في حاجة مؤمن بيها، قلت: أنا شفت الورق فعرفت إنه توأم لأخوه الميت. لوقعت السيناريو اللي ممكن يكون حصل في الجريمة، ولما شافني بركز في ملامحه جري، حس إنه انكشف، وبعدين عمل اللي شوفتوه ده. كنت أنا المرة دي اللي بحكي وأنا اللي مش عارف أجيب عيني في عين حد، سيبتهم واقفين ومحدش فاهم حاجة، رجعت المكتب، قعدت، رجّعت راااااسي لورااا، يااااا ربي، أنا هخلص من الأرف ده امتى؟!! كفاااااية بقى، عاوز راحة أعصاب شوية، قبل ما أقوم من المكتب كنت حجزت سفرية لإحدى الدول بعد إسبوع وأجازة، كان لازم أفصل بأي شكل، نزلت ركبت عربيتي ومشيت من غير ولا كلمة، رجعت، أخدت شاور، أكلت ونمت، صحيت بالليل، نزلت، رحت المشرحة أشوف نتايج العينات بتاعة (DNA) الطفل الرضيع ابن الست فعلًا، أما أبوه هو ابنها، الست كانت حامل من ابنها، كنت متوقع شيء غير طبيعي، متفاجئتش أوي، رحت المستشفى اللي الأخ فيها، قابلت الدكتور وريته الكارنيه، قال: إنه عنده شرخ في الجمجمة ونزيف في المخ وإنه بيفوق وبيتكلم عادي، وإن هنستنى يومين بالعلاج وبعدها نشوف هل فيه تدخل جراحي ولا لا، اتحركت للعناية المركزة، حاطينه في غرفة منفصلة عليها حارس، أمين شرطة، كلمت محمود بيه اللي بدأ استغرابه مني يزيد ودخلته، لقيته نايم، أو فاقد الوعي، قربت في هدوء، صورت العلامة اللي في جبينه، فتح عينه بعد نور الفلاش، لقاني في وشه، قالي: بصوت ضعيف، اتأخرت ليه؟ شديت كرسي وقعدت، وقولتله: احكيلي، وبدأ يحكي.

الكلام طالع بصعوبة بس حسيته حس إن اللي قدامه قوى ومش هيسيبه ولا هيستسلم وهو مكانش فيه أي قدرة على المقاومة، ومكانش قدامه غير الاستسلام.

وحكى قصته، تظاهرت بإني باعمل تحويل للموبايل عشان محدش يتصل، وسمعته.

قال: إنه كان فيه خلاف بينه وبين أخته وأخوه، وإن أخته وأخوه كانوا بيشتغلوا بالسحر والأعمال، وإنه لما طالب بميراثه عشان يبعد عنهم رفضوا وعملوله أعمال كانت هتجننه، ساب كل شيء وراح الصعيد وانقطع عنهم تمامًا من أكتر من عشر سنين، ومن الصعيد سافر للسودان مع واحد يعرفه عشان يشتروا جمال وإبل ييجوا يبيعوها في مصر،

وبعدين استقر في السودان، ومنها لدولة أفريقية أخرى، من عمالقة السحر السفلي والأسود في العالم، وهناك اتعلم كل شيء؛ بل وتفوق، وادوله أعلى وسام عندهم وهو العلامة اللي على جبينه واللي اعتبروه بها حاجة اسمها قطب من الأقطاب، يعني من قيادات الطريقة دي في السحر، وهي طريقة بتمزج بين سحر السيمياء اللي هو يخليك تشوف رؤيا العين زي القطط كده، أو تحس إحساس تام زي الإيد اللي كانت على كتفي، أو تتوهم شيء زي المكالمة اللي حصلت، وكلها أشياء في الحقيقة غير موجودة، وبيمزجوا السيميا اللي بيسموه سحر الخداع بسحر سفلي أسود قاتل، ممزوج بنوع من التنويم المغناطيسي، سحر سيء وبشع وقاتل لأبعد الحدود، ولو معندكش إيمان يقدر يعمل فيك أي شيء، أيا كان لحد إنك تقتل أو تنتحر.

وإنه بعد ما امتلك الطاقة الرهيبة دي، قرر يرجع مصر من سنة عشان ينتقم من إخواته، في الأول باستخدام السيميا أقام علاقة بين اخته وابنها وكل منهم متخيل إن اللي معاه شخص آخر، لحد ما حملت، واستنى على ما يقرب معاد ولادتها، ومن عشرين يوم راح جنن أخوه اللي هو التوأم بتاعه وقتله وبيخط بخور أفريقي في البيت يمنع ريحة التعفن تمامًا، وبقى يستخدم سحر السيميا إنه يظهر قدام الناس كأنه اخوه، بل ويتكلم معاهم كمان ويطلع وينزل قدامهم، لحد ما أخته ولدت، لبس لبس أخوه وغطى وشه بداعي البرد، وركب عربية أخوه، وراح لأخته البيت. دخل وبالسيميا ظهرلهم كإنه الأخ الميت، وفضل قاعد مكانه لحد ما سيطر على البيت بالكامل، شل حركة الأم، وبالتنويم المغناطيسي وطاقة سحرية خلى الابن يخنق أمه بملاية السرير، وبقوة جن، كان مقرر إنه ياخد الرضيع معاه، لأنه بالنسبة له من أبناء الشيطان وهيقدر يملك بيه طاقة أكبر لما يقدمه كقربان، لكنه اكتشف إن الأم كانت بتعذبه ومبتأكلهوش عشان يموت وإنه بيطلع في الروح، البنت بنتها كانت مريضة أساسًا ومبتتحركش ومن هول اللي شافته جاتلها جلطة وماتت لأنها مش متعودة على كده، عمرها ما اشتركت معاهم في سحر، لكن هما كانوا بيستاهلوا، خليت الابن حفر حفرة وحط أمه فيها وحط عليها شوية أسمنت ومية، وبالسيميا والتنويم خليته بلع قرص من الأقراص اللي بيحفظوا بيها القمح، وخليته راح القسم قال كل اللي قاله وهو غير واعي، حاولت ألبس كله في بعضه وقمت عشان ألحق أكمل المخطط، وأروح آخد جثة أخويا أرميها في أي مكان ويبقى هو المتهم

وهرب وكده أبقى خلصت من الجميع، لكن اتأخرت والشرطة جت بسرعة، ملحقتش أنقل جثته، هربت من فوق السطح.

اممم، طيب وإيه اللي خلاك تظهر، كان لازم أظهر عشان أبعد كل الشكوك عني، لأن كده بوجود الخمس جثث لازم فيه قاتل سادس وكده كده كانوا هيعرفو إني دخلت مصر من سنة، وهيشكوا فيا، فبدأت أبعد أي حد إنه يوصل للسر وأولهم أنت، وكمان ظهرت عشان أبرأ نفسي وأبقى عارف أي أخبار جديدة عشان أتصرف لأني مبعرفش أوصل منك لحاجة، وأنا مفيش أي شيء يديني.

كنت بماطل في الأسئلة قدر الإمكان لأني كنت بعت من البداية رسالة على الواتس لمحمود بيه إن لما أتصل بيه يفتح ويسجل المكالمة وميتكلمش خالص، وطول كلامه محمود مقراش الرسالة وأنا قاعد أمط في الكلام وسايب السؤال الأخير لحد ما محمود يقراها.

سألته، طيب ما هما كمان كانوا شغالين في السحر ازاي قدرت تنتصر على الجن اللي معاهم؟

رد قال: بقولك أنا قطب من الأقطاب معايا ملوك ومردة وما دام اللي معاك أقوى كل الباقين يخضعوا ليه، محمود قرا الرسالة وبعت علامة.

اتصلت، فتح، وبعدين سألته سؤال مباشر، يعني إنت اللي قتلت أختك وسممت ابنها، وأخوك وأقنعت ابن أختك يروح يقول كده وخططت لده كله، صح؟

رد قال آه، وكان نفسي أعمل أكتر من كده كتير، بس الموت جزاء يستاهلوه.

قفلت المكالمة، مينفعش كلمة زيادة تتقال في التسجيل، مينفعش توصل التحقيقات أي كلمة عن سحر أو جن وإلا تبقى القضية باطلة، لأن دي أشياء غير معترف بيها، لا علمًا ولا قانونًا.

قولتله وإنت هتعمل إيه دلوقت وإنت متكلبش هنا ومفيش جن هينفعك، قال: متقلقش أخف بس وأعرف أتصرف، بصيت لملامحه لآخر مرة، حسيت إن أنا قدام شيطان، قدام المسيح الدجال بعلامة الكفر على جبينه.

قمت من غير ولا كلمة، خرجت.

كلمت محمود، قالي: كويس أوي، أنا في لحظة أخدت إذن تسجيل من النيابة بالتليفون وسجلت، بس إنت عرفت كل ده ازاي؟؟ قولتله: بعدين، بس الراجل ده هيهرب منكوا، قالي: ليه يا عم هو أنا سوسن!!

قولتله هفكرك.

رجعت الشغل، كتبت التقارير، بنفس الداتا اللي فوق، كتبت بإهمال في الوصف، لأني عارف إن ما دام المتهم وصل للمرتبة دي من السحر، مش هيتعاقب، ومسألة هروبه مسألة وقت، كنت عارف إن أنا بس اللي عرفت التفاصيل دي، وأنا بس اللي هعرفها لآخر العمر، لكن اديتلهم التسجيل عشان يقفلوا قضيتهم، كتبت كل شيء، خلصت وقعت وختمت وقمت مشيت.

بعد رجوعي من الأجازة عرفت إنه هرب أثناء ترحيله لمحكمة، مرضيتش أكلم سوسن قصدي محمود بيه عشان محرجهوش.

لحد النهارده القضية مفتوحة والمتهم الهارب محكوم عليه غيابيًا بالاعدام، ومش هيلاقوه.

مستعد دلوقتي لسيل الأسئلة والاستفسارات والهجوم وو إن القصة خيالية ووهمية وو و، وهقابل كل شيء بمرح زي كل مرة، لأنه لا يعنيني أي شيء غير إني أحكيلكوا وأعرفكوا مدي قدرتهم وصلت لفين، ومدي قذارتهم وصلت لفين، وإن بعضكم هياخد من كلامي العبرة والعظة وبس، وده المهم.

باقي حاجتين.

الناس اللي هنا في الجروب وقريبين مني عارفين كم المعاناة اللي شفتها عشان القصة دي تظهر ليكوا، وإنها بتتكتب من فترة، وكل شوية تقف كتابتها لسبب معين غامض ومفاجئ، في حين أي قصة تانية بتتكتب في تلت أربع ساعات، لكن دي بالذات كان فيه قوة غريبة مصرة على عدم نشرها، لكني عاندت كالعادة وأصريت على النشر، والكتابة رغم كل اللي بيحصل من أيام، لأن الكلب لسه حي وبيقاوم.

الحاجة التانية، هو لما كل الناس بتقول ونعم بالله، والله خير حافظا، وإن الدجالين ملعونين وكفرة، مين اللي بيروح لدجالين.

آخر إحصائية للمركز القومي للبحوث الجنائية بتقول: «إن المصريين بيصرفوا سنويا ١٠ مليار جنيه على قراءة الغيب وفك السحر والعلاج من الجان، وإن هناك دجال لكل ٢٤٠ مواطنا، وإن فيه ٢٠٠ الف شخص في مصر يدعون القدرة على معالجة الأمراض بواسطة تحضير الأرواح، وإن العالم العربي فيه مليون وربع دجال يمارسون الشعوذة والسحر» يعني باختصار ناس مننا بتروحلهم عشان تؤذي ناس، فالمصابين بيروحلهم عشان يعالجوهم، أو ينتقموا من التانيين، وهما بياخدوا فلوس من دول ومن دول، واللي راح يعمل حاجة عندهم كافر، واللي راح يتعالج كافر، وهما رأس الكفر.

انصحوا اللي حواليكوا ووعوهم، أوعوا تستهينوا بحاجة زي قراءة الفنجان، أو الكف، أو أي شيء زي ده يخرجكم من الدين كله. ساعتها تبقوا في إيديهم زي العجينة يشكلوكوا لخدمة مصالحهم بالشكل اللي عاوزينه، أوعوا تستهينوا، ربنا هو الحصن بتاعنا منهم، طول ما احنا بنحترم تعاليمه وباعدين عنهم مستحيل هنتأذي، لكن لو بكل إرادتنا روحنالهم، ربنا بيسحب ضمان الحصن والحماية، ومنكو ليهم بقا انتو زيهم، خارج الملة.

استعينوا بالله، بالله وبس، وبس، وخليكوا بعيد عن العالم ده، حتى لو كان عندك فضول، أنا للأسف اتحطيت في مواقف بحكم شغلي كان لازم أقرا وأعرف عشان أفهم وأقاوم، وبحاول أعلمكوا اللي اتعلمته.

ده عالم قذر قبيح كافر يتقرب للشيطان بكل أشكال الذنوب والكبائر، عالم عنده قدرات مستحيل تتخيلوها أو عقلكوا يستوعبها، ولكن المحصلة في النهاية إنهم بيموتوا كفرة مطاردين ورغم كل الأموال اللي جمعوها تلاقيهم في فقر مزري مش لاقيين حتى ياكلوا.

الحكاية الرابعة

لا أجمل من حالات موت تثير داخلك كل هذه الرغبة العارمة للكتابة بعد كل هذا الصمت، فتعتاد الجلوس ليلا على طاولة "ستاربكس" لم تقربها منذ زمن. تشرب فنجان قهوتك المر كحياتك، وتستدعي قلمك، صديقك، هذا المجنون، الأكثر بوحًا، الأكثر جرحًا. هذا الذي يكتب بلغةٍ غير اللغات، بأبجدية حملت سفاحًا بحرف تاسع وعشرين لم يُعرف له أب حتى اللحظة. هذا الذي نصوصه لا يكفي طهارتها التمرغ سبعا في صالونات خبثهم لتتدنس، لنكتب إذًا يا صديقي، لنكتب كتاب موتي وكأنه امرأة أعادت لك كل هذا الشغف بعد طول انتظار.

وماذا يستحق الكتابة غير الموت، وهي وما تبقّى من وطن؟!!

في غياب الشمس تعلموا أن تنضجوا في المطر.

وفي بهو الحياة الفاخر، تعلّموا الإستعداد دوما لحالة موتٍ كضيف مفاجئ.

استعدوا له كما لو كان حبكم الأول، لا تقاوموه أبدًا، حين يطرق بابكم استسلموا له بكل ارتياح ولا مبالاة، الموت أكثر عبثية من أن تأخذه على محمل الجد.

يقول الموت: آلو. فأجيبوا دوما "نعم"، حتى لو أجابت الحياة: "لا".

الموت لا يختار عمرًا معينا لينسج قصته، إنه يباغتنا في الوقت الذي نحتاجه الأكثر، ونتوقعه الأقل، تحت أي عمر وفي أي طقس، قبل الخمسين وبعد الخمسين وفي الخمسين، قبل المطر، وبعد المطر، وتحت المطر.

الموت مفاجئ جدًا، هو ضربة قدر صاعقة ستصيبك، ستصيبك، ولا تفسير لها خارج اللوح المحفوظ، وهو غادر جدًا، لا أحد يدري لماذا هاجم هذا المكان بالذات، لينتقي

هذا الشخص بالذات، في هذا التوقيت بالذات، ولا أحد عاد من الموت ليخبرنا على سرّه الكبير، ربما لأجل هذا أكتب هنا، لأن مَن عايش حالة موتٍ وجب عليه أن يقصّ على الناس عجائبه، ويصف لنا سحره، ويحذرنا خطورته، لوجه الله، ووجه الأدب.

اقتحموا سادتي اقتحموا، فاجئوه ببرودكم حين يفاجئكم بحرارته.

هل الجثث تنتقم؟!! طيب، الحكاية المرة دي هتكون غير، هتيقى نهاية برضه لمجموعة أفراد فيه رابط بينهم، لكن مش صادمة، دي صاعقة! صاعقة بشكل لم تشهده المشرحة من قبل ولن تشهده بعد، وأخطر ما فيها إن محمود لم يُعانِ من أي مشاكل متعلقة بالجن والسحر والقوى الخفية طيلة حياته، إلى أن جاء يوم وفاته، الخطورة كلها تكمن في إنه كان عايش طبيعي جدًا، تمام زي أي واحد فينا، بدون أي إشارات أو أشياء غير طبيعية وفجأة جاءت الصعقة، صعقة بكل معنى الكلمة، أنا وإنت وإنتي ممكن نكون كده، أو نتعرض لانتقام مميت بدون أدنى سبب، وتكون نهايتنا صاعقة، ومشابهة تمامًا للي عمله محمود، لكن المرعب إن الموضوع مبقاش يقف عند الموت، مش قصة موت وبس، ده فيه بقايا حياة بعد الموت، ممكن تاخد ساعات، وممكن سنين، أو بالأدق سلاسل انتقامية متتالية استمرت حتى بعد الموت، أوعوا حد يموت زعلان منكم.

***

الزمان: مايو ٢٠١٧.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: التاسعة ليلًا.

النهارده القصة مش بس مختلفة لأ، ومخيفة، مخيفة فعلًا.

أسرة مصرية عادية جدًا مات الأب والأم فجأة من أكثر من عشر سنوات؛ إثر تسرب غاز في شقتهما، وتركا منزلًا بدائيًا مكون من أربعة طوابق تم تقسيمه بين الأبناء كالتالي:

- الدور العلوي: يقطن به محمود، وهو في الثانية والأربعين من العمر ولم يتزوج لانشغاله بمصاريف زواج شقيقيه وشقيقته فأهمل نفسه حتى ضاع به العمر دون رفيق.

- الدور الثالث: يقطن به يحيى شقيق محمود رفقة زوجته سحر وابنهما أمجد.

- الدور الثاني: يقطن به عصام شقيق محمود الأصغر المسافر للخارج وزوجته منى وابنتهما هند.

- أما الدور الأرضي: فيقطن به شيماء شقيقة محمود المطلقة بعد ست سنوات زواج لأنها عاجزة عن الخلفة.

وكانت هذه الحياة التقليدية مأساة محمود اليومية المتكررة.

محمود بيصحى يوميا على كم خناق ومشاجرات بين إخواته لا ينتهي، وكل ما يحاول يتدخل بالصلح يتلقى سيل رهيب من الإهانات من إخواته وزوجاتهم، مرة عاتب زوجة أخوه إن صوتها عالي وهي بتشتم زوجة أخوه الأخرى، وطلب منها بأدب توطي صوتها عشان الجيران والفضايح فطالبته بوقاحة بعدم التدخل وقامت بالبصق في وجهه أمام أخوه الذي لم يحرك ساكنا.

محمود يعمل ميكانيكي سيارات، يعود ليلا من ورشته، لا زوجة ولا أبناء، فيشتري بكل ما اكتسبه فاكهة وطعام ويمر يوزعها على بيت إخواته، فياخدوها منه من على الباب ويقفلوا الباب بسرعة بحجة إنهم نايمين، حتى أخته كانت تعامله بمنتهى الجفاء والاحتقار، ولو لقيته نازل على السلم تقفل الباب بسرعة عشان ميدخلش عندها، أما وهو طالع فأكيد جايب حاجات، تستناه تاخدها منه على الباب وتقفل بسرعة في وشه لأنها عاوزة تنام، كل اللي كان بيحلم بيه محمود لا زوجة ولا أبناء، خلاص هو نذر عمره لاخواته بعد وفاة أبوه وأمه، لكن كأي كائن بشري، كل اللي كان بيحلم بيه شوية تقدير، شوية حب، مواقف كتير عملها محمود مع إخواته وأسرهم بكل الحب واتقابلت بمنتهى الإهانة، لدرجة إن ولاد إخواته الأطفال بقيوا يشتموه ويهينوه بكل الألفاظ اللي لسه حتى ميعرفوش معناها، ولكن بيسمعوها من أهاليهم.

فكرت كتير في قصة محمود وليه كانوا بيعاملوه كده، بحثت ودورت كتير وراه، ملقيتش غير سبب واحد، إن معظم قلوبنا كبشر للأسف ملونة، أسود وأزرق ورمادي، كل واحد ليه لون، والقلوب دي ميتقدرش تستوعب أبدًا إن فيه قلوب بيضا زي التلج، دي حاجة أكبر من قدرتهم على الاستيعاب، فيفسروا أي موقف إنساني نبيل بأي تفسير آخر قذر.

قلوب عاملة زي المنشور الثلاثي اللي كنا بناخده في حصة العلوم، بيجي عليها شعاع الضوء الأبيض الواضح النقي، فتحوله لألوان قوس قزح المختلفة، أحمر الكره، أصفر الحقد، بنفسجي الحسد وهكذا، لكن عمره ما يستوعب إن ده فعلًا كان ضوء أبيض نقي شفاف واحنا اللي بكل صفاتنا السيئة اللي حولناه لأشكال تانية وشوفناه زي بس ما عاوزين نشوف، وباللون اللي يناسبنا، ويليق بينا، وقل لي لون قلبك، أقل لك موديل ضميرك!!

محمود مكانش ليه غير صاحب واحد بس، عم حسني، وده كان صديق والده، راجل عجوز وحيد مراته توفت وملهوش أولاد، لكن زي ما بيقول إن محمود كان ابنه اللي مخلفهوش، عم حسني فضل يحكيلي أكتر من ست ساعات عن محمود وكم الطيبة اللي كانت فيه، وكم الإهانات والصدمات اللي أخدها من إخواته، بيقول: إن محمود كان بيدخل عنده ينهار من البكاء بسبب إهانات إخواته ليه، ويخرج يقابل إخواته بابتسامة عريضة ناسي كل شيء، عم حسني ضغط عليه كتير يسيب البيت ويبعد عنهم ويتجوز لكن محمود مش عاوز يسيب بيت أبوه وأمه اللي اتربى فيه، كمان خايف يسيب إخواته وحدهم رغم كل اللي بيعملوه معاه، عصام أخوه ومراته أخدوا منه عربيته بالعافية وخلوه باعها ليهم بيع وشراء بدون مقابل، حتى الحاجة الوحيدة اللي أخدها من ميراث أبوه وأمه، (عُقد دهب) كان بتاع أمه وكان بيحبه جدًا، أخته سرقته منه وقالتله: إنها مشافتهوش رغم إنه شافها لابساه في يوم، وبعد كده بقيت لابساه باستمرار بكل بجاحة، يحيى أخوه مكانش ليه دور مؤثر، لكن كان يكفي محمود منه نظرات الاحتقار والإهانة اللي كان بيقابله بيها في كل مكان

لحد ما جه يوم المأساة.

محمود راجع البيت بالليل بعد شغله، فات اشترى فاكهة وأكل وحلويات للأطفال، دخل البيت سمع كالعادة خناقة جديدة، المرة دي أخته طرف أول، قصاد زوجتيّ إخواته الاتنين كطرف تاني، محمود ساب الحاجة اللي في إيده على الأرض واتدخل بينهم كالعادة، حاول يهدئ أخته، فدفعته بعنف وبصقت عليه وقالتله: بتكلمني أنا بدال ما تضربهم، حاول يهدئ مراتات إخواته ويقول عيب اتهالوا عليه الاتنين ضرب بالشباشب لمدة خمس دقايق وبعدها سحر أخدت حديدة من جنب الباب وضربته على إيده، كل

ده حصل قدام أخوه يحيى اللي واقف يتفرج على الباب وولع سيجارة، محمود فضل واقف والشباشب نازلة عليه مع أقذع أنواع الشتائم وهو في حالة صدمة مهولة مش بينطق وعينه مليانة بالدموع ومش بيتنزل عن أخوه اللي بيشرب سيجارة باستمتاع وبيشاهد الموقف، محمود جر رجليه لحد ما وصل شقته، دخل وقفل الباب ومخرجش تاني من يومها.

خمس أيام مخرجش من باب الشقة. عم حسني قلقان عليه جدًا، لكن الراجل العجوز ميقدرش يطلع السلم (٤ أدوار) يشوف محمود، ولأنه سمع خناقة آخر مرة كان معتقد إن محمود متأثر وقاعد في بيته كام يوم على ما يبقى كويس. الإخوة اللي تحت كانوا بيتابعوا كل يوم يشوفوا محمود فتح الورشة ولا لأ عشان مستغربين إنه مبقاش بيعدي عليهم حاجة بالليل ودي حاجة مضايقاهم لكن مفكروش لحظة يطلعوا يخبطوا عليه. خمس أيام لحد ما الريحة بدأت تطلع والجيران بلغوا جت الشرطة كسرت الباب، لقيت محمود ميت. وتم نقله لمشرحة زينهم وبدأت بعدها الخمس أيام المأساة في تاريخ الحارة الشعبية دي اللي مستحيل هينسوها لآخر يوم في عمرهم.

- شعباااااااااااان.

جاي في الكوريدور بيغني: أنا مش عارفني أنا تهت مني أنا مش أنا لا دي ملامحي ولا شكل شكلي ولا ده أنا.

- هو إنت كان شكلك إيه وإنت صغير يا شعبان؟

- بص يا معالي الريس: أنا كنت حتة بتاعة سودا كده وصغيرة بس العيال كلهم كانوا بيخافوا مني. عشان شكلي مرعب.

- طيب وإنت أمك لما كانت بتنيمك كانت بتخوفك بإيه؟

- لأ، أنا اللي كنت بنيمها يا ريس، بس لما كانت بتنيم حنان أختي كانت بتغنيلها، نامي نامي يا حنان، لاجيبلك ودان شعبان، فالبت كانت بتنام على طول.

- اممممم، طيب وإيه الأخبار عندنا تحت؟

- مفيش حاجة غير جثة الفرحان اللي لسه جاي من شوية وقاعد يضحك ويضحك الميتين وعامللي فيها عادل إمام وسط الجثث تحت.

- امممم، ومين معاك تحت؟

- مفيش غير الحاخام حزين بس؟

- مين الحاخام حزين؟

- الشيخ سعيد، أصل أنا قالب عليه اليومين دول.

- اليومين دول!!!! عمل معاك إيه تاني؟

- مفيش، أنا كنت اديته تلات حبايات بيجيبوا إسهال على إنهم فياجرا، وقلتله اسمهم النملة المتوحشة، وقلتله جايين من برا ولازم ياخدهم مع بعض وبقاله تلات أيام مطلعش من الحمام لحد ما بقى الحاخام حزين مش الشيخ سعيد.

- هو إنت بتعمل فيه كده ليه يا شعبان؟

- والله ما أعرف يا معالي الريس. هو رجل مصطنع كده، خبوء، أول ما أشوفه أحس إني لازم أعمل فيه حاجة.

- إنت عارف إنه لو اشتكاك رسمي هرفدك يا شعبان؟

- عادي والله يا معالي الريس، بس هو ميقدرش يعملها، لأنه عارف أنا هعمل فيه إيه!

- وهتعمل فيه إيه بقا؟؟

- لا هخليه نافع معاه لا نملة متوحشة ولا سور الصين العظيم، عشان بقا ياخد باله من شغله ويجوز ليه يغسل جثث الستات والرجالة عادي بدون محرم.

- طيب يلا جهز الحالة اللي تحت، وأنا جاي أهه.

- أوامرك يا معالي الريس.

طلع في الكوريدور وبيكمل غنا: واتدحرج وأجري، يا شيخ سعيد، وتعالى على حجري، يا شيخ سعيد.

فضلت أشرب فنجان قهوة وأكمل كتابة قضية على أنغام أسطورية وصوت السيدة ماجدة الرومي يطهر أذني من دنس صوت شعبان.

"ما نفعها الأساور، والورد والمرايا * ومخمل الستائر، يراقص الزوايا"**

في دخلة شعبولا تاني جاي يقولي إن الجثة جاهزة، هي مين دي يا معالي الريس الولية اللي بتصوّت اللي إنت بتسمعها دي؟

اتنفضت من على المكتب بانفعال مفتعل، وقفت الأغنية، وعليت صوتي جدًا قولتله بص، ملعون أبو المشرحة على الشيخ سعيد عليك يا شعبان، إنما دي متجيش سيرتها على لسانك تاني، فااهم؟

الواد اتخض، قالي: ماشي يا معالي الريس وجه ماشي، وسامع الشيخ سعيد بيسأله هو الريس بيزعق ليه؟ وهو بيقوله أصلي شتمت الولية اللي بتغني وشكلها قريبة الريس باين.

خلصت القهوة لبست بدلة الحرب ونزلت، الشيخ سعيد مقابلني هفتان يا عيني وأصفر ومش قادر يقف.

سألته مالك يا شيخ سعيد؟ قال: مفيش يا ريس شعبان اداني مقويات وقالي: إنها ممتازة؛ بس جابتلي إسهال ومغص بقالي كام يوم وشعبان بيقولي: أكيد طلع عندك حساسية منها.

شعبان جاي جري عشان يلحق الكلام، وبيقول أكيد حساسية، صح يا معالي الريس، قولتله: يمكن، قالي: وهو بيشاور بصباعه على الشيخ سعيد أصل الأشكال دي يا ريس مش متعودة على الحاجات النضيفة، دخلنا القاعة وهو بيقول: دنا جايبله النملة المتوحشة من آخر الدنيا والله.

بصيت على الأخ محمود وهو نائم متعفن وواضح السعادة الطاغية على وجهه وضحكته، ورائحته نفاذة، على غير العادة، لدرجة إني قلت لشعبولا هات بخور، فراح يجيب عود بخور وأنا بتأمل محمود اللي فاتح بؤه كأنه بيضحك بهيستيريا وسنانه كلها باينة، شعبان دخل ماسك البخور وبيدوّر على مكان جنب الجثة يحطه فيه مش لاقي،

فضل يدور يمين وشمال وبعدين بص لمحمود وقاله: لا مؤاخذة وجه حاطط عود البخور في فلجة بين أسنانه.

بدأنا (الريكوردينج)

«الجثة لذكر في الأربعينات من العمر متوسط القامة والبنية، يرتدي تي شيرت مقلم ويبدو عليه مظاهر التعفن الرمي المتقدم المتمثلة في اسوداد البشرة، وتفلسها واخضرار البطن وانفجارها على الجهة اليمنى السفلية وانتفاخها، وبروز العينين وبدء ظهور الديدان بما يفيد مرور قرابة خمسة أيام صيفية على الوفاة، عدا ذلك لم نشاهد أية إصابات خارجية ظاهرة، وبإجراء الصفة التشريحية تبينًا أنْ الوفاة حالة مرضية بالقلب نتجت عن جلطة بشرايين القلب ربما بعد حالة صدمة أو حزن شديدين».

تمام كده القصة منتهية، حالة وفاة ليس بها أي شبهة جنائية، ومفيش أي شيء غريب غير ضحكة محمود وصوت الضحك الهيستيري اللي شعبان بيقول عليه بيطلع من التلاجة، وكأن حالة محمود اللي اتحرمت من ضحكة سعيدة طول حياتها طلبت معاها كوميديا بعد الموت، تم التشريح والخياطة، الجثة رجعت التلاجة الكبيرة، صوت الضحك كان مسموع للجميع، ضحك شرير متقطع بأصوات متقطعة، عم حسني حاول يجيب أخو محمود بالعافية يستلم جثة أخوه، رفض، كانوا مشغولين بالخناق أثناء الاستيلاء على محتويات شقة محمود، جه وحاول معايا كتير يستلمها، رفضت مخالفة القانون، وفضلت الجثة في التلاجة وبدأت بعدها الهيستيريا.

حريق غير معلوم السبب في نفس يوم الوفاة أدي إلى تفحم منزل العائلة بالكامل لكن محدش اتصاب، لأن الحريق بدأ من شقة محمود فجريوا كلهم على الشارع لكن الحريق مفيش حد كان قادر يسيطر عليه وحرق البيت بالكامل، وبالتالي اتفرقوا كل أسرة أصبحت مقيمة يا إما في شقة مؤجرة، يا إما عند حد من قرايبهم، وبمجرد شروق شمس اليوم التالي بدأت سلسلة انتقام محمود.

اليوم الأول:

منى مرات عصام اللي مسافر برة وهند بنتها كانوا عند أخت منى، قاموا مذعورين من النوم في حالة هيستيريا وبيقولوا إن محمود ظهرلهم بالليل لكن في شكل غريب، ليه

عيون حمرا دم ومرعبة وبيضحك بهيستيريا وكان في أوضة معدنية وسط مجموعة كبيرة من الجثث، وقالهم: إنه هينتقم منهم وإنه هياخد حياتهم جزاء اللي عملوه. منى قامت من النوم مذعورة، اتصلت بجوزها عصام في إحدى الدول العربية، المرعب إنها لقيت عصام في نفس حالة الهيستيريا، وإنه شاف نفس اللي شفوه بالظبط. وقالها: إنه مرعوب وهيرجع مصر في أسرع وقت، وطلب منها تروح بيت أبوها وأمها لحد مييجي. منى قامت لمت حاجتها الباقية اللي كانت شنطة صغيرة فيها اللي لحقت تاخده قبل الحريق حطت الشنطة على كتفها وأخدت بنتها على إيدها ونزلت. ركبت أتوبيس نقل عام، وصلت عند المحطة اللي فيها بيت أبوها وأمها، وقفت عند باب الباص شايلة بنتها على إيد والشنطة بإيديها التانية بتسند على الباب، والباص بيتحرك ببطء رجلها اتزحلقت، الشنطة شبكت في باب الباص من ناحية ولفت على رقبتها من الناحية التانية، ومني في الشارع والباص بيتحرك مسافة (٢٠٠ متر) ساحب منى من رقبتها وبنتها مخبوطة في الأرض في راسها، وكل الشهود في المحضر أجمعوا إن منى طول فترة السحب كانت بتصرخ وتقول: لا يا محمود. ارحمني يا محمود، لحد ما سكتت أنفاسها وماتت، بنتها تم نقلها لأحد المستشفيات وماتت فور دخولها من نزيف داخلي بالرأس والبطن. الجثث تم نقلها للمشرحة في نفس اليوم، مكوناش نعرف وقتها علاقتها بمحمود، اتصلوا بيا تزات العصر أشتغلهم، كل شيء طبيعي في المشرحة باستثناء أصوات الضحك من التلاجة الكبيرة اللي كانت بتزيد جدًا وقت كل حادث بيحصل على مدار الأيام الخمسة. وبدأت أنا وشعبولا نشتغل جثة الست وابنها، مشوفتش لسه الورق.

- إيه يا شعبولا قصة الست دي وبنتها؟

- دي يا ريس أمين الشرطة بيقول إنها كانت نازلة من الأتوبيس شايلة بنتها والشنطة بتاعتها شبكت في الباب وعلقتها من رقبتها والباص ماشي، وبيقول إنها كانت بتصرخ وتقول أغنية يوسي ومحمود الليثي: محمود إيه ده يا محمود، هي الناس دي بتصلي كده ليه، محمود إيه ده يا محمود هي الناس دي عاوزة مني بقا إيه!

- قولتله باستفسار: ومحمود بقا قالها إيه؟

- بدأ يقلد محمود الليثي وهو بيغني، وبيقول:

- قالها: تعالي جنبي، يا روح قلبي، تعاااالي.

- قولتله: طيب جهزهم يا شعبان وخلي يومك يعدّي عشان أنا منمتش. بدأنا نشتغل

جثة البنت واضح إنها مشنوقة بإيد الشنطة فعليًا، وواضح إنها اتسحلت على الأرض مسافة طويلة، وإن سبب الوفاة اسفكسيا الشنق، والبنت الصغيرة واضح انها اتصدمت على الأرض بعنف عملها نزيف في المخ ونزيف بالبطن، وده سبب الوفاة. طيب يلا خيّط يا شعبولا الجثث، وبقلع عشان أمشي فضل يلح عليا شعبان إني أستنى عشان يوريلي حاجة لما يخلص، خلص خياطة، وبعدين حط الجثة على شيزلونج، وقالي: شوف بقا الحركة دي، فضل يزق الشيزلونج في اتجاه التلاجة الكبيرة وبمجرد ما وصل عندها الضحك يزيد جدًا ووش البنت يزرق جدًا، يبعد عنها الضحك يهدا تمامًا ووش البنت يرجع عادي، يقرب تاني منها يحصل نفس الشيء، وأنا مش فاهم شيء، ولا يخطر ببالي لحظة أساسًا إن دي ليها علاقة بجثة الفرحان بتاع امبارح، فبقول لشعبان طيب ليه بتعمل كده؟ قالي: عشان الفرحان اللي بيضحك ده اسمه محمود، ودي كانت وهي بتموت بتغنيله إيه ده يا محمود، ففرحان بيها بقا.

بصيتله باحتقار وسيبته وخرجت ومش في دماغي وهو عمال يلعب بالشيزلونج زي العيال الصغيرة ويقربه من التلاجة ويبعده، بركب العربية لمحت عم حسني واقف قدام المشرحة ناديت عليه، سألته إنت لسه ما أخدتوش الجثة؟ قالي: دانتوا جالكم النهارده مرات أخوه وبنت أخوه، والبيت بتاعهم كله ولّع، ومش هيهدأ محمود ولا روحه إلا لما ياخد كل حقه منهم، بدأت أربط اللي حصل جوه بكلام الراجل، قولتله اركب، ركب جنبي وفضل يحكيلي كل اللي حكيته فوق، بدأت أتعاطف مع محمود بشكل غير طبيعي، في نفس الوقت مش فاهم إيه اللي بيحصل، وازاي محمود ليه القدرة دي على الانتقام!! وهل الأرواح ليها قدرة على الانتقام أساسًا؟!! وازاي؟ ولحد امتي؟ وهل هيكتفي محمود باللي حصل؟ عم حسني نزل في موقف السيدة عائشة بعد ما أخدت رقمه وروّحت وأنا مشغول جدًا بالتفكير في الشيء اللي أول مرة يحصل ده، جثة بتظهر لناس في نومهم وتهددهم بموتهم ويموتوا بعدها بشوية وبطريقة بشعة.

روحت نمت، صحيت الساعة تلاتة الفجر على اتصالات متتالية من زفت الطين، ودار الحوار التالي:

- عاوز إيه يا زفت، أنا مش قولتلك هنام.

- ماانتا نمت شوية حلوين أهه يا ريس وغلط عليك النوم الكتير ده.

- إنت ماااال أهلك، عاوز إيه دلوقت؟

- أصل محمود قاعد يضحك على آخره فقولت أعرفك.

- ***، أقسم بالله يا شعبان لمعرفك إنك تصلي ركعتين استخارة قبل متفكر تتصل بيا بعد كده، ماشي!!

- والله يا ريس ما بهزر، هو قاعد يضحك قلت ليكون عاوز حاجة ولا حد من الميتين بيزغزغه دخلت قعدت أسأله عاوز إيه مبيردش، قولتله طب والله لقابل للريس إنك عامل شغب.

قفلت في وشه عشان أنفجر من الضحك من غير ما يسمع، بيهدد الجثة إنه هيقولي، وبيتكلم بمنتهى الجدية.

ساعة كمان وفضل يتصل مردش عليه، لحد عشر اتصالات، رديت عليه.

- نعم

- فيه جثة يا معالي الريس قريبة محمود.

- بدأت أنتبه وأنا بسأله ظروفها إيه؟

- قالي: واحدة اسمها سحر مرات أخو محمود اسمه يحيى، كانت نايمة عند جارتيم هي وابنها وصحيت مفزوعة من النوم وبتصرخ وبتقول: محمود جالي الأوضة ماسك حديدة في إيده عاوز يضربني ويموتني، جابولها دكتور وادالها منوم ومهدئ ونامت، جم يصوا عليها لقيوها كأنها واكلة علقة موت هي وابنها وميتين على السرير، الشرطة جابتهم وبيقولوا مفيش أي آثار اعتداء ولا أي شيء في المكان، عشان لما أقولك يا ريس محمود عاوز حاجة تبقى تصدقني، هو محمود ده بلطجي يعني ومحدش قادر عليه يا ريس ولا إيه؟

- بدأت أصحصح وقولتله أنا جاي دلوقت.

نزلت ركبت عربيتي ورحت دخلت وأنا سامع صوت ضحك محمود العادي اللي بقاله يومين، الجثتين كل جثة على شيزلونج في الكوريدور، قولتله اعملي قهوة بسرعة، راح يعمل بصيت عليه لحد ما طلع وزي العيال الصغيرة بقيت أعمل زيه بالظبط، أقرب الشيزلونج من التلاجة الكبيرة الضحك يزيد أبعده يقل، وأجرب كذا مرة وأنا خايف ييجي فجأة يشوفني ويعلّم عليا، لحد ما جه، شربت القهوة وقولتله يلا دخّل الجثتين على الترابيزات جوه، وهو ماشي قدامي قالي: باقتراح وهو فرحان، تيجي يا ريس نقرب الجثث من التلاجة الكبيرة ونشوف الضحك هيزيد ولا لا، زعقت بصوت عالي: هو احنا مش هنبطل لعب العيال ده يا شعبان؟ جثث إيه اللي توديها عند التلاجه يا تافه إنت. مشي بامتعاض ودخل الجثث القاعة.

بدأنا بجثة سحر، دي حالة ست واكلة علقة موت مفيش مكان في وشها سليم، علقة موت بكل معنى الكلمة وبأدوات لا يمكن تحديدها على وجه الدقة، لكن المؤكد إنها أدوات غير حادة، يعني أشبه بخشبة أو حديدة تقيلة وعريضة، ومن عنف الضرب عمل كسور بالجمجمة ونزيف بالمخ أدي إلى الوفاة، الغريب إن الدكتور اللي فضل في البيت فترة بعد ما سحر نامت بالمنوم، والشهود والجيران أجمعوا إن مفيش مخلوق دخل أوضة سحر وابنها، وإن الدكتور شافها بنفسه وخرج وقفل عليهم الباب وبعد نص ساعة داخل يبص عليها قبل ميمشي لقي الوضع ده لدرجة إن الدكتور نفسه أغمي عليه.

جثة الطفل أمجد (٨ سنوات) تلقى نفس الضربات لكن على ايده وجسمه بنفس العنف والقوة لكن سبب الوفاة شيء تاني مذهل، ضربة على الرأس كأنها ضربة شاكوش اخترقت العظام والمخ وعملت فيه تهتك ونزيف ووفاة فورية.

الموضوع بدأ يزيد ويزداد عنف، ومبقاش فيه حد فاهم شيء، كان مفهوم الأول إن حد يموت مظلوم ويتكفل الزمن والقدر بأخذ حقه هو المفهوم السائد، أما مفهوم إن روح موجودة في تلاجة موتى بتضحك وبتنتقم من كل اللي آذوها وبتزداد ضحكاتها بشكل هيستيري، ده اللي شيء غريب ومرعب.

اتصلت الصبح بعم حسني، لقيته مبسوط وعنده علم باللي حصل وبيؤكد إن لسه فيه انتقامات في الطريق، وإن محمود مش هيهدا إلا لما ينتقم منهم كلهم، لدرجة إني شكيت

في عم حسني نفسه، وخليته جه عند المشرحة، وتأكدت إنه راجل طيب وليس له أي علاقات شعوذة أو دجل.

عم حسني قالي: إن يحيى أخو محمود خاف جدًا جدًا من سلسلة الانتقامات اللي حصلت، وحس إن محمود فعليًا بينتقم منهم خاصة إنه قعد يصرخ الفجر ويقول إن محمود عاوز يخلع عنيه، وجري راح على دجال مشهور جدًا بإحدي مناطق القاهرة.

المغرب لقيت عم حسني بيتصل بيا وبيضحك وبيقول إنه عنده خبرين ممتازين، الأول إن يحيى مات، وإنه كان عند دجال اسمه (الشيخ سباط) وإن الدجال قاله: إن محمود بينتقم منكم، وإن فيه اتنين من الجن تابعين لروح محمود سكنوا جسد يحيى، وإنه بيحاول يخرجهم ومصرين على الخروج من عين يحيي، ويحيى زاد رعبه خاصة إن محمود هدده بخلع عنيه، وبدأ الدجال يقول طلاسم وتعاويذ ويحاول وفجأة انفجرت عينين يحيي ومات وإنه في طريقه للمشرحة.

أما الخبر التاني إن عصام أخو محمود اللي مسافر في إحدي الدول العربية كان في المطار عشان ييجي مصر، ولما عرف اللي حصل لإخواته ومراته وبنته خاف يرجع مصر وطلع من المطار راجع لمحل إقامته وتعرض لحادث سير مع سيارة نقل ضخمة.دهست العربية اللي كان فيها وجثته اتقطعت (١٠٠ حتة) وإن أحد سكان المنطقة اللي مسافر مع عصام في نفس البلد العربية اتصل بالجيران وبلغهم باللي حصل وإن الجثة هتتبعت لمصر.

عم حسني قالي: إنه رايح المشرحة عشان يشمت في يحيى، فضلت في المشرحة مستني لحد ما جت جثة يحيى، شعبان المجنون عاوز يروّح عشان مراته اللي بتولد زي الأرانب كل شهرين ونص حامل وتعبانة، وأنا حلفت ما هو متحرك إلا ما أنا أمشي، جثة يحيى أنا بعتبرها أغرب جثة شفتها في حياتي على الإطلاق، جثة فيها العينان منفجرتان تمامًا وكأن تم خلعهم بسكينة كبيرة جدًا، منظر عجيب ومرعب. هتشوفوه في الصور، ومفيش أي سبب لحدوث ده، مفيش أي مبرر قادر أقوله في التقرير، تم ضبط الدجال وأعوانه ولا زالت التحقيقات مستمرة.

بعدها بيوم وصلت جثة عصام، أو بمعنى أدق بقايا جثة عصام، اللي برضه هتشوفوا أجزاء منها في الصور، واللي اتقطعت جثته لقرابة (٣٠ حتة) ولم يتبقّ من الأسرة كلها إلا الأخت، شيماء، اللي فهمت القصة بسرعة، وجريت على عم حسني ينقذها من بطش

محمود وانتقامه، وحلفته بالعيش والملح تفضل عنده في بيته، وإنه الوحيد اللي يقدر ينقذها من محمود. أخدها وجه بيها على المشرحة وخلص إجراءات استلام جثث محمود وعصام ويحيى وولادهم، الجثث تزداد ازرقاقًا، ومحمود يزداد ضحكًا، حتى وقت الغسل، محمود يضحك وفتحة فمه تزداد اتساعا وشعبان يقول للشيخ سعيد إنت بتزغزغه وأنا هقول للريس، والشيخ سعيد يغسل جثة ويدخل الحمام عشان الإسهال ويتوضأ ويجي يكمّل وشعبان يقوله شُفيتم.

خلص تغسيل الجثث وخرجت مع بعض في مشهد غريب، يستدعي تفكير رأسي عميق، جثة محمود الضاحكة تقود الجثث الزرقاء خلفها، هم كانوا سبب في موته وهو قتلهم كلهم، ودلوقت هو القائد اللي نعشه قدام بيضحك وهما وراه في حالة يرثى لها. قبل ميمشوا اتكلمت كلمتين مع عم حسني، سألته إذا كان كده خلاص ومحمود هيسامح أخته وتنتهي القصة كلها.

قال: وهو بالمناسبة كان راجل عجوز يقارب الثمانين، لكن مثقف وقارئ ومؤمن وواعي جدًا - قال: جملة مفهمتهاش وقتها، قال: "يا طبيب، عندما يأتي الطوفان كلّ سيدفع ثمن ما ارتكب، وبنفس الطريقة". قال: كده ومشي، مفهمتهاش، يمكن الطوفان هو انتقام محمود، واللي ارتكبوه إهانة وجرح وإيذاء وحتى موت محمود، لكن إيه بنفس الطريقة مش فاهم.

مشيوا بقيت الساعة ٤ الفجر، قولت لشعبان والشيخ سعيد إني هطلع أنام في الاستراحة فوق، وبدأت أجمع الورق وطالع وسامع شعبان بيقول للشيخ سعيد كأنه دكتور بيسأل مريض في حزم، إنت دلوقتي بتدخل الحمام كام مرة في اليوم؟ وقفت في الكوريدور أسمع. الشيخ سعيد قاله: ييجي عشر مرات، شعبان قاله: بلهجة الطبيب الواثق، اممممم، بدأت تتحسن، بكرة هجيبلك حباية اسمها الهدوء العجيب هتريحك على الآخر، ساعتها انفجرت من الضحك، سمعوني وطلعوا، شعبان بيقولي هو محمود يمشي هتضحك إنت يا ريس، قعدت أحذر الشيخ سعيد مياخدش منه أي دوا وإنه بيضحك عليه، وبعدين شعبان التفت للشيخ سعيد وقاله: عارف يا شيخ سعيد الشياطين لما بتشوفك داخل الحمام بتقول إيه؟ رد الشيخ سعيد بالطيبة المعتادة بتاعته وقاله: بتقول

إيه يا شعبان؟ قاله: بتبص كده وأول ما بتلاقيك إنت اللي داخل بتقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث.

طلعت نمت، الساعة تسعة الصبح صحيت على اتصالات كتير، نزلت لقيت تحت جثة شيماء، وليها منظر غريب، كانت نايمة والعقد اللي لابساه بتاع أمها لف على رقبتها وخنقها، وشكل العقد مرسوم بدقة عجيبة على رقبتها، هتشوفوه في الصور، حتى الدلاية اللي في النص، بتجيلنا حالات كتير سبب الوفاة التفاف حاجة على رقبتها وهي نايمة، لكن قد تكون إيشارب أو شيء مماثل، لكن أول مرة أشوف السبب عقد مجوهرات، دي جديدة.

عم حسني مجاش، لأنه كان بيتحقق معاه لأنها ماتت في بيته، طلع بعدها بكام يوم، شيماء جه حد من ولاد أعمامها استلمها ودفنها، بعدها كلمت عم حسني واتفقت أقابله عشان يحكيلي أكتر عن واحدة من أغرب الحاجات اللي قابلتها في عمري كله. جالي المكتب، فضل يحكي، لفت نظري لحاجات غريبة جدًا عمري ما فكرت فيها!

عصام ومراته وبنته ماتوا في حوادث عربيات لأن أكتر حاجة أثرت في نفس يحيى منهم كانت الاستيلاء على عربيته اللي جابها بشقاه، سحر وابنها ماتوا بعلقة موت بحديدة لأنها تعدت يوم موت محمود عليه بحديدة، ودي أكتر حاجة أثرت في محمود، أخوه يحيى اللي كان بيقتل محمود بنظرات الاحتقار والاهانة اتخلعت عنيه الاتنين اللي كان بيبص لمحمود بيهم، شيماء أخته اللي سرقت منه عُقد أمه الغالي جدًا عليه ماتت مخنوقة بيه، افتكرت فورًا "يا طبيب، عندما يأتي الطوفان كلّ سيدفع ثمن ما ارتكب، وبنفس الطريقة".

بصيت تاني باستغراب لعم حسني، وتأكدت للمرة الثانية إنه بريء من أي علاقات ما-ورائية.

القصة دي فضلت شاغلاني لمدة طويلة جدًا، هل محمود كان ليه علاقة بجنية عاشقة ليه وهي كانت السبب إنه لم يتزوج؟ وهي اللي انتقمت ليه؟ ولا فيه شيء غريب حدث أثناء وجود محمود ميت في شقته؟ ولا فيه حد بينتقم لمحمود بقوة ما-ورائية؟ ولا ده تسلسل قدري بحت تم بشكل طبيعي دون تدخل؟ وإيه سر ضحك محمود وازرقاق الجثث؟ رحت يوم أنا وعم حسني لقبر محمود وإخواته، الضحك توقف، لكن بمجرد

وقوفك أمام القبر تحس بانقباض رهيب، وطاقة سلبية مهولة وإحساس متقدرش تقف فيه أكتر من ثواني. القضية دي اتحفظت بسبب غرابتها وعدم وجود متهم وعدم وجود أي تفاسير منطقية لتلت أرباع أحداثها، لكن المؤكد إن القضية دي هتفضل مفتوحة جوه عقلي لحد آخر عمري، وهتفضل أسألتها دايمًا مفتوحة، وبدون أجوبة، هل الروح المقهورة تملك القدرة على الانتقام لنفسها؟ وهل الروح في حالات القهر الشديد تظل معلقة حتى تأخذ حقها؟ وهل على قدر القهر يكون الانتقام؟ وهل يصل انتقام روح لهذه الدرجة من القوة والبشاعة؟ وهل تشعر الروح بما تم وتفرح مع كل عملية انتقام جديدة؟ وهل يصل فرحها لدرجة الضحك؟ هل يضحك الأموات أيضا؟!!! هذا ما لا يصدقه الأحياء.

متزعلوش حد أبدًا، ولا تزعلوا من حد، أي واحد فينا يموت مقهور وارد جدًا إنه يكون زي محمود وبنفس نهايته، وأي حد فينا يتسبب في موت حد مقهور وارد جدًا إنه يكون زي إخوات محمود وليه نفس النهاية، عيشوا في حالة هدوء ولا مبالاة، لا تزعلوا من حد ولا تخلوا حد يزعل منكم، الموت محيط بينا في كل مكان، وكل وقت، لا يقبل الرشوة من الأغنياء، ولا يهاب الملوك وأصحاب المناصب، ولا تُغلق دونه أبواب القصور والدور، الحياة بسيطة وقصيرة، والموت مفاجئ، وانتقام القدر للأرواح مبيرحمش.

الحكاية الخامسة

تمطر بغزارة هنا عند المشرحة الآن، المنظر بديع، ينقصه وجودكم، مباغت هو المطر، تمامًا كالموت.

يحب الموتى أول زخة مطر في الشتاء على سقف المشرحة، وعلى سقف قبورهم، تواسي أوجاعهم، يحبون هودج السحب البيضاء التي تُنذر بالمطر الأول، كقُبلةٍ أولى، كموعدٍ أول، يباغتهم المطر كأنه يد حبيبة تلامسهم للمرة الأولى، ينتفضون لقطراته المتسارعة، يفرحون بمجيئه جدًا، وكأنه سحائب رحمة أتت لتبشرهم بموعدٍ في الجنة.

المطر عندي هو الشقيق التوأم للموت؛ كل هذا المطر وكل هذه الجثث ذاهبون رغمًا عنهما صوب عروق الأرض، أحبُ كلاهما، وكلاهما رغم برودتهما يشعلان نار قلبي الصغير.

أثناء غيابي موتًا على قيد الحياة، وانشغالي بصيف البعد باذخ الألم، نضجت الغيوم، واستوى الحزن، وآن للشوق أن يهطل، وآن للموت أن يقول كلمته.

المطر دموع الموت!

يسعدني الآن أن أقف تحت كل هذا المطر وأعترف، أني أحبها.

حسنًا، جاء شتاء جديد إذًا، ولا زال بيني وبينها طقس رمادي يشبه هذا المطر، ولا زلتُ أشتهيها قبل المطر، وبعد المطر، وتحت المطر.

جاء شتاء جديد إذًا، ومعه ذاك السؤال المخيف: "ماذا تراكِ تفعلين بباطن الأرض تحت المطر من دوني؟". وفي المساء أترتجِف لذكرى نوافذ قبرك؟ أيوقظ رذاذ طيفي حنينك؟ كيف أنتِ يا ميم؟ أما زال عندك ذياك الوفاء للمطر؟!!

يسعدني أيضًا أن أعترف تحت كل هذا المطر أنني أحب الموتى كسماء سابعة تحتضن ست سماوات وأرض، مساء الحب عليهم، مساء شوقي إلى الموت، مساءهم سكر، وعطر فرنسية أخاذة، وأكثر.

***

الزمان: يناير ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الثانية والنصف ليلًا.

الجو برد جدًا جدًا على غير عادة الأيام اللي فاتت، اتصال من مباحث المجتمعات العمرانية الجديدة بيقولوا إن في أثناء الحفر لإنشاء بعض العمارات السكنية اللودر اللي بيحفر خبط في جثة فلقيوا حاجة غريبة جدًا، سبع هياكل عظمية مغطاة لأطفال مرصوصين جنب بعض في مساحة صغيرة، وواضح من الهيكل إنهم كانوا قاعدين ومربعين على الأرض، وأمامهم هيكل عظمي مغطي بجلد بني بشكل غريب جدًا، كأنه رأس مثلث ليهم لكن مفرود، وإنهم هينقلوهم دلوقتي للمشرحة، وواضح من وصفهم إن الجثث دي قديمة جدًا أو أثريك، بس إيه قصة الجلد البني ده؟ هنشوف...

- يا!!!! شعبولا، يا!!!! شعبولا، شعبا!!!!!!!!!!!ان.

- أيوه جا!!!!!!!!!!اي، إيه يا معالي الريس.

- أنا مش قولتلك بطل أسلوب الشوارع ده يا شعبان، هو احنا في قهوة.

- هه، بتقول إيه يا معالي الريس؟

- هه، إيه؟ (وهو بيشاور لي على قطن محطوط في ودانه الاتنين)

- لا والله، وإنت انطرشت بين يوم وليلة كده؟

- إيه؟ والله ما سامعك يا معالي الريس، استنى

راح جاب فني اسمه محمود وداخل بيه. محمود بيقولي يا ريس رحت مع شعبان امبارح لدكتور عشان يغسل ودنه، الدكتور وهو بيغسل ودنه اليمين خرمله طبلة الأذن، وبعدين لما شعبان حس بهوا داخل ودنه الدكتور قاله: عادي هتبقى كويسة وغسل الشمال خرمهاله برضه.

- إنت بتتكلم جد. دكتور مين؟

- دكتور اسمه أمجد حسين، اللي في المركز اللي ورانا ده.

- أنا في استغراب، مركز إيه اللي ورانا ده؟!!

- بص في الأرض وقالي: بتاع الخيول يا ريس، أنا اللي وديته، أصله كويس والله وهو اللي غاسلي ودني قبل كده.

- يخرب بيت سنينك، إنت وديته لدكتور بيطري.

- سكت مردش.

- أنا ضحك متواصل، والله معاك حق ما هو شعبان محدش بشري هيرضى يكشف عليه. زعقت جامد وقولتله إنت عملتله إيه يا شعبان لما خرم ودنك؟

- خرمته يا معالي الريس، خرمته زي ما خرمني.

- خرمته ازاي.

- هه، بتقول إيه يا معالي الريس؟

- بزعيق، خرمته ازااااي؟

- والله يا ريس أنا مكونتش هروح داحنا كنا قاعدين بالليل وبقول لمحمود عاوز أكشف عند دكتور قلب وأذن وحنجرة، فقالي: إن ابن الـ*** ده قريبه وإنه غسله ودنه قبل كده واداله علاج كمان، وهو جنب المشرحة بخطوتين، روحتله. فلما خرملي ودني الأولى، حسيت إن هوا ساقع بيخش في دماغي بس هوا خفيف كده، قولتله إيه ده؟ قالي: ده من الميه بس هتفك دلوقتي، وبدأ يغسل التانية، دي بقا حسيت إن صاروخ هوا داخل في دماغي، تقريبًا دي بحري والتانية قبلي باين، ولقيت الـ*** بيقولي: إيه ده؟ دانتا

ودنك غريبة الشكل عموما أنا هديك علاج يظبطلك الاخرام، اتنطرت من مكاني وقولتله اخراام؟ هي عجلة كاوتش يا ابن الـ***، وجيت مكتفه ومحمود بيشدني وجيت واخد منه الحقنة ودابيها في ودانه الاتنين خرمتهومله، وجيت رازعه على قفاه وفاككه حبل حصاني وجبت مجريهم في الشارع وماشي، ومن ساعتها مش سامع كويس خالص.

- بصوت واطي، لا أنا زعلت والله، دنا هصرفلك إعانة يا شعبان.

- ربنا يخليك لينا يا معالي الريس.

- أها، ما إنت سمعت أهه.

- هه، بتقول إيه ريس؟

- بزعيق، بقولك: إني هطلع ميتينك لو ودنك مطلعش فيها حاجة.

جبته وجبت منظار الأذن ويصيت، أقسم بالله، واحدة بسيطة وواحدة فيهم فيها خرم ولا خرم حمدي التقاز في ماتش الأهلي.

الواد ده سامع ازاي! الله يخرب بيتك يا شعبان.

- بزعيق، دول خرمين كبار فعلًا يا شعبااان دول عاوزين علاج قوي وممكن جراحة!

- أمال لو شفت الخرمين اللي أنا عاملهومله يا معالي الريس.

- هنشوفلك طبلتين حلوين في جثة تحت ونركبهوملك. هجيب د. أمجد يركبهوملك

- ده ابن *** غبي.

- بزعيق والله ابن الـ*** الغبي هو اللي يروح لدكتور بيطري يا شعبان، عموما، بيقولك جاي ٨ جثث، هياكل عظمية. ٧ اطفال وحد كبير دخلهم على طول ونشتغلهم نشوف إيه الحوار ده.

- تمام يا معالي الريس.

مشي وأنا كل ما أفتكر "خرمته زي ما خرمني" أموت من الضحك.

بعد ساعتين تقريبًا جه قال: إن الجثث جت تحت، كل جثة في كيس وحطهم في التلاجة الكبيرة وجاهزين. قولتله طيب طلعلي (٤ أطفال) على الأربع ترابيزات على ما أغير هدومي وآجي.

شربت أمريكان كوفي ولبست ونزلت، هياكل عظمية شكلها قديييييم جدًا، بفحص العظام تبين أنها تعود لألوف السنين، أما السن بتاع الجثة وقت وفاتها بنحدده عمومًا من الأسنان، وكمان فيه عملية تعظم بتحصل في العضم عند سن معين، يعني نهايات العظام بتكون غضاريف وعند سن معين بتتحول لعظم، ودي بنستخدمها في تحديد السن بدقة للجثث المجهولة، يعني على سبيل المثال ضرس العقل عند(١٨ سنة) بيطلع، تعظم عظام اليد عند(١٨) تعظم الترقوة عند (٢٢) تعظم القدم عند (١٦) تعظم الجزء السفلي من عظمة القص عند (٦٠)، وبنستخدم كمان التحام عظام الجمجمة عن طريق حاجة اسمها التداريز، أوك، عمومًا هو علم كبير جدًا بنحدد منه السن بمنتهى الدقة، وفي الأحياء بنحددهم بالأشعة طبعا، العظام دي أثرية ولكن دول مش أطفال، دول كلهم بين ٣٥ إلى ٤٠ سنة، دول أقزام!! كمان من شكل العضم بتاع الحوض وحاجات معينة مش هشغلكوا بيها بنحدد جنس صاحب الهيكل العظمي وهل هو رجل أم امرأة، ودول كلهم ستات، شعبولا بيقول: على فكرة يا ريس دول نُتي، رديت بزعيق، نعم، يعني إيه ده؟ نتي يا ريس جمع نتاية، قصدي إنهم نسوان يعني، وإنت عرفت منين يا شعبان إنهم ستات؟ قال: بص يا ريس للجمجمة دي كده، بص وتخيل وشها كده، تخيل، هتلاقيها كهينة بنت كلب.

أخدت من كل جثة كده أكتر عضمة محافظة على نفسها، وحرزتها، واديتها لحد يطلعها فوق عشان الـ(DNA) لأن لو سيبتهم تحت ممكن ألاقي شعبان عامل عليهم شوربة؛ لأن قبل كده لما كنا بنشرح أنا ومحمود جثة متعفنة مليانة ديدان وحشرات بتطير وهو واقف مستمتع إننا أرفانين وبيشرب شاي، فجت حشرة من حشرات التعفن طايرة في كوباية الشاي بتاعته، بصيلها وبص عليا وأنا مركز معاه مستني رد فعله، جه ماسكها بإيده ومغطسها في الشاي وقالي: النبي (صلى لله عليه وسلم) قال: غطسها تلات مرات، وكمل شرب، فده إنسان لا يمكن توقع أفعاله.

طب يلا لمّ دول كل واحدة في كيسها وهات التلاتة الباقيين، هه بتقول إيه يا ريس؟
بزعيق لمّ دول كل واحدة في كيسها وهاااات التلاتة التانيين يابو خرم.

جاب التلاتة التانيين نفس الوضع بالظبط، أقزام، عضم أثري، السن من (٣٥) إلى (٤٠)، وتني

خلصنا كده السبع هياكل عظمية وكله تمام زي الفل، هات بقا أبو جلد بني ده أما نشوف، وبدأ الرعب.

حطه على الترابيزة وبمجرد ما فتح سوستة الكيس النور قطع، ضلمة كحل، لكن أنا شفت وشه، ملفوف في بطانية وملاية، لكن وشه باين، شيطان غريب، لو قلت لحد أوصفلي الشيطان مش هيلاقي وصف أفضل من ده، قم مفتوح بأسنان تشبه الفار، شعر في مناطق ومناطق، عيون مقفولة لكن شيطانية الرسم، حاجة كده أول متشوفها قلبك يتقبض، الطبيعي في الحالة دي بمجرد ما النور يقطع، بعد عشر ثواني تقريبًا بيشتغل المحول الاحتياطي لأن مينفعش الكهربا تفصل عن التلاجات أبدًا، فات دقيقة مشتغلش، مشكلة كبيرة جدًا والمشرحة ضلمة كحل، قلعت الجوانتي، طلعت موبايلي من جيبي، بنوّر الفلاش، الموبايل كان شحنه(٨٠%) تقريبًا، وبمجرد ما شغلت الفلاش جابلي (battery empty).

وقفل.

حاجة كانت أول مرة تحصل إطلاقًا في الموبايل ده، برضه أخدت الأمر مصادفة وعادي جدًا، هنعمل إيه يا شعبولا، مردش عليا، بزعييق: شعبااااان، مردش عليا، أكيد طلع يجيب كشاف ولا حاجة، بدأت أتحرك مش شايف أي شيء، بحاول ألمس أي حاجة بإيدي أعرف أنا فين، إيدي جت على حاجة لزجة، حاولت أعرف إيه ده، إيدي جت في عين الجثة، بقول لنفسي كويس إنها مجاتش في بوّك جتك الأرف، بس فيه إحساس غريب، ضغطت عليها ببطء، كانت طرية بشكل مذهل بالنسبة لجثة هيكل عظمي، كأني بضغط على كيس لبن مثلًا، لحد ما سمعت صوت غريب، فاكرين أزايز الكولا الزجاجية زمان لما كنا بنفتح الغطا بتاعها؟ نفس الصوت بالظبط. فرقعة بسيطة، وخد عندك بقا، شوفت لما تفضل قاعد كتير على وضع معين وتيجي تقوم فتلاقي رجلك متنمّلة بشكل متقدرش تقف عليها، تخيل لما جسمك كله يحصله نفس الشكل ده في نفس

اللحظة، جسمك بالكامل حتى عضلات وشك، حتى فروة راسك. بشكل غريب عمره ما حصلي أبدًا في حياتي، ولا حصل لحد، لدرجة إني فكرت فعليًا إن ده الموت. اتشاهدت، وغمضت عيني ومستعد تمامًا، وأنا رجلي بتنهار، رجلي مش قادرة تشيلني حاولت أستند بإيدي على طرف الترابيزة إيدي نفسها لا بتتحرك ولا فيها باور تسند، قعدت على الأرض، عضلات ضهري كلها تتميل مش قادر أصلب ضهري أساسًا، نمت على الأرض، جسمي كأن فيه رعشة، بيتنفض كأنه محموم، وأنا مش مستوعب إيه اللي بيحصل ده.

أذكار معينة قولتها بصعوبة بالغة، جسمي بدأ يهدأ، شوية لحد ما هدي تمامًا. عيني كمان بدأت تتعود على الضلمة، وشفت خيال حد واقف جنب الترابيزة، ضلمة آه لكن عيني بدأت تاخد عليها وشفت خيال واحد طويل، ومش انعكاس لأي شيء لأن مفيش أي ضوء، وكمان إيديه بتتحرك، فكرته شعبان، وأنا مش قادر أتحرك وبقسم في سري ١٠٠ يمين إني هرفده، بدأ جسمي يتظبط، سندت ووقفت وفجأة النور جه، شفت الخيال ده بقي بلون احمر ولكنه اختفى في جزء من الثانية.

مركزتش أوي، اتحركت أشوف الـ*** ده راح فين، لقيته واقف عند الأوضة الأخيرة شايل بتاع كده معرفش اسمه تقريبًا (كلوب) ليه شعلة بيعملوا عليه شاي، بقوله إنت كنت فين؟ قالي: لما موبايلك فصل حسست ومشيت كنت بحاول أجيب حاجة تنوّر، سكتّ متكلمتش، وده مبدأ عندنا على فكرة اتربينا عليه في زينهم، إن اللي يشوف حاجة لوحده ميقولهاش أبدًا إلا بعد القصة كلها ما تنتهي. قعد يقولي إنه حافظ المشرحة بالملّي وإنه يمشيها مغمض وإنه وإنه، لكن مكونتش مركز معاه إطلاقًا، كل تركيزي مع اللي حصلي جوه ده، واللي لسه جسمي بيوجعني منه، وأصبحت على يقين إن قطع الكهربا مكانش صدفة وإن الجثة دي هنشوف معاها العجب.

قولتله طيب قبل أي حاجة تعالى نشوف المحول الاحتياطي مشتغلش ليه؟ رحنا لقينا سلك الكهربا الداخل للمحول متفحم تماااما، تماااما!!!، مستحيل هتلاقي مهندس صاحي دلوقت، الساعة تلاتة ونص الفجر والمهندسين بييجو الشغل (الساعة ٩)، قلت لشعبان ربنا يسترها بقا للصبح والكهربا متقطعش تاني، بس أقولك حاجة، أنا مش متفائل وشكلها هتقلب ضلمة، رد باللا مبالاة المعتادة، كفاية علينا نورك والله يا معالي الريس، مكونتش فايقله خالص، رجعنا للقاعة نكمل جثة الشيطان اللي جوه.

شعبان دخل قبلي وأنا واقف على الباب بحاول أتني إيدي وأفردها عشان وجعاني جدًاااا لقيت شعبولا بيقول، إيه ده، أنت قفلت الكيس تاني ليه يا ريس؟ يا حلاوة يبقى مكانش خيال اللي شوفته، دخلت وشعبان بيلبس جوانتي وبيص على الكيس السوستة مقفولة تمامًا، طيب على البركة، قبل ما تبدأ بقا يا شعبان هات البتاع اللي كان معاك ده عشان تنور بيه، قال: النور مش هيقطع يا ريس متقلقش، قولتله: هاته احتياطي، جابه، قولتله: ولعه كده، ليه شعلة زي شعلة البوتوجاز بالظبط، قولتله سيبه بقا يدفينا وافتح يلا، فتح السوستة بكل ثقة وببطء، وكل ما يفتح حتة يشيل البطانية من عليها، وأنا واقف مستني الأكشن اللي هيحصل، وصل لنصها مفيش حاجة، وصل لآخرها وبمجرد ما شال إيده جه النور قاطع والكلوب ده انطفأ، وبدأت سيمفونية الصوت والضوء في معبد الكرنك، تلاوات بصوت واطي، غريبة جدًا، تشبه تلاوات الكهنة في الأفلام التاريخية القديمة، والغريب إنها مش صوت شخص واحد، ده مجموعة أصوات لأشخاص بتردد غريب، الصوت قوي لكن ترديده غريب متقدرش تحدد هو جاي منين، جاي من كل مكان حواليك، كأننا متحاوطين بمجموعة عاملالنا عيد ميلاد وبتغنيلنا (happy death day to you).

وأنا في مرحلة الذهول لسه في أول ثواني لقيت شعبان بيحرك إيده زي المايسترو، وبيحاول يغني معاهم ويظبط اللحن، بصينا لبعض وانفتحنا في الضحك.

بدأوا يتحرقوا والصوت بدأ يعلى، المشكلة إن شعبان وهو بيفتح الكيس أنا شفت أشياء غريبة جدًاااا، أولا: الجسم بنفس لون الوجه البني الغامق اللي تحسه لزج كده، شبه جلد الشمواه، ثانيا: وده مهم إن البطن حمرااا تمامًا كأنها نسيج حي، بطن واحد عايش لكن حمرا، التالتة بقي ودي الأهم إن الزبون إيده على بطنه ولابس دبلة حديثة الشكل جدًاااا.

. شعبان فضل يحسس لحد ما جه، حاول يولع الكلوب، مرة اتنين تلاتة عشرة مش راضي، كررت أذكار لحد ما ولع أخيرا، بمجرد ما ولع الصوت وقف، ولقينا الشيخ سعيد جاي بكشاف بيحاول يفتح كلام مع شعبان لأنهم متخانقين مع بعض عشان اتريق على ودن شعبان، وبصوت عالي بيقول انتوا بتغنوا والنور قاطع؟ أنا سامعكو من أوضتي بتغنوا،

رد شعبان بعنف قاله: متغنيش أنت علينا وأطلع دلوقتي بدل ما هاجي أحلقلك دقنك، أنا وداني مخرومة ومش طايق نفسي.

طلّع الشيخ سعيد، الكيس لسه مفتوح لكن لقينا الجثة متغطية بالبطانية، شعبولا شالها، بصيت على العين مباشرة، عين داخلة لجوه وعين لسه مكانها. الوضع هدي، واضح إنه استسلم، والنور رجع في لحظتها، كل ده وأنا مش قادر أقف من وجع رجلي، وتفكيري كله لسه مشغول باللي حصل، فجأة قلت لنفسي طب ليه لأ، بقولك إيه يا شعبولا، أنا مش مرتاح للعين دي، وشاورتله على العين اللي لسه مكانها، وقولتله اضغط عليها كده، حط ايده عليها وبيضغط وهو بيقول إيه ده، هي طريّة ليه كده، عليا النعمة أطرى من مراتي، وأنا قاعد أقوله: كمان لحد ما سمعت الـ(truck) وفجأة شفت منظر ما تخيلته في حياتي، مكونتش مستوعب إن أنا من شوية كان منظري عامل كده، شعبان شعره واقف، بينتفض، إيده على ودنه، ركبه بتخبط في بعضها كأنها بتسقف، بيقول: كلام مش مفهوم، حاول يسند جه واقع على الأرض، اتخضيت عليه بجد وحسيت إني غلطت بجد، جريت عليه، مش قادر ياخد نفسه، فضلت أعمله انعاش للقلب كده، وعاوز أعمله انعاش تنفس، وفي الحالة دي لازم أديله قبلة الحياة، وده مستحيل، الواد بدأ يزرق، بضغط على القلب، وكل ما أبص في وشه، أتعوذ بالله، بدأ جسمه يهدي، شوية بقى طبيعي تمامًا، لكن مش قادر يقوم، سندته حط ضهره على الحيطة، بدأ يفوق خلاص، بص لجثة الراجل، وقاله: يا ابن ***، دنا هفرمك إنت كمان بس اصبر.

أنا رجعتلي هيستيريا الضحك وبحاول أتماسك مش قادر، وبحاول أفهم شعبان إني معرفش إيه اللي حصل ليه، وهو مصمم إني كنت عارف عشان قاعد أقوله: اضغط كمان، قعدت جنبه على الأرض، فضلنا نضحك بهيستيريا، بحاول أفتح الموبايل فتح والشحن (٨٠%)، قمت صورت، بلهجة جدية بقول: قوم يا شعبان يلا كفاية تهريج خلينا نخلص، قام وعينه كلها شرار وهو بيبص للجثة.

بص على بطنه الحمرا!!! تمامًا، مكانش أخد باله منها قبل كده، بصيلها أوي باستغراب وقال: وهو بيكلم نفسه هي حمرا كده ليه؟ وبص للجثة وقاله: بجدية تمامًا هي دي بطنك ولا *** يا ابن الـ***!

ساعتها أنا فعليًا انهرت من الضحك مبقيتش قادر أقف، شعبان بيحاول لمدة ساعة يقلعه الدبلة مبتقلعش، لدرجة إننا حاولنا نشدها بنسة، من كتر الضغط عضم الصباع اتكسر والدبلة متقلعتش، الدبلة استايل حديث جدًا! وكأنها محفورة بليزر، بدأن التشريح، الجلد سميك وقوي جدًا، يشبه جلد المومياوات الفرعونية لأني شفتها قبل كده، بمجرد فتح الصدر ريحة بشعة، تحت الجلد العظام فقط لا غير مفيش أي عضو جوه، المذهل جلد البطن الحي وسط كل النسيج الميت ده، شيء لا يصدقه عقل، حاجة خرافية غير مفهومة وليس لها أي تفسير، حتى الأطباء الأجانب لما عرضتها عليهم في مؤتمر في ميامي بيتش (جامعة ميامي بيتش بالمناسبة، اسألوا muna karim) ذهلوا من الصور واتضايقوا جدًا لما عرفوا إن الجثة اندفنت بعد التشريح، وإن دي كانت ممكن تبقى جثة القرن، ويتعمل عليها مليون دراسة، ومهما حاولت تشرحلهم عن القانون وإجبار الدفن في القانون المصري خلال فترة وممنوع نبش القبور و، و، و، ميستوعبوش أبدًا وبيعتقدوا إننا ضيعنا على البشرية سبق علمي مذهل وممكن يكون الأهم في العالم، لدرجة إن أثناء النقاش طبيبة شرعية أمريكية من أصل بولندي بكت فعليًا، على السبق اللي ضاع، ولكن فعليًا مكانش بايدينا حاجة وعرضت عليهم كل الخطابات والمحاولات اللي عملناها لتحويل الجثمان للبحث العلمي الأثري، لكن تم الرفض بحجة ان الآثار عايشين في مية البطيخ وميهمهش أي جثة. عاوزين التوابيت والذي منه كمان المحضر فيه (٨ جثث) مع بعض يبقى لازم يندفنوا مع بعض.

الميم نكمل، كسر قديم ملتحم بشكل معيب بالقرب من رأس عظمة الفخذ اليسرى، بمحاولة فتح الرقبة بالمشرط عمل أزيز معدني غريب وفيه حشرة سوداء أشبه بالصراصير الطائرة طارت من فم الجثة وخرجت من القاعة ودوخنا عليها بعد كده ولقينا المشرحة ملقيناهاش أبدًا رغم إن مفيش خرم إبرة تطلع منه، العظم والأسنان محتفظين بنضارتهم كأنهم عظام حديثة الوفاة، حتى الأسنان محتفظة بطبقة المينا البيضاء وده شيء غير طبيعي، ولكن عظام الجمجمة بيبان عليها مدة الوفاة اللي تقريبًا أثرية، من آلاف السنين. رجعت للعين، عاوز أشوف إيه المادة اللي جواها اللي عاملة زي اللبن أو الجيلي دي وغير مفهومة، فتحت الجفنين بصعوبة، مفيش شيء، مع صوت زي تفريغ الهوا من كاوتش عربية مخروم، أمال أنا كنت بضغط على إيه؟ مش عارف، فين طيب اللي كان شعبان بيضغط عليه وكان أطرى من مراته!! مش عارف، بس مش ده اللي هيبهرني

يعني مع جملة اللي حصل، نشرنا الجمجمة بصعوبة رهيبة، فاضية تمامًا، قلعت الجوانتي ويكتب شوية حاجات وشعبان بيلعب بالمشرط في ودن الجثة عاوز يخرمله الطيلة مش لاقيها. أخدت عينة عضم عشان (DNA) عشان نبدأ بقا، في مرحلة التخييط اللي واضح إنها هتستمر بلا نهاية، مفيش إبرة راضية تدخل في الجلد إطلاقًا، اتكسر أكتر من خمس إبر خياطة غالية جدًا، شعبان مُصر يخيّطه، جاب مسمار صلب وربط فيه خيْط كتان ومستحيل يخرم الجلد، آخر ما زهقنا لفيناه بأكياس تغليف تضم الجلد على بعضه.

النور بدأ يطلع.

فضلت قاعد مع شعبان قدام المشرحة بره للصبح، بَرش مية عشان ربنا يرزق وعشان حاسس بالذنب الرهيب من اللي عملته فيه، وعاوز أعترفله ومش عارف، لحد ما قولتله: أنا حصل معايا اللي حصل معاك، بس كنت مفكر إن اللي حصلي ده حاجة طارئة عندي أنا هبوط ولا حاجة وقلت أخليك تجرب وفضلت أعتذرله، زعل جدًا، قولتله: انت زعلت يبقى

أنا غلطان إني قولتلك أساسًا، قالي: لا والله أنا زعلت عشان لو كنت قولتلي قبليا كنا جبينا الشيخ سعيد يضغط عليها عشان تضحك شوية لأني عاوز أخرمه عشان بيتريق عليا، قضلنا نتكلم إن الحاجات الجنونية دي لو حصلت في آخر ٥ سنين (١٠٠ مرة) مثلا في (١٠٠ جثة) من بين (٣٠ ألف جثة) اتشرحوا في الخمس سنين دول بمعدل على الأقل (٦٠٠٠ جثة) سنويا، يعني بنسبة (٣٣) من مية في المية (٠.٣٣%) فقيه (٨٠) منهم معايا أنا وشعبان، والباقي مع أي دكتور وفني آخر، وإن الكيميا بتاعتنا مع بعض هي سبب كل الكوارث، وفجأة قام وقف وقالي: إيه ده؟ أنا من ساعة ما وقعت بقيت بسمع كويس، قولتله: عرفت بقا يا شعبان أنا خليتك تضغط ليه؟ لأني ببص لقدام ولحاجات إنت متشوفهاش، بس راسي، قولتله: تصدق إن وإنت بتموت جوه كنت هبوسك من بؤك، رد عليا رد صعقني، قالي: يا لهوي اوعى تكون عملت كده، أنا أصلي بأرف، قولتله: قوم يلعن أبو شكلك.

هات يلا قرار التشريح، بيحط إيده في جيبه يطلعه طلعت معاه الحشرة كانت في جيبه وطارت بعيد، بصينا لبعض وسكتنا، حسينا الموضوع زاد أوي المرة دي.

كلمت عمرو بيه اللي معاه القضية في المباحث دردشت معاه، وبسأله اشمعنى الهيكل الكبير اللي لفينه في بطانية، قال: والله أنا ما كنت موجود بس قالولي: كل ما عسكري يجي يحطه في كيس يرجع للظابط يقوله: ده بيعمل صوت، يبعت حد تاني يرجع يقوله: ده بيتحرك والعساكر خافت، فجابو بطانية بملاية كده قديمة لفوها عليه وزقوه جواها، قولتله باستنكار: بيعمل صوت وبيتحرك؟ إيه التهريج ده، ما تخلوا رجالتكو تسترجل شوية يا عمرو بيه، هو فيه حاجة كده أصلا! قالي: والله مسخرتهم كلهم، قال: يعمل صوت قال: قولتله: على رأيك، بعدين سألته إنت مخليتش الآثار تبص عليهم ليه؟ قال: كلمتاهم قالوا ما دام مش في توابيت يبقو مش أثريين ولا ليهم أي لازمة، تمام ياباشا، هشوف وهكلمك تاني، قال: بيتحرك وبيعمل صوت قال، ناقص يقولولك: بيغني وقفلت.

بعدها اكتشفنا إن النور كان قاطع في المشرحة بس مش في المنطقة كلها، رغم إن كل المنطقة على خط كهرباء واحد، الصبح المهندس اكتشف إن سلك المحول وهو أفضل وآمن نوع سلوك كهرباء على مستوي العالم عمره الافتراضي (٢٥ سنة) متركب من (٣ شهور)، اتفحم بشكل كامل بدون وجود أي ماس كهربي وبمجرد تغييره اشتغل فورا، موبايلي لما بيفصل عمره ما بيجيب كلمة (battery empty)، اطلاقا، مش في السيستيم بتاعه أساسا، عينات الـ(DNA) لجثث القزمات السبعة ولجثة الموكوس ده طلعت غريبة بشكل غير طبيعي، المعروف إن الإنسان أي خلية ليه بيبقي فيها (٤٦ كروموسوم)، وباختصار الكروموسوم ده خيوط مكونة من (DNA) حواليه بروتين جوه نواة الخلية، يعني أي نواة لخلية إنسان بيبقي جواها (٤٦) خيْط من دول، (٤٤) خيْط منهم بيحددوا الصفات الجسدية زي لون العينين، والشعر، والبشرة، والطول، والجسم، والتكوين العضلي، وكل الحاجات دي، وخيْطين بس هما اللي بيحددوا جنس الشخص هل ذكر أو أنثي عن طريق خيْطين واحد اسمه (X) وواحد اسمه (Y) الذكر بيكون فيه واحد من الخيْطين دول (X) وده صفاته أنثوية شويه والتاني (Y) وده صفاته ذكورية بحتة، أما الأنثى بيكونوا الخيْطين (X) يعني باختصار كده عشان نفهم بس.

تركيب كروموسومات الذكر الطبيعي، (XY+٤٤)، وتركيب كروموسومات الأنثي الطبيعية، (XX+٤٤)

بمجموع (٤٦) في أي شخص، لكن جثث الأقزام السبعة كان تركيبهم الجيني (X+٤٤) بمجموع (٤٥ كروموسوم) بس ودي حالة خلل جيني اسمها متلازمة تيرنر (TURNER SYNDROME) ودي بتكون بنت لكن بسبب نقص واحد من الاتنين كروموسوم (X) الأنثوي فيها بتظهر عليها بعض الصفات الذكورية زي خشونة الصوت، والعضلات، وعدم نمو الأعضاء الجنسية الأنثوية، والأثداء، وزيادة الشعر في الجسد، وبتكون غالبا قزمة، يعني من الآخر أشبه بهند الضكر، يعني ست مسترجلة، يعني مطلعوش تني بيور

أما الموكوس طلع تركيبه الجيني (XXY+٤٤)

بمجموع (٤٧ كروموسوم). ودي حالة خلل وراثي برضه اسمها متلازمة كلاينفلتر (KLIENFILTER SYNDROME) وده بيكون ذكر ولكن بسبب وجود كروموسوم (X) أنثوي زيادة بتظهر عليه بعض الصفات الأنثوية زي نمو الأثداء، وضعف العضلات، ورقة الصوت، وعدم وجود أي شعر في الجسد، وعدم نمو الأعضاء الجنسية الذكورية، يعني راجل منسون، سوسو يعني.

مين دول بقا؟ ومين جمعهم مع بعض؟ وكانوا بيعملوا إيه؟ وإيه سبب وفاتهم المفاجئ؟ وإيه جلد الراجل البني الشمواه ده؟ وإيه اللي في عنبه؟ وإيه تلاوات الكينة اللي سمعناها بوضوح؟ وإيه الدبلة اللي مستحيل تتخلع دي؟ وحديثة كده إزاي كأنها محفورة ليزر؟ إيه الحشرة دي اللي قدرت تطلع بره في جيب شعبان؟ مين كان عنده العلم في الوقت ده انه يجمع الحالات دي مع بعضها مع العلم مش أي قزمة تكون تيرنر، ده فيه ألف سبب تاني، ولا أي سوسو يكون كلاينفلتر، يعني اللي جامعهم هنا عارف كويس أوي هو جامع مين بالظبط، أسئلة أسئلة أسئلة بدون إجابات، التقرير طلع بس بالوصف ده وتعذر فيه الجزم بسبب واضح للوفاة.

اللي عنده إجابة للأسئلة دي يقول، لأني لحد النهارده معرفتهاش، وأوعده اللي هيقولي إجابات مقنعة هعزمه على عشا رومانسي على أضواء الشموع على النيل مع شعبان.

اركنوا كل ده بقا على جنب، ونكمل...

الساعة عشرة الصبح جت إشارة أكثر غرابة، حمادة سواق اللودر اللي خبط الجثث راجل شاب عنده (٣٨ سنة) وعايش هو ومراته (منى) الحامل في الشهر التامن في شقة

صغيرة أوضة وصالة، مراته حملت بعد زواج ٩ سنين، كانو كويسين جدًا وزي الفل، ولا يعانوا من أي شيء، حمادة رجع بيته الساعة واحدة بالليل بعد يوم عمل شاق، نام هو ومراته، أصحابه بيخبطوا عليه الساعة ثمانية ونص الصبح، مفتحش، كسروا الباب لقيو ٣ مفاجآت قاسية.

- المفاجأة الأولى: كانت وفاة حمادة دون أي سبب واضح، جثة هامدة.

- المفاجأة التانية: كانت وفاة منى مراته وفيه نزيف تحتها ممكن يكون إجهاض أو شيء.

- المفاجأة التالتة: الأكثر قسوة إن منى مكانتش حامل، لأن ابنها مرمي بالحبل السري بتاعه وسطهم على السرير وميت، وواضح إن تم انتزاعه من الرحم بعنف.

هي قلبت مأساة ليه كده؟ الجثث جت وسط مأساة فعلية من الأهل والأصدقاء.

بدأنا بجثة الطفل اللي جاية في كيس أسود وواضح إن تم انتزاعها بعنف من الرحم والحبل السري لسه فيه، كان غير مكتمل نمو الرئتين ومات قبل مياخد أي نفس.

جثة منى خالية من اصابات خارجية لكن واضح إنها اتعرضت لعملية اجهاض متعمدة، وبعنف شديد أصابها بنزيف حاد وصدمة عصبية أدت لوفاتها.

جثة حمادة كانت شيء أول مرة أشوفه في عمري كله، مفيش سبب واضح للوفاة، لكن شفت فيه اللي عمري ما شفته ولا هشوفه، جروح طلسمية أشبه بالتعاويذ مالية جسمه، كأن حد مسك آلة حادة وساخنة جدًا ونقشها على جسمه بكل هدوء، والملابس مفيش فيها أي خدش، منظر غريب ومذهل، خاصة إنه مفيش أي سبب آخر للوفاة، هتنزل صورة منه مفلترة ومعكوسة عشان الطلاسم.

شيء غريب، مذهل، ومحزن، ومفجع، متضايقوهمش، متحاولوش أبدًا تسببوا أي أذى لأي حد منهم ولو من غير قصد، هما حواليكو في كل مكان، حواليك حالا وإنت بتقرأ، هما كتير جدًا، ومتنوعين جدًا، وبيتحركو بسرعة جدًا، في كل مكان ممكن تلاقيهم، ممكن يكون اللي بيقرا معاك دلوقت واحد من اللي عملوا كده في حمادة ومني، أرجوكم، محدش يأذيهم أو يضايقهم، طول ما هما في أمان انتوا في أمان، خدوا بالكم من كل حركة في الضلمة بتتحركوها. ربنا يحفظكم.

الحكاية السادسة

"وربما يكون الموت، هو النعيم المقيم"

الزمان: فبراير ٢٠١٦.

المكان: المحلة الكبري.

التوقيت: الثالثة عصرًا.

إشارة بوفاة رجل في خمسينيات العمر بطعنة سكين في القلب، وتخلص الواقعة في وجود مشاجرة بين شخصين، فتدخل المجني عليه في محاولة الفصل بينهما لكنه تلقي طعنة سكين في صدره أودت بحياته على الفور.

توجهت بصحبة المساعد لمشرحة مستشفى المحلة الكبري، وجدت الجثمان مستلقي على ترابيزة التشريح لكن شغلني عدد الناس المنتظرين في الخارج، وفي حالة بكاء مرير.

رفعت الغطاء عن وجهه، وكأني أرى القمر ليلة التمام، وجه لا تستطيع إبعاد عينيك عنه، تفوح منه رائحة مسك زكية، ملأت القاعة كلها. ولأنك دايما بتكون القائد في مثل هذه الأوضاع فمينفعش تهتز أبدًا أو ترتبك. بدأت أشغل بالي بحاجات تانية زي الأوراق لكن للأسف مش قادر أبعد عيني عن وجهه. افتكرت حديث للرسول صلي الله عليه وسلم عن سيدنا طلحة بعد غزوة أحد وهو يقول: «من سرّه أن ينظر إلى أحد من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، وأشار إلى طلحة» والله وكأني أنظر إلى أحد من أهل الجنة في نعيم مقيم، وجه كالبدر، لكن الفرق إنك مش قادر تبعد عنيك عنه، مش قادر، ببص حواليا فوجئت بالمساعد كان اسمه حسن وعامل المشرحة في نفس الوضع، باصين ليه، شامين ريحته، وفي حالة سكون رهيب في القاعة، مكانش ينفع الحالة دي تعدي كده

أبدًا، قلت لعامل المشرحة يدخل ليا حد من أهله، جابلي أخوه، وفضل يحكي عنه، اللي وصل من كلامه وعلّق معايا من كوكتيل أعمال الخير شيء واحد بس، إن الراجل ده كان ناذر حياته للصلح بين أي اتنين متخاصمين، أو بينهم شجار، أو حتى قضايا، وكان مخصص وقت كل يوم في محاولات الصلح دي، وجميعها كانت بتنتهي بصلح وعمره ما فشل، وكان بيعمل ده خالصًا لوجه الله، وفي بعض الأحيان كان بيدفع فلوس بمبالغ كبيرة من معاه عشان بس ينهي مشكلة مادية بين اتنين، جميع الشهود بيقولوا: إنه لما وقع نطق الشهادتين ٣ مرات وكان مبتسم وبيحاول يحضن حد، لدرجة إنه كان مستلقي على ظهره على الأرض وفجأة انتفض جالسا وهو يقول: (حبيبي حبيبي أخيرًا)، ثم مات.

رجعت تاني للجثة، موضع الإصابة في القلب مباشرة يخرج منها دم زكي الرائحة، يبدو من عموم جسده إنه مستعد للشهادة من حلق شعر العانة والإبط، وكانت أصابعه تاخذ علامة التشهد وتتيبس ثم تنفك مرة بعد أخرى، ساعتين أشاهد وجهه، وأتساءل أي هدوء واطمئنان، لا شيء يرعب هاتيك النوارس البيضاء عند موتها، لأسباب بينها وبين ربها، ويسرح في هذه الدنيا الحقيرة، وازاي بنشتريها على حساب نهاية زي دي، وحياة خالدة زي دي، ولولا ملل الناس بالخارج وسؤالهم المستمر عشان يلحقوا يصلوا عليه المغرب ما كنت مشيت، حضرت غسله وشاركت فيه، وصليت عليه، ومشيت.

لأيام كنت بشوف وشه الهادئ الرزين المطمئن في كل مكان، من الحاجات اللي أثرت في حياتي جدًا، ولكن للأسف، يكيد لك الشيطان وينسيك، ويشغلك بأشياء أخرى ويخرجك من هالة العبودية اللي كنت دخلت فيها، ويغرقك في الذنوب، لحد ما تلاقي حاجة تانية تصحيك، بعد ما تكون ضيعت فترة طويلة في ذنوب وحياة خادعة ملهاش تلاتين لازمة.

للمرة المليون هقولكم، والله العظيم كلنا عايشين بس في اختبار عشان اللحظة دي، عشان اليوم ده، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}

[آل عمران: ٣٠]

كل اللي احنا عايشينه وهم، واليوم ده هو لحظة الحقيقة المطلقة، متأمنش أبدًا لنهايتك، ممكن تيجي في لحظة معصية رهيبة، وممكن تيجي في لحظة طاعة، متأمنش.

بفتكر دايما اللي ماتت مع راجل في الحمام في حالة زنا بعد تسرب الغاز من السخان والبانيو على أطرافه زجاجات الكحول والحشيش وازاي كان منظرها ورائحتها التي لا تطاق، ووشها المرعب اللي في ملامحه رعب الدنيا كله، وأفكر، هل المتعة اللي كانت فيها كانت تغنيها عن نهاية زي نهاية الراجل ده، طيب بعد النهاية، شعورها إيه دلوقت؟ وهي أصبحت مخلدة في حياة أخرى أفضت إليها بعد ما قدمت، متفتكروش النهاية بعيدة، موت الشباب حاليا بقى أكتر من موت العجائز، امبارح موت شاب من يومين بس كان منزل حفلة تخرجه في الأكاديمية البحرية، والعمر كله لسه قدامه، متتخدعوش، وأقسم أنني أول الراحلين.

الحكاية السابعة

مساء البنفسج على الذين كانوا نزلاء خفيفين على الحياة كأنهم ضيوف، الذين جاءوا ورحلوا دون أن يزعجوا أحدا بأنينهم!

مساء البنفسج على الذين آمنوا أنّ أجمل الرحلات وأسرعها هو الموت لأنك لن تحتاج أن تسافر إلى المالديف على صهوة بُوينج!!

مساء البنفسج على الذين أغلقت بوجوههم أبواب الحياة لأنهم لم يعرفوا كيف يقرضون في جمالها شعرًا رخيصًا!

مساء البنفسج على الذين ماتوا في صمت فلم تقرأ روتانا على أرواحهم القرآن!

مساء البنفسج على الذين اختاروا ألا يدعون لأنفسهم بطول العمر خشية أن تتسخ قلوبهم.

***

الزمان: يوليو ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الحادية عشرة ليلًا.

- شعبان.

- أيوه جاااااي، اؤمرني يا رياسة.

- طيب مبدئيا متحول للتحقيق عشان أيوة جاي بتاعة القهاوي دي متتكررش، ثانيا فين لبس الشغل مش لابسه ليه؟

- يا معالي الريس مش هقول.

- خلصنااا، فين لبس الشغل؟

- الشيخ سعيد غرقهولي مية بالخرطوم اللي بيغسل بيه يا ريس وأنا كنت جاي أشتكيه.

- انتوا بتلعبوا بقا تحت؟ وغرقهولك ليه؟

- ليه وليه يا ريس إني قلت لمراته إنه باني عمارتين، ومعاه فلوس في البنك أد دماغه، دماغ الشيخ سعيد يعني يا ريس.

- وهو فعلًا معاه كده؟

- الشيخ سعيد؟؟ الشيخ سعيد معاه يشتري مشرحة لوحده ويشرح بنص التمن ويشغلني عنده عشان يرفدني كل يوم يا ريس.

- وإنت قلت لمراته ليه كده يا شعبان؟

- عشان مش راضي يجيبلي عشا يا ريس، وأنا متغديتش وهمشي كمان ساعتين، وإنت عارف بقا إنها هناك مره كهينة بنت كلب هقولها: العشا هتقولي: منين؟ وازاى؟

- طيب، فيه جثتين جايين دلوقت من السلام أول، دخلهم، على الترابيزات وأنا نازل حالا. وعرفهم تحت إن الكل متحول للتحقيق عشان تبطلوا هزار في الشغل.

- كله يا ريس؟

- كله يا شعبان.

- كله يا وليد.

اطلع بره يلاااا، وسامعه ماشي في الكوريدور بيقلد الأخت الرقيعة وهو بيقول: عاوزة أترفد مش عاوزة أتصور.

شربت قهوة لبست ونزلت.

إشارة بحالة انتحار طالب جامعي في الواحدة والعشرين من العمر، بتقول التحريات: إنه كان يعاني من بعض المشاكل النفسية وتردد مؤخرا على طبيب نفسي في نطاق القاهرة، وإن الحالة دي حصلتله بعد خطبة حبيبته وصديقته الجامعية وجارته في نفس الوقت لشخص آخر، فقام بربط حبل في السقف ولفه حول عنقه ووقف على كرسي وانتحر شنقًا، بالنسبة لأي طبيب شرعي حالة عادية جدًا مفيش فيها شغل كتير بالمعني الحرفي. يعني مجرد فحص موضع الإصابة والتأكد من إنها حيوية يعني حصلت والشخص على قيد الحياة، كمان بنتأكد إنها سبب الوفاة مع بعض العينات للبحث عن السموم والمخدرات والمهدئات والمنومات وجرعاتها لأن ممكن حد يتخدر الأول بعدين يتعلق، وهكذا.

محمود نايم مكانه بملامح شخص مرعوب فيه رعب الدنيا كله. وتفاصيل للملامح شيطانية يهودية مقززة، وريحة بشعة استمرت حتى بعد خلع الملابس، ريحة طالعة من قلب الجثة نفسها رغم إنها لسه فريش، ملامح توحي بنهاية صاعقة.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكر في بدايات العقد الثالث من العمر متوسط القامة والبنية يرتدي بنطال ترينج أسود اللون، وتي شيرت أبيض اللون، وملابس داخلية بيضاء اللون، والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات والتلوثات المشتبهة، والرسوب الدموي بلون بنفسجي غامق بالرجلين، والجثة في حالة تيبس رمي والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريا بعد، وبفحص العنق تبينا حزًا عميقًا محيطًا بمقدم وجانبي العنق على مستوى الغضاريف الحنجرية، ويرتفع لأعلى في الخلفية، وآثار عقدة الحبل موجودة بمنتصف خلفية العنق من أعلى، والإصابة حيوية حديثة، كما تبينا أعلاها وأسفلها بعض السحجات الظفرية!!! عدا ذلك لم نتبين إصابات أخرى ظاهرة»

يللاا يا زفت، أيوه جاء احم، تمام يا معالي الريس.

بدأت أركز في موضوع السحجات الظفرية المحيطة بمكان الشنق دي. (سحجات ظفرية يعني خرابيش اتعملت بواسطة الأظافر) فهل المنتحر فعليًا بعد ما اتحرك الكرسي من تحته الحبل مموتهوش على طول وكان بيحاول ينزعه بايده مثلا فخربش نفسه، ده

أقرب تحليل منطقي خاصة إن مفيش أي اصابات تانية تشير إلى حدوث عنف جنائي أو مقاومة

لحد كده الكلام عادي وطبيعي جدًا.

بإجراء الصفة التشريحية تبينا جميع علامات الأسفكسيا الداخلية، وثبت فعليًا أن الوفاة نتيجة أسفكسيا الشنق وما أحدثته من ضغط على المجاري الهوائية العليا للجهاز التنفسي، ومنع دخول الهواء مما أدي إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل ومن ثمّ حدوث الوفاة.

العينات اللي أخدناها كلها طلعت سلبية تمامًا للسموم والمخدرات، وكان بس فيها آثار مهدئ ضعيف كان الدكتور كاتبه للحالة قبل وفاتها، كمان من ضمن محتويات المعدة اللي كان فيها بقايا أكل عبارة عن تمر فقط لقينا شيء غريب جدًا وهو عبارة عن ورقة سميكة مكتوب فيها شيء لكنها مبتلة تمامًا بعصارة المعدة وبقايا الطعام وبالتالي مش قادر أميز الشيء ده، منكرش أبدًا إني حسيت برعشة غريبة لما مسكتها، وبرعشة أكبر لما حاولت أقراها لكن محطيتش في بالي كالعادة، سيبتها تنشف وقلت هبقي اشوفها بعدين حطيتها في ظرف وضمتها للورق بتاعي وخلاص، ووجود أشياء غريبة في المعدة هو شيء اعتيادي لأي طبيب شرعي بالمناسبة، فأحيانا تجد أوراق أو أشياء بلاستيكية وأحيانا لفافات مخدرات؛ بل في بعض الأحيان وجدت قفل معدني صغير ومفتاحه داخل معدة إحدى الجثث، خلصت الجثة بسرعة، شعبولا خيّطها وبعدين غيرت هدومي وطلعت هخلص شوية حاجات وهبات هنا اليوم ده، مرت كل الأمور طبيعية تمامًا، والجثة استلمها الأهل بتصريح الدفن ومشيوا.

بعدها بيوم جت مذكرة النيابة كسلت أقراها وقلت هقراها وقت ما آجي أكتب التقرير على اعتبار إن الحالة منتهية تمامًا، ومرت أول (٣ أيام) عادي جدًا لحد ما بدأت السيمفونية تشتغل.

ورقي بالكامل بيكون عندي في المكتب مع أي احراز مهمة والتلت أيام دول تمت فيهم يومين في المكتب، وكان كل الملاحظة الغريبة فيهم هيا الخلل في درجة حرارة جسمي، أنا سواء صيف أو شتاء يستحيل أنام غير في التكييف وفي درجة حرارة ٢٠، حتى في أقسى أيام البرد، فكنت أقوم أحيانا، ورغم إني في الوقت ده كنت في عز أيام الحر فكنت أقوم

احيانا وأنا حاسس إني في (سيبيريا) وإن درجة حرارتي بالسالب وأطرافي متجمدة، أقفل التكييف وأنام وبعدها بدقايق أحس إني في (الرياض) مع سخونة رهيبة أشغله وهكذا! عدة مرات، كمان كنت أحس إن نص جسمي بردان بشكل رهيب، والنص التاني حران تمامًا، المهم، عدت الأيام التلاتة زي أي أيام رغم غرابتها، لحد ما جه في نفس معاد جثة محمود وهو اسمه بالمناسبة، جثة تانية لبنت اسمها نور، وهو مش اسمها بالمناسبة. نور كمان جاية منتحرة ولحد الآن مفيش عندي أي رابط بينها وبين محمود على الإطلاق. الإشارة جت في نفس موعد إشارة محمود تقريبًا.

- شعبااااان، شعبااااان.

- جاي المرة دي بمنتهي الهدوء والرزانة وبصوت منخفض، أيوه يا معالي الريس.

- إيه العقل ده، مالك يا شعبولا؟

- حزين يا معالي الريس.

- حزين، جديدة دي، وإيه اللي حزنك على نفسك؟

- يا معالي الريس يرضي مين العيشة اللي عايشينها دي؟ يرضي مين الوسط اللي احنا عايشين فيه ده؟ يرضي مين إن دي تبقي حياتنا؟ يرضي مين كل الغم ده!!!

- رديت بتردد: وأنا تراني تأثرت بس لسه مش مستوعب إن شعبولا اللي بيتكلم، معلش يا شعبان ما هو ده نصيبنا، ومفيش غيرنا هيقدر يتعامل مع الجثث كده، أو يجيب حقوق الناس.

- شعبان بالنظرة إياها، جثث إيه يا معالي الريس، جثث إيه، الجثث دول حبايبي ولادي، حتة مني كده. أنا بتكلم على الشيخ سعيد وهشام ومحمود، عالم خيبانة يا ريس وأنا زهقت ومش لاقي حاجة جديدة أعملها فيهم. بقيت أناملهم في أدراج الجثث لما ييجو يطلعوها، هعملهم إيه تاني، أنا تعبت. إنما الجثث، دول حتة مني، طب تصدق بالله يا ريس، أنا بلاقي الجثة داخلة من الباب وريحتها بتهفهف كده بحس قلبي هيطير من الفرحة، بيبقى نفسي أخدها في حضني واعيط من كتر ما أنا فرحان بمجيتها.

- طب بقولك إيه: أنا مش فاضي لدرس الصعبانيات ده، فيه حالة جت دلوقتي بنت (٢١ سنة) منتحرة يلا جهزها بسرعة.

- لقيته طلع على المسرح وتقمص شخصية الأستاذ أحمد عبد العزيز في المال والبنون بنسخة طبق الأصل بنفس الحركات وبيقول: لااااا، جثة لاااااا، حتة مني لاااا، حد من ولاااادي لاااا.

- ولاااااا.

- مشربش شاي أشرب أزوزة أنا يا ريس. هو إنت محدش يعرف يهزر معاك أبدًا

وسامعه كالعادة ماشي في الكوريدور بيقول: ولادي لاااااا، عباس الضو بيقول: لاااااا سلامة فراويلة بيقول: لاااااا.

غيرت هدومي شربت قهوة ونزلت، لقيته ماسك الشيخ سعيد في ركن ومعاه مقص وبيقنعه يحلقله دقنه ويعمله دوجلاس وسوالف، وإن ده هيديه هيبة أكتر، أول ما شافني قاله: طيب يا شيخ سعيد تكمل كلامنا بعدين بقا عشان أقولك تبقى تقص قماش الكفن ازاي عشان ميهدرش معاك.

عملت نفسي مسمعتش، دخلت القاعة لقيت البنت جميلة جدًا بريئة، وسامع دوشة وصراخ بره غير عادي، صعبت عليا البنت تمامًا إنها تنهي حياتها نهاية ماسوية بالمنظر ده، مش عارف ليه حسيت إني مش قادر أصبر تيجي المذكرة أعرف السبب، حبيت أسمع من حد من أهلها، قلت لشعبان شوفلي أبو البنت دي أو أقرب حد ليها بره مين وهاتهولي على الشباك، فرد بيلاهته المعتادة، تقول: مبروك يا ريس؟ قولتله: اخلص يا شعبان، راح على الشباك جابلي أبوها، خرجت ليه، واضح إنه راجل موظف بسيط الحياة واخدة منه كتير، وعايش في معاناة، لكنه في حالة غضب مكبوت وكلامه بالقطارة، حاولت أسأله كتير كل إجاباته مبتتغيرش وبنفس الملامح الصارمة، بنتي وانتحرت، ومعرفش ليه، مفيش أي كلمة بيقولها: غير كدة، واحدة ست باين عليها الألم والوجع تقدمت وعاوزة تتكلم معايا، حاول الأب يرجعها بإصرار، واضح إنها أم البنت، لكن أنا أصريت إنها تتكلم، وخليت شعبولا، دخلهالي جوه، وبدأت تحكي، نور من طفولتها بتحب ابن الجيران اللي اسمه محمود، من وهما عيال صغيرة، وكل يوم حبهم بيكبر،

جابوا نفس المجموع في الثانوي. دخلوا نفس الكلية مع بعض، محمود اتقدملها أكتر من مرة. أبوها كان بيرفض، وتحت الضغط الرهيب مننا والجيران كان بيتهرب ويقول: لما يخلصوا كلية، وفوجئنا من شهر، إنه قعدها من الكلية وجابلها عريس غني وعجوز، هي أد بناته، باعياله، وخطبها ليه، من يومها والبنت بتنهار، لا أكل ولا شرب، لا هي ولا محمود -الله يرحمه- اللي اتبدل حاله، استني يا حاجة، هو محمود مات؟ ردت. مات حبيب أمه بعد ما قفل على نفسه وحاله اتبدل وولع في بيته مرتين، وبعدها شنق نفسه زي بنتي بالظبط، وممرش تلات أيام شافت فيهم الويل غير لما شنقت نفسها زيه. سألتها شافت الويل ازاي، قالت: كان بيتهيألها حاجات وتقول: إنها بتشوف حد غريب ومرعب في كل مكان، وفيه مرة ضغط على كتفها وقالت: إنها حست بنار وفعلًا لقينا كتفها محروق تمامًا، وبعد كام ساعة اختفى، وفضلت في رعب لحد ما قالت: هنام وفرحنا لأنها مكانتش نامت من زمان. بعد شوية فتحنا عليها الباب لقيناها مشنوقة ومتعلقة في السقف، هو ممكن محمود يكون عملها حاجة يا بيه؟ ليه بتقولي: كده يا حاجة؟ أصلهم بيقولوا: إن محمود قبل ما يموت بعد ما اتخطبت كان ليه في السكة دي، رديت قولتلها: يا حاجة الموت ده بتاع ربنا، حتى لو عملها حاجة، هيا عمرها انتهى كده.

طلعتها، جوزها حاول يعتدي عليها عشان اتكلمت جيبتله الأمن، ودخلت نشتغل وشعبولا بيلبس الجوانتي وهو بيكلم نفسه ويقول: أما قصة، عبرة صحيح، وقال: إيه يا أخويا؟ الواد ولسه هيكمل زعقت، شعباااان، اخلص.

كل ده مكانش خطر في بالي لحظة واحدة علاقة الجثة دي بالجثة اللي بقالها تلت أيام اطلاقًا.

(بدأنا الريكورديتج)

«الجثة لأنثى في أوائل العقد الثالث من العمر، متوسطة القامة والبنية، ترتدي بنطال ترينج أزرق اللون وتي شيرت أصفر اللون، وملابس داخلية وحمالة صدر سوداء اللون. والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات والتلوثات المشتبهة. كما تبيناها في حالة تيبس رمي والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريا بعض، وقد تبينًا الرسوب الدموي بلون بنفسجي غامق بالطرفين السفليين، وبفحص موضع الإصابة تبينًا حزًا عميقًا محيطًا

بالعنق على مستوى النتوء الحنجري، يشمل مقدم وجانبي العنق ويرتفع لأعلى في الأجزاء الخلفية ويقل فيها عمقه، كما تبينا سحجتان ظفريتان صغيرتان محيطتان بالحز. عند النقطة دي بس افتكرت محمود، لأن دي مكانتش حاجة واردة اطلاقا، وقفت الريكوردينج، شعبان، الجثة اللي اشتغلناها سوا من تلت أيام دي كانت تبع قسم إيه؟ رد شعبان اللي ذاكرته زي كمبيوتر مايكروسوفت الرئيسي اللي بيدير العالم كله تقريبًا، وقال: بيانات القضية كلها، ودي مشكلة شعبان الرئيسية، هو عنده ذاكرة خرافية، لكن مستحيل يستغلها في إنه يربط حاجة ببعضها، حتى لو حطيتهومله قدام بعض وقولتله: تستنتج إيه؟ يقولك: العب باليه، الولد من تلت أيام كان فعلًا اسمه محمود، القضية تابعة لنفس المنطقة، ونفس العنوان، أصبح بما لا يدعوا مجال للشك إنهم المقصودين، خلصت الجثة، سبب الوفاة واحد، اسفكسيا الشنق، المعدة المرة دي فارغة تمامًا من الأكل، مفيش فيها غير عصارة معدة وحاجة دائرية صغيرة بقطر ٢ سم من نسيج غير معروف يحتوي على خيوط وأشياء غير واضحة وله رائحة كريهة، عينات السموم والمخدرات والمهدئات والمنومات كلها سلبية، خلصت الجثة وخيّطها شعبان وأنا مستعجل جدًا، فيه حاجات لازم أعرفها، أخدت الحاجة اللي كانت في المعدة دي في كيس، وطلعت بسرعة على المكتب وشعبان جاي ورايا جايب أكل في ايده بيتحايل عليا آكل معاه، وبيقنعني إن اللي عاملاه آه كهينة بنت كلب لكن نفسها في الأكل حلو.

كنا في عز الصيف، وأنا آه طول الوقت سايب التكييف شغال حتى لو مش في المكتب، ولكن درجة الحرارة بمجرد ما فتحت الباب، أنا متعرضتش ليها في حياتي رغم سفري الكتير جدًا، يمكن للأسف لأني مزورتش المنطقة القطبية الشمالية، برد غير طبيعي يجمد كل حاجة فيك. شعبان أول ما دخل عمل أصوات غريبة ببؤه ومناخيره وهو في حالة لا وعي وطلع جري واقف بره.

أنا مكونتش فاهم، أخدت ملف القضية وحاجتها وأنا بتنفض من البرد وطلعت بره.

دخلنا مكتب نسخ القضايا، وشعبان لسه بيحرك شفايفة زي إسماعيل يس لما كان بيتخض، فتحت مذكرة النيابة، قلبت بسرعة الكلام وأنا بدور على التحريات لحد ما لقيت اللي بدور عليه، محمود لقيوا في غرفته ٦ كتب متعلقة بالسحر والجن والأعمال السفلية وأنواع كتير من البخور وأشياء مشابهة، فتحت الظرف، طلعت الورقة اللي كانت

نشفت ولزقت في جوانب الظرف، فصلتها بصعوبة وبصيت فيها، نفس رعشة أول مرة، الورقة مليانة رموز وأرقام ورسومات هندسية وفيه في نصها جملة هشيل منها كام كلمة لتكون تعويذة أو طلسم أو شيء مكتوب فيها: "قسما بطارش الـ*** الـ*** لتأتي إلي يا نور، وعلى طارش الانتقام ممن تسبب".

رعشة غريبة وأنا بقرأ، لكن من حكم خبرتي أيقنت إنها عمل سحري سفلي، كنت بقرأ بصوت وشعبان واقف يقنعني بلذة طعم الأكل، دونت بياناتها، وشعبان بيسأل ببلاهة هو مين الأطرش اللي بيحلفوا بيه ده يا ريس؟ قولتله: فريد الأطرش وانزل يلا يا شعبان دلوقتي، مش هاكل.

مشي يقلد فريد الأطرش وهو بيغني في الكوريدور "يابو ضحكة جناان، مليانة حنااان".

احتفظت بيهم تاني وأنا مش قادر افهم ولا أستوعب، ومش عاوز احطهم في المكتب، نزلت حطيتهم في شنطة العربية على مبيجي أمين المخزن الصبح وطلعت، الأوضة أصبحت عادية جدًا، لكن عقلي ميقاش مبطل تفكير في القصة العجيبة دي.

الموضوع فضل شاغلني كام يوم وفي نفس الوقت الحاجات دي فضلت في العربية، لحسن الحظ إني فضلت فيهم بايت في المشرحة ومركبتش العربية لأن أحد الشيوخ الثقات وأنا بحكيله قالي: إنه كان في منتهى الخطر إني أسوق العربية وهما فيها.

بعدها بيومين تلاتة كلمت رئيس المباحث وهو صديق شخصي من المستوى الأول، سألته مكانش عنده أي شيء غير ملفت غير حاجة واحدة بس، إن من كام ساعة قبل المكالمة أبو نور مات نتيجة سقوط بلكونة منزل آيل للسقوط على رأسه وهو ماشي في الشارع، قفلت.

افتكرت الورقة وجملتها، الورقة دي لعنة، لازم التخلص منها، نزلت، جبت الحاجات من العربية، ووقفت في شباك فاتح على المنور، حرقت الورقة، طلع منها دخان أسود كثيف رائحته مقيتة، مع رعشة في جسمي قوية وأنا بردد آية الكرسي، وحرقت أجزاء من الجسم الغريب في معدة نور والباقي المعمل مقدرش يحدد إيه ده، وكنت بسأل من بعيد لبعيد، لكن اطمأنيت إن الدنيا استقرت.

السحر موجود، والأعمال موجودة، وكتب السحر منتشرة، وناس كتير عندها، وناس كتير بتجرب بداعي الفضول، وأي حد ممكن يعمل حاجة زي دي ليك ويدمرلك حياتك كلها في لحظة. اوعى تجرب أبدًا الاتجاه ده، اوعى تدخل فيه بأي شكل من الأشكال. مفيش حاجة اسمها سحر خير وسحر شر. كل الاتجاه ده كفر بيِّن واضح، شرك بالله ونار خالدة، كمان مفيش حاجة اسمها جن طيب وجن شرير. الاستعانة بالجن كفر بيِّن. ونار خالدة. اعرفوا معلومات عنهم آه، اعرفوا عن الدجالين والسحرة والكفرة عشان تكتشفوهم بسهولة. ولحظة ما تشكوا بس في حد ابعدوا عنه فورا، اقطعوا أي صلة بيه أيا كانت. لكن أبدًا أوعوا تجربوا أو تدخلوا بأي شكل في الاتجاه ده، لأنه خسارة دنيا وآخرة، وفي نهاية محمود ومظهره على ترابيزة التشريح والله كل العبرة والعظة.

بالمناسبة، محمود ونور وأبوها اندفنوا في تربتين متلاصقتين تمامًا.

الحكاية الثامنة

مساء البنفسج على الموتى في جميع أنحاء بلادي.

مساؤها تلك الجميلة متوهجة بشعرها الأصفر تهبني القُبلة الأول وتسألني: متى يأتي الشقي للجنة؟!

مساء القهوة المرة رفقتها، ما أحلاها.

مساء العيد كان دائما متسولا على بابها يسألها، كعكة.

مساء النمل كان في طريقها يناديها يا سكّر.

ومساء البنفسج على جميع الراقدين في سلام، تحت التراب أو داخل ثلاجات مشرحة زينهم

***

الزمان: أغسطس ٢٠١١

المكان: طنطا

التوقيت: اليوم السابق لمباشرة القضيتين.

طلب من نيابة مركز طنطا عن ما إذا كان فيه جدوى استخراج لجثماني المتوفين لإثبات أنهما لقيا حتفهما أثناء الثورة من عدمه، وكانت الإجابة بوجود جدوى للاستخراج واستعدادنا لتنفيذ المهمة صباح باكر.

أيام ثورة يناير لم يكن هناك إطلاقا أي شرطة أو قضاء بسبب الانهيار الأمني، وكل
يموت وقتها أهله بيدفنوه على طول. بعد فترة جت حكومة الجنزوري والمجلس
العسكري وقرروا إن فيه تعويض ومعاش دائم لأهل شهداء الثورة. فبدأوا الناس يطالبوا
بإثبات حق أبناءهم وبالتالي كان لا بد من استخراج الجثامين رغم مرور (٧ شهور) على
الوفاة لإثبات سبب الوفاة. خاصة إن جميع شهداء الثورة كانوا بطلقات نارية. وبالتالي
فأنا يا إما هبحث عن المقذوف الناري نفسه، يا إما هبحث عن آثار دخوله وخروجه
من الجسم زي كسور العضم مثلا أو ما شابه.

المهم:

- الجثة الأولى: لمحمد، وده طالب في الفرقة الثانية لكلية هندسة عنده (١٩ سنة) تعرض
لإصابة نارية مباشرة في يمين الصدر يوم ٢٨ يناير وتم نقله مباشرة إلى مستشفى الجامعة
بطنطا. تواجد في المستشفى لمدة يومين حيث تم تركيب درنقتين خارجيتين بيمين الصدر
لسحب النزيف من الرئة لكنه مات بعد يومين، ولم تفلح كل محاولات إنعاشه وخرج
من المستشفى جثة هامدة بعد ما أنهى أهله التوقيع على الأوراق واستلموه من ثلاجة
المستشفى بعد (٥ ساعات) من وفاته فعلًا قضاهم في ثلاجة المستشفى.

- الجثة الثانية: لعادل وده راجل عنده (٤١ سنة) عنده كشك صغير وتلقى إصابة نارية
مباشرة في الرأس أثناء مشاركته في إحدى المظاهرات يوم (٢٩ يناير) وتوفي في مكان
الواقعة وتم نقله لمشرحة مستشفى الجامعة وأهله استلموه بعد يومين لأنهم مكانوش
يعرفوا بوفاته.

ويوم الاستخراج ده بالنسبة ليا يبقى مش أحسن حاجة، بسبب الشمس والتراب
والرائحة التي لا يمكن لبشر تحملها غير إنه مكلف ماليا جدًا، لأنك محتاج بعده تقريبًا
إزازتين بيرفيوم (mont blanc) تاخد بيهم شاور عشان تتخلص من الرائحة اللي مالية
مناخيرك. رجعت الأوتيل اليوم ده. كنت مقيم في أوتيل بانوراما في طنطا، خلصت شوية
حاجات وتمت على استعداد للاستخراج اليوم التالي، أثناء نومي ودي من نوادر المرات
اللي حلمت فيها أساسًا شفت حلم غريب جدًا هقوله: بعدين، لكني لم أعيره أي اهتمام.

في الصباح ليست وكلمت المساعد بتاعي (شبل) وده مشهور بإنه بيفضل يكلم الجثث
طول فترة التشريح، فمثلا لو هيحرك إيد الجثة بقولها: لا مؤاخذة، أول ما ييجي يفتح

البطن والصدر مثلا يوطي على ودن الجثة ويقولها: حاجة في ودنها، ومرة بعد مرة عرفت إنه بيسأل الجثة بيقولها: أشق؟!! غير كده واحنا في الطريق لأي مكان بيسمعني باقة من أجمل أغاني الأفراح من نوعية على العجلة، وشبكها، والفستان اللبني ويا محمد على المرتبة عروستنا حلوة مؤدبة، واعمل حساب الشقلبة، ولما بيكون رايق بيغنيلي أغاني العروسة لعريسها، وهلبسله الكاكي وأوريله وراكي، وبتكل على الله هما كلهم غالب بيضيعوا من الشغلانة دي والله. كمان كلمت السائق يتصلت مع الشرطة والنيابة واتحركنا لمقابر طنطا.

رايحين في الطريق في عربيتي بمتبهى الروقان، وكاظم بشدوا من رائعته التحديات "أتحداهم جميعا، أن يخطوا لك مكتوب هوى، كمكاتيب غرامي، أو يجيئوك على كثرتهم، بحروفي كحروفي، وكلام ككلامي".

وإذا بشبل ممتعض فيوطي الصوت ويشدوا من رائعته "سيد يا سيد".

المقبرتين جنب بعض تقريبًا يفصل بينهم حوالي (٣٥ متر) بدأنا بمقبرة محمد وقفنا على الباب أنا وعضو النيابة والتربي وشبل، في حين رئيس المباحث بيعمل كردون أمني حوالين المقبرة عشان يبعد أي حد من الأهل أو المتطفلين ومحدش يشوف عملية التشريح.

في حالة زي دي بقالها سبع شهور الجثمان هيخرج هيكل عظمي تحيط به بعض الأربطة أما باقي الجثة هتكون اتحللت تمامًا، وقفت أراجع الأوراق الطبية الصادرة عن مستشفى الجامعة لحين استعداد شبل والتربي، عضو النيابة بياخد أقوال التربي عن معاد الدفن لو فاكر وفيه كام جثة جوه وما شابه، التربي أكد إن دي الجثة الوحيدة في القبر وأكد معاد الدفن من الدفتر بتاعه وقدم صورة من تصريح الدفن اللي بياخده أثناء الدفن. أوك، المقبرة عليها لوحة رخامية مكتوب عليها اسم المتوفي، وهي على النظام المصري، الدفن فوق سطح الأرض، وليها باب حديد مغلق بقفل معدني ومحاط أطرافه بالأسمنت، من بعيد واقف والد المتوفي في حالة شبه انهيار ومحاط بإخوته بيهدوه ويبدو من طريقته معاهم وعتابه إنه كان رافض التشريح وإنهم أجبروه بشكل أو بآخر، أصريت على إبعادهم شوية كمان مراعاة لشعوره، لبست جوانتي وبدأنا.

كالعادة التربي بيفتح الباب وبدخل أنا أولا اتأكد من صحة أقواله إن مفيش غير جثمان واحد، ومدة وفاته تنطبق مع المدة المذكورة من حيث التحلل، التربي كسر الأسمنت

وفتح القفل والباب. وبمجرد فتح الباب أنا شميت رائحة كأن فيه عطور ياسمين مدلوقة جوه لدرجة إن التربي قال: "الله أكبر" بصوت عالي فنهره عضو النيابة بشدة، دخلت وإن سعيد جدًا مشغل كشاف الموبايل، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [الواقعة: ٨٥]. رائحة الكفن نسخة طبق الأصل من رائحة العطر المستخدم في الحرم. الكفن ليس عليه ذرة تراب واحدة، رغم الأرض الترابية. كل ده مش مهم، الأهم إن الكفن محتفظ بوضعيته وواضح بشكل مؤكد إن الجثمان داخله مش هيكل عظمي على الإطلاق، قربت فيه دماء طازجة على الكفن جهة الصدر، أصبح عندي يقين إن مش ده الجثمان المطلوب، وإنه مدفون من ساعات بصيت للوجه، شاب ملائكي نايم في هدوء بابتسامة خفيفة ورضا وقناعة، أخدت صورة، قبلت جبينه كنوع من التبرك وخرجت رائحة تملؤني ما بين المسك والعود والياسمين وقفت قلت لعضو النيابة والمباحث مش دي الجثة، ده لسه مدفون، التربي خاف وأقسم أيمان مغلظة إن هو ده وإن التربة متفتحتش من وقتها، ودلل على كلامه بالأسمنت القديم جدًا والتراب اللي على الباب من الخارج وكلامه منطقي جدًا، ارتبكت أنا، أخدت عضو النيابة على جنب وكان صديق شخصي، قولتله: الجثة زي ما هي متحللتش، انصعق، قالي: طيب ما تتأكد من الإصابات اللي فيه. قلت أوك، دخلت أنا وشبل فتحت الكفن شفت الصدر اللي عليه دم لسه طازج ودافئ تمامًا، لقيت موضع دخول المقذوف الناري ومكان الدرنقتين تمامًا في نفس الموضع اللي وصفته الأوراق الطبية بالضبط، ضغطت على الصدر ببطء ازداد النزيف، لا إله إلا الله، بصيت على وشه الهادئ تاني واللي حسيته ابتدا يتضايق، أغلقت الكفن كما كان، وخرجت متأكد إن مش هو ده الجثمان، بصيت لوكيل النيابة وأنا بشاورله إن مش هو، جالي وبدأ يتهز، قالي: الإصابات مش موجودة؟ قولتله: موجودة لكن حديثة جدًا، من كام ساعة، وقف في حالة ذهول بعدها جاتني فكرة، ناديت للأب بعيد، جه هو وأخوه والراجل شبه منهار تمامًا، طلبت إنه يكون لوحده، أخوه مشي في امتعاض، سألت الراجل بهدوء معاك صورة ابنك، قال: في انهيار آه، كان حاططها خلفية موبايله، بصيتلها، امممم، هو الملاك اللي نايم جوه، حسيت إني في مشاعر مختلطة، ما بين السعادة والارتباك والقدسية والخوف من ربنا والرجاء فيه، احساس عجيب، كان نفسي أقول: للأب ابنك في الجنة لكن مينفعش، طلبت يرجع مكانه، ورجعت قولت: لوكيل النيابة هو الولد، قالي: وهو ابتدا يعرق ويتهز. هنعمل إيه؟ قولتله: مش عارف!! فضلت واقف أنا وهو، الناس بدأت تستغرب، قولتله: هتصرف، دخلت القبر تاني أنا وشبل، قعدت

جوه ربع ساعة وبعدين خرجت، هحتفظ لنفسي بما حدث جوه، المهم إني خرجت كتبت إنه تم تشريح الجثمان بمعرفتي. قفلنا المقبرة. التربي قفل بالأسمنت والقفل، قعدنا أنا وعضو النيابة في عربية وأخدنا الأب معانا بداعي إنهاء الإجراءات، قولتله: اللي حصل وإن ابنه في الجنة بإذن الله شهيد، وعضو النيابة طلب منه يقسم على مصحف إن المقبرة دي مش هتتفتح تاني أبدًا لأي سبب أيًا كان. أقسم وهو في حالة سعادة غامرة كأنه رجع عشرين سنة لورا، كأنه بيحتفل بميلاد ابنه مش بموته، وأقسم على حفظ السر، ولما سألته عن أكتر حاجة محمد ابنه كان بيعملها في حياته، رد بكلمتين من يوميها وهما محور حياتي، قالي: كانت كل نيته لله، وكان بيتصدق حتى لو مش معاه جنيه. ونزلنا نشوف الجثة التانية، مكونتش أعرف إن حاجات زي دي ممكن تتجمع في يوم واحد وعلى مسافة كام متر من بعض.

اتحركنا مع التربي لمقبرة عادل وواضح إن التربي بعد الصدمة الأولى مكانش قادر يتحرك أساسًا، كان واضح تمامًا إنه مشافش حاجة شبيهة قبل كده، فكان شارد الذهن تمامًا، وصلنا لمقبرة عادل، اللي اسمه مكتوب عليها بدهان أبيض، واضح إن التربي منهار، عرفت منه إنه برضه مفيش غير جثمان واحد جوه، وبعدها استبعدته لانهياره، واتعمل الكردون الأمني، خليت شبل اللي مفيش على ملامحه أدنى اندهاش يكسر الأسمنت اللي باين تمامًا إنه قديم ودايب. فتحنا الباب وفاجئتنا رائحة لا يمكن لبشر تحملها خارجة من جوه كأنها إعصار. أنا اللي متعود على أسوأ روائح التعفن دون كمامة حتى كنت متضايق جدًا جدًا، وشبل ولا أي اندهاش، الناس والنيابة والمباحث بدأت تبعد لدرجة إن أقرب واحد ليا كان تقريبًا على بعد (٥٠٠) متر وحاطط عشر مناديل كلينيكس على مناخيره، وميصحش كطبيب شرعي تلبس كمامة، وإلا تبقى فرفور وميشو.

كملت فتح الباب وبصيت جوه ضلمة كحل. نورت كشاف الموبايل، وشفت ما لا يمكن لبشر تحمله، تعبان رمادي غامق طوله حوالي مترين واقف بعد الباب مباشرة ليه فحيح وحركة مقززة، وتعبان أسود غرييييب طوله مترين تقريبًا موجود حوالين الكفن وعليه بشكل مقزز، فئران ميتة ومتعفنة، حشرات كتيرة جدًا أشبه بالخنافس لكن أكبر قليلا تتحرك في كل مكان، وقطة سوداء هي أقبح ما شاهدت في حياتي على الإطلاق. ميتة ومنتفخة وعنيها مبرقة جدًا!! أشبه بجابر كده والعياذ بالله. منظر لا يمكن لمخلوق تحمله، مستحيل، رائحة مستحيلة، الغريب تأكدت بنور الكشاف من منافذ القبر،

مفيش أي فتحة، غير ثقب صغير في الأرض جنب الجدار الخلفي، يسمح بدخول تعبان اه، لكن يستحيل يدخل قطة مستحيل، المنظر بشع والتعبان واقف، حدفت عليه حاجة انسحب فعلًا للخلف ونزل في الفتحة دي. الثعبان الآخر بيتحرك ببطء مقزز على الكفن المتسخ بشدة، وكأنه لزج وبيسيب مكان حركته مادة سوداء لزجة بشعة، حدفت عليه حاجات مفيش أي فايدة، عندنا قطعة معدنية طويلة ورفيعة في الأدوات بنستخدمها في تحديد مسار الطلقات النارية داخل الجسم، حاولت أحركه بيها. مفيش فايدة لزج وبيتحرك ببطء، والريحة لا تطاق، شبل جاب جذع شجرة وبعد استماتة قدرنا نحركه لركن القبر ويبدأ يلتف حوالين القطة السوداء المقززة في منظر يثير الغثيان، مقدرناش ندخل من الريحة والمنظر البشع للحيوانات الميتة اللي جوه، سحبنا الجثمان من نهاية الكفن، طلعناه بره، الكفن بشع، قذارة غير متناهية، ديدان وحشرات تملأ كل مللي فيه. هنزلكو صورة ليه، فتحنا الكفن، الرائحة تضاعفت، وواضح إن الرائحة كان مصدرها الجثمان نفسه مش الحيوانات الميتة، الجثمان عبارة عن هيكل عظمي، لم أرَ في حياتي عظام زرقاء، زرقاء غامقة تثير داخلك كل أنواع الغثيان، الجمجمة متحطمة من آثار الطلق الناري، ومليئة بفضلات غريبة لحيوانات وجلد تعابين جاف، مكونتش قادر أكمل اكتفيت بمكان الإصابة بس، وكل همي احنا هندخل القرف ده تاني ازاي. قلت لشبل اقفل الكفن ده، قفله وأول مرة أشوف شبل مشمئز ومدمع في حياته، وآخر مرة، بصيت جوه على المكان اللي هدخله فيه، لقيت الثعبان الأسود والقطة السوداء المتعفنة أصبحوا مكان ما كان الجثمان موجود، وكأن الثعبان سحب جسم القطة لهنا، وأسفلهم كم ديدان غير طبيعي، مش بس تشوفها لأ بتسمع صوتها، صوت حركتها وأزيزها المستمر، ربطنا أخر الكفن من عند الراس في جذع الشجرة، وبدأنا ندفعه بيه للداخل، نص ساعة على ما قدرنا ندخله، وبمجرد دخوله خرج الثعبان الآخر وبدأ يطلع عليه، وحيوانات وأنصاف حيوانات متعفنة تملأ القبر، وعيون حيوانات بس بدون أجسادها، وفي وسط ده كله، لقيت نصف حيوان ميت متعفن يبدو أنه لفار بيتحرك بجانبه لحد ما استقر جنب الكفن بالظبط!! فضلت واقف خمس ثواني في حالة ذهول أشاهد المنظر البشع، وخيالات باستمرار تتحرك على الجدران الداخلية رغم تثبيت إضاءة الموبايل، ياااااا ربيييي، إيه ده!! إيه ده!! حالة من الرعب والاشمئزاز والغثيان أي حد ممكن يحس بيها لمجرد رؤية المنظر، ما بالك بروح عايشة جواه، وكل الحاجات دي جت منين؟؟ وإيه كم الديدان والحشرات دي؟ قفلت الباب وأنا في حالة لا يمكن وصفها على الإطلاق،

خليت التربي جه من بعيد جاب أسمنت وحطه وكان كل شوية يتقيأ، أنا وشبل منطقناش ولا كلمة بعدها، كتبت في ورقة تم تشريح الجثمان بمعرفتي وحطيت توقيعي، اديتها للتربي يديها لعضو النيابة، مكونتش طايق أتكلم مع حد، خليت شبل جمع أدواته ورمى أي أداة استخدمناها في الحالة دي، اتحركنا، ركبنا عربيتنا ومشينا.

صمت مطبق مني أنا وشبل، كانت أول مرة أخاف، مش أخاف من اللي شوفته، أخاف من ربنا، وأحس إن نهايتي هتبقى يا إما محمد يا إما عادل، والفرق صعب، صعب بجد، السواق بيحاول يفتح أي كلام، لا أنا ولا شبل بنرد عليه.

افتكرت الحلم اللي حلمته، وكان فيه قطة سوداء مقززة تحت شجرة بتصرخ صراخ القطط في رعب وكأنها ذئب يعوي، وعلى الشجرة طائر أبيض سبحان الخلاق البديع كأجمل ما يكون هو والشجرة، كان حلم غريب مفهمتهوش وقتها رغم إني بطبيعتي عدد أحلامي في حياتي لا يتجاوز أصابع اليدين.

عملت كام اتصال، بكلمات مقتضبة، عرفت إن عادل كان عامل بمسجد ومفصول من عمله بسبب سجنه خمس ستين في قضية هتك عرض طفلين، داخل حمامات المسجد.

استمرينا في الصمت المطبق، لحد ما ارتفع صوت شبل المبهج قائلا: أول ما دخل، دخل على الأوضة، لبسها الموضة، واتكل على الله

تاني ما دخل، دخل على السرير، لبسها الحرير، فأرد أنا والسواق في خشوع، واتكل على الله، اختاروا بين محمد وبين عادل. قراركم لسه بين إيديكم، بعدين مش هيبقى ليكم قرار.

وبيوتكم اللي بتبنوها في حياتكم مش هي البيوت اللي عايشين فيها، بيوتكم الحقيقية هي قبوركم، فابنوها كما تريدون أن تكون.

الحكاية التاسعة

أنا كل هذا يا أنت، نعم، يلزمك عمرا فوق عمرك لتدركين الفارق الشاسع بين أشخاص تصنع الحياة بكل طقوسها، ألوانها، أفراحها، وأتراحها شخصياتهم، ورجل يصنع الموت منفردا شخصيته، الموت فنان مبتكر أسطوري، للموت خلطة ينثرها في النفس لن يُعرف يوما سر طبختها، طبق شهيّ من البوح، من الحزن، الغموض، الإرباك، الثقة، الوسامة، الكبرياء، والرقي، طبق لا يخلو من بعض توابل التواضع الحلو، والغرور المرّ، وأوجاع استثنائية رسمت عينان طاعنتان في الإغراء لرجل عشقته النساء لفرط ازدراءه للحياة، حياة!

كيف أسميناها حياة؟!! تلك التي في كل قبر لها جريمة وفي كل فرح فيها فجيعة؟ حياة؟!!

أي حياة تلك التي كنا نحلم أن نموت من أجلها، وإذا بنا نموت على يديها، أحياة هي؟

تلك التي كلمّا أقبلنا عليها وانحنينا لنبوس ترابها، باغتتنا بسكين وذبحتنا كالنعاج تحت أقدامها؟

وها نحن جثة بعد أخرى نفرش أرضها بسجادٍ من أغبياء، كانت لهم قامة أحلامنا، وعنفوان غرورنا.

ربما من أجل هذا أنا هنا، ومن أجل هذا أحبكم.

أعدكم سأذكر الجميع عند موتي، فنحن عند الموت لا نتذكر إلا الوجوه السمحة التي منحت لنا القلب والجسد والروح بسخاء وغضت الطرف عن الحماقات الصغيرة التي لا تغير كثيرا في نظام الأشياء، فالجمال عليكم، وروعة العشق، وحكاياته.

أما أنتِ، فالسلام عليكِ في أزلية عشقكِ الذي لا ينتهي، السلام عليكِ يوم وُلدتي، ويوم مُتي، ويوم تُبعثين حية، نامي في حفظ الله أيتها الجميلة، فالحب بعدك مستحيل والأنوثة مستحيلة.

***

الزمان: نوفمبر ٢٠١٤.

المكان: مشرحة زينهم.

إشارة بموت دجال النقاب، إيه قصة دجال النقاب.

ده كان دجال بيقوم بعمل سحر على هيئة أعمال والقاءها في المقابر، أو دفنها داخلها ومعظم الأعمال كانت تخص العلاقات الجسدية لإفشال العلاقة بين الأزواج، أو جذب أنثى لرجل، بل وصل بيه الفجر إنه كان مجند واحدة ست مغسلة موتى وكانت تضع له الأعمال في فم الموتى والعياذ بالله، ومن المعروف في حالة السحر الأسود القذر إن هذه الطريقة تزيد تمامًا من قوة العمل وضرره كما أنه لا يمكن فك السحر أبدًا، وكانت نساء قد اشتكته من قبل بأنه مارس الجنس معهن بعد أن لجأن إليه وسيطر عليهن بقوى خفية، ولم يروا وجهه لأنه ظل مرتديا النقاب، وأفلت من الاتهام لعدم وجود أدلة، مات من ساعات أثناء ممارسة الدجل والسحر بعد طعنة في الصدر من أحد الأزواج.

قاعد في المكتب لقيت شعبان معدّي في الكوريدور شايل عينات دم.

- شعبااان.

- أيوه يا معالي الريس

- جاي جثة دلوقتي بس مبتظهرش على رجالة.

- طب وهما فين الرجالة يا ريس؟

- لأ مانا عارف، أنا بتكلم يعني إني مش هقدر اكون معاك في الحالة دي.

- دي ليها الشرف والله يا ريس إنك تشوفها، إنما أنا تعتبرني زي اختها، أنا جوز النسوان اللي معايا جابوا أجلي من خناقاتهم مع بعض، أصلهم في بيت واحد كل واحدة في أوضة،

اراضي دي واجيب آخري التانية تعمل فضيحة فأقول: للأولى إني رايح أستحمى، وأروح اراضي التانية وأنا بموت الأولى تعرف تيجي على الباب تعملي فضيحة، فلازم أروح أراضيها التانية تيجي وهكذا لحد ما بقيت بيات هنا في المشرحة، وآخر ما زهقت قولتلهم: أنا كشفت وجالي عجز جنسي يا ولاد ميتين الكلب. ومن يوميها بقوا حبايب ومعادوش بيتخانقوا أبدًا وبقوا سمنة على عسل، ومن يوميها وهما بيكلموني في البيت كأني اختهم، لما أرجع مثلا البيت يقولولي: انتي جيتي يا بيضة، طب تصدق بالله، أول امبارح معدتي وجعتني وترجيع كده لحد ما دخت كنت خايف اطلع حامل. فالجثة دي تعتبرني أختها.

- ربنا يمتعك بالسلامة، بس بعد اللي إنت قلته ده كله اللي جاي راجل مش ست.

- راجل!!!!! أمال مبيظهرش على رجالة ليه يروح أمه، سوسو ولا إيه؟

- ده دجال بس على طول لابس نقاب مبيقلعهوش ومحدش يعرف وشه شكله إيه خالص.

- قالي: عارفه ابن الكلب، سمعت عنه، مش ده اللي من ***.

- أها، دانتا عارفه بقا وشكلك مضايق منه، إنت متأكد إن اللي إنت قلت لمراتاتك كان مجرد كلام مش حقيقة.

- لا والله ده كلام بس.

- نفوق بس ونبقى نكشف ونشوف، عموما اجهز يلا عشان جاية دلوقت وهنشتغلها على طول، إنت عارف ضيف زي ده لازم نكرمه، خده من الباب للترابيزة على طول

- أوامر يا معالي الريس.

بعدين مشي في الكوريدور وسامعه بيكلم نفسه وبيقول: قال حقيقي قال، وجه معلي صوته على الآخر عشان يسمعني وهو بيقول: أوديكي فين يا صحة.

يا دوب الماكينة عملت القهوة لقيته جاي بيقول: الأخ المنقب جه وع الترابيزة، لبست ونزلت.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكر يرتدي جلبابًا بني اللون، أسفله ملابس داخلية بيضاء اللون متسخة، وعلى رأسه شال أسود ملتف على هيئة نقاب يخفي جميع ملامح وجهه وعنقه عدى العينين، وبرفع النقاب تبينًا، إيه ده، إيه الأرف ده، بقع صديدية متعفنة دائرية الشكل منتشرة بالوجه والعنق يغلب عليها اللون الأبيض ومحاطة بآثار تعفن في الجلد، يبدو أنه مرض جلدي أصابه منذ سنين حتى وصل لهذه المرحلة، كما توجد لحية قصيرة وبها أيضًا ذات البقع الصديدية المتعفنة، وبفتح الفم تبيناه من الداخل مليء بهذه البقع باللثة والحلق.

إيه الأرف ده، الراجل تعفن وهو على قيد الحياة، الجثة الوحيدة اللي مثبتة علميًا وقربت عنها بالمنظر ده كانت جثة الكلب شارون رئيس وزراء إسرائيل السابق منفذ مذبحة (صبرا وشاتيلا) ياااا ربي، منظر مقزز لا يمكن لأحد أبدًا أن يطيل النظر إليه، عشان كده كان طول عمره مخبي وشه.

كل ده رغم ندرته الشديدة قد يقع في نطاق المقبول، شعبان شال ملابسه برائحتها القذرة، لدرجة إن شعبان اللي كان متحمس لتسريحه بقي أرفان منه وعاوز تخلص، شفت مكان الطعنة كويس بيمين الصدر، واضح إنها طعنة مباشرة وبمطواة مش سكينة، فحصت العظام من الخارج بإيدي كلها سليمة مفيش فيها أي كسور، رحت أفحص الجمجمة، ولما قربت منه سمعت أنين بصوت منخفض كأن حد بيتعذب! فضلت مركز، خليت شعبان سمعه، صوت أنين واضح جدًا!!! لكن بيطلع من الداخل، من جوه الرأس مش من الفم، كأن الخلايا نفسها اللي بتستغيث، بعد ما مسكت الرأس بقيت أرفان من الجوانتي، قلت لشعبان يجيبلي جوانتي جلد مش الجوانتي الطبي العادي، خرج يجيبه، من أرفي من الراجل وريحته قلعت الجوانتي وخرجت وراه، جاب الجوانتي لبسته، وراجعين الأوضة، سمعنا خبطة رهيبة، ترابيزة التشريح معدنية، استانلس ستيل، والخبطة كأن حاجة حديد ضخمة وقعت عليها، رحنا بسرعة وكل توقعنا إن الجثة وقعت أو الترابيزة اتكسرت، دخلنا ملقيناش أي شيء إطلاقًا، بصينا في القاعة التانية مفيش، مفيش أي حاجة، استغربنا جدًا، حتى الشيخ سعيد جه يسأل إيه اللي وقع، ملقيش حاجة ومشي.

بدأنا تاني، حسيت شكل الإيد اليمين مش مريحني، بصيت عليها تاني لقيتها مكسورة، إزاي وأنا لسه شايفها حالا مش مكسورة ومسجل ده!! الإيد الشمال كمان مكسورة، الرجلين مكسورين من عند الساق، ضلعين مكسورين، أثناء التشريح جميع الكسور غير حيوية، يعني حصلت كلها بعد الوفاة، يعني حصلت من دقايق، إزاي ده حصل وإيه أصلا اللي حصل معرفش، القلب الطبيعي والمخ الطبيعي بيكون لونه وردي غالب على أحمر، فعلا أنا ما شفت في حياتي قلب بشري ومخ بشري بهذا اللون الأسود، وليهم صورة بالمناسبة، الشيخ سعيد اللي ميعرفش أي حاجة بيقسم إن الأخ اخد مية في الغسل أد عشر جثث ولا زالت المية بتنزل من جسمه متسخة رغم تغسيله بالصابون أكتر من (٣ مرات) ولا زالت المية متسخة رغم إن جسمه نضف فاضطر يكفنه ويسلمه لابن عمه وهو الوحيد اللي جه يستلمه، سواق عربية نقل الموتى جاي بيرجع من الرائحة رغم كولونيا خمس خمسات بتاعة الشيخ سعيد، والجثة بتبقى متثبتة دايمًا على ترابيزة جواه العربية بأربطة، جم يطلعوا الجثة لقيوا الرباط اتقطع والجثة اتقلبت على وشها في أرض العربية طول الطريق.

الحكاية العاشرة

الزمان: أغسطس ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الحادية عشرة ليلًا.

إشارة بوصول جثة رجل في الخامسة والأربعون من العمر مات خنقًا باستخدام سلك تليفون. وقالت التحريات: إن المتوفى كان يعاني من حالة نفسية ويدعي وجود ملك جن يعيش داخله ويحدثه ويوجه له الأوامر ويعاقبه إذا لم ينفذها، وفي آخر يوم قال لأحد أفراد أسرته: إن الملك أمره بالانتحار وأنه سينفذ الأمر ثم وجدوه ليلًا في غرفة من غرف المنزل خنق نفسه بسلك تليفون، عن طريق لفه حول رقبته وربطه ثم قام بوضع عصا خشبية بين السلك والجلد ولفها حتى اختنق، وهي طريقة شائعة في الانتحار بدول الغرب الإفريقي.

- يا مجنووون.

- (جاي وهو بياكل) اؤمرني يا معالي الريس.

- بتاكل إيه يا شعبولا.

- بطيخ يا معالي الريس، والله لازم أجيبلك.

- ماشي لما أنزل.

- هتعجبك والله يا ريس، مش الشيخ سعيد عزمنا على (شوبيس رمان).

- وأنا بقلب في ورق، معقول! ده اشمعنى كده!

- أصله غسّل النهارده ييجي خمسين جثة وتقريبًا حطلهم مسك الرسول، فعمل ... كتير، وحلف إنه هيعزمني أنا وهشام وأحمد على العشا، ورايح جايلنا ... وشوييس رمان، وبيقول: أصل أنا نباتي.

- وإنت عديتها عادي كده؟

- لا طبعا، قلت لمراته: إنه متجوز عليها واديتها رقم مراته التانية، ووصفتها لي وزمانها عندهم دلوقت، أصله نباتي، عشان كده اديتلها وهيا رايحة من ... جايبينه أتخن عود، عشان تعالجه بالأعشاب.

- الله يخرب بيتك، هتموته، مين هيغسل الجثث دلوقت.

- أنا يا ريس متقلقش، وهجيبلهم مسك النبي وكفن الصحابة كمان.

- طب يلا، جيز المنتحر ده خلينا نقلبه.

- على فكرة يا ريس، جثة الواد ده شمال مش مظبوطة، من ساعة ما جه وهو مش ... بعضه، وكل شوية أبرقله مفيش فايدة.

- طيب يلا جهزه أما نشوف.

نزلت. (ريكوردينج)

«الجثة لرجل في الخامسة والأربعين من العمر، متوسط القامة والبنية، يرتدي ... رصاصي اللون، وتيشيرت رصاصي اللون بنقوش سوداء، وملابس داخلية زرقاء اللون، والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات والتلوثات المشتبهة، له لحية صغيرة قصيرة بمنطقة الذقن فقط، كما تبينا حزًّا بالعنق بعرض نصف سنتيمتر، وطول ... حوالي (٤٣ سم) بوضعية مائلة محيط بالعنق بشكل كامل عدا جزء بأقصى اليسار.

اقلع الهدوم دي يا شعبولا يلا.

في دخلة الشيخ سعيد بشنطة هدومه

- شعبان بفرح: إيه يا شيخ سعيد إنت اتطلقت ولا إيه؟

- الشيخ سعيد: مين اللي قال لمراتي إني اتجوزت يا شعبان؟

- شعبان بذهول: التجوزت!! هو إنت التجوزت؟ تصدق إنك راجل مش كويس، ده مراتك دي تحطط على الجرح بطيب، اخلص عليك يا شيخ سعيد اخلص.

- الشيخ سعيد ماشي وهو بيعرج: ماشي يا شعبان بس لو عرفت إن إنت اللي قولتلها؛ والله ما هعديهالك.

- شعبان: تصدق بقا إنك زعلتني بالكلمة دي، فعلًا زعلتني، شكرًا يا شيخ سعيد، شكرًا

- أنا بزعيق: خلاص خلصنا في قصة محكمة الأسرة دي روح أوضتك يا شيخ سعيد خلينا نخلص.

الشيخ سعيد مشي وشعبان بيقول: بصوت واطي بيكلم نفسه، اعرج يا تبالي يا ***اعرج، دنا هـ***.

وكيلو الموز ده هحطهولك في بؤك

اخلص يا شعبان يلا، وأنا مش قادر أمسك نفسي من الضحك.

شعبان قلع الراجل الهدوم كلها، وأنا المشرط بيلمس رقبته ولقيت عضلاته كلها تشنجت، لدرجة إني فكرته عايش، شفت النبض لقيته متنيل، والعضلات اتشنجت كلها وبمجرد ما المشرط بدأ يتحرك جت عينه مفتحة، شعبان قالي: مش قولتلك؛ شمال ومش مظبوط، ضحكت وشعبان بيقوله: اهدي يا سعات سيبي نفسك يا سعات الفتح بيبدأ من أسفل الدقن كده لحد آخر الحوض، وبمجرد ما وصلت عند نص البطن شفت موقف ما هنساه في حياتي أنا شفت مثال ليه أثناء استخراج جن من واحد عايش وكان من صياته، لكن المرة دي مشوفتش قبلها، أول ما وصلت عند البطن بدأت عضلات البطن تتشنج بشده وتتقبض وتتبسط بشكل غريب، وشعبان واقف بيضحك ويقول: بيعملك اسكس باكس يا ريس، وفجأة لقيت يمين البطن بينبض كأن فيه قلب تحته ويعلى كده كأنه بالونة، وجه منفجرا الجلد اتفتح حوالي سم وطرطش الدم وجاب شعبان وهو بيضحك من فوق لتحت، شعبان فضل حاطط إيده على خده وبيبص عليه ومبيتكلمش ووشه وهدومه كلها دم وأنا مش قادر أقف من الضحك، وقالي: الشيخ سعيد دخل قرأ علينا جنية ياسين.

كملت تشريح، سبب الوفاة هو الخنق وانسداد المجاري التنفسية العلوية. مش
المهم، المهم إني لقيت في المعدة كتلة من نسيج متعفن أسود اللون قذر الرائحة
واضح المعالم وجواه خيوط رفيعة جدًا زي خيط الفتلة لونها اسود وكانت متشعـ
بجدار المعدة والفحص الباثولوجي مقدرش يحدد إيه دي، لكن أنا كنت عارف من قـ
حتى مفحصها باثولوجي، ده سحر مأكول. بالمناسبة، ما أكلتش بطيخ عشان أتقز
إن شعبان حاطط نص البطيخة في درج جثث جنب جثة عشان تسقع.

الحكاية الحادية عشرة

الزمان: فبراير ٢٠١٦.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الواحدة ليلًا.

إشارة بوفاة رجلٍ عاطل عُثر عليه ميتًا في شقته بعد بلاغ من مجهول. بإجراء التحريات تبيّن أنَّ المذكور توفي من يومين حيث كان يتعاطى الهيروين رفقة أصدقائه في وجود بنات ليل، وعندما انفرد بإحداهن داخل غرفة النوم فاجأته أعراض الأوفر دوز وبدأ في التعرق والهذيان ثم تقول البنت إنه أصابه شلل أدى إلى اعوجاج فمه، ثم بدأ يهذي بكلام غير مفهوم إلى أن سقط ميتًا عاريَ الملابس من أسفل مرتديا جاكيت تريننج أحمر فقط من أعلى، فتركه أصحابه وغادروا المنزل. باستكمال التحريات واعترافات أصدقاؤه تبين أن أحدهم والمذكور حصلا على الأموال التي أقاما بها السهرة من بيع توكتوك لأحد التجار، وقد تبين أنهما سرق التوكتوك من طفل في الرابعة عشرة من العمر بعد أن غافله المتوفي بمطواة في عنقه من الخلف أدت إلى وفاته ثم قام بإلقائه في إحدى الترع وقد عُثر على الطفل بعد يومين أيضا.

يلا يا هشام جهز الحالة دي عشان نشتغلها عشان أمشي، حاضر يا ريس بس يا ريس الحالة دي فيها حاجة غريبة جدًا هما قايلين في الورق إنه بقاله يومين، لكن الجثة كأن بقالها شهر وإحنا الجو مش حر يعني يمكن قصدهم عشرين يوم، اتصلت برئيس المباحث، ألووو، أحمد بيه، واحشني والله.

- إزيك يا دكتور، كنت لسه هكلمك والله.

- أكيد على نفس الجثة، هي بقالها كام يوم؟

- دنا اللي هسألك، دلوقتي الكاميرات بتاعة الشارع جايبة الواد وهو داخل هو وأصحابه والبنات البيت من يومين، وآخر ناس شافته من يومين وآخر مكالمة من تليفونه من يومين، وكمان واحد منهم مصوره وهو بيرقص مع بت قبل ما يموت بساعة واتأكدنا من تاريخ الفيديو من يومين ومصطفى بيه شاف الجثة وبيقولي دي بقالها يجي شهر، أنا قلت إنت اللي هتنورني.

- طيب أنا لسه مشوفتهاش والله. بس سمعت نفس الكلام، فهنزل أشوف أهه بعدين تتكلم، حبيبي، مع السلامة.

- في حفظ الله.

نزلت.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكرٍ في العقد الثالث من العمر، متوسط القامة والبنية بملامح وجه متغيرة وفم معوج، وتظهر عليه علامات تعفن رمي متقدمة تقارب العشرون يوما، عارٍ الملابس من أسفل وجاكيت أحمر من أعلى، وتعذر أخذ عينة دماه أو بول لإجراء الأبحاث بسبب التعفن المتقدم، لكن بعصر القلب تمكنا من استخراج بعض نقاط الدم المتجلط ثبت احتواءها على الهيروين والحشيش بجرعات كبيرة».

إيه المنظر القبيح ده، وبعدين يومين إيه. العيال دول بيشتغلوهم، لكن أسوأ ما في المنظر هو العضو الذكري الذي رغم كل هذا التعفن لا زال منتصبًا ومنتفخ بشكل كبير، وقد شمل التعفن جميع الجلد المحيط به، تم أخذ عينة (DNA) ثبت أنه نفس الشخص، مفيش أي شيء آخر يتعمل، وشيل يا هشام الأرف ده وأنا هطلع ألبس عشان ماشي، هشام خيّط وقفل وحط الجثة في درج، طلعت لبست ونازل عشان بخرج من الباب المصفح لأن عربيتي بتكون قدامه مباشرة، لقيت هشام وأحمد واقفين في نص المشرحة وبيضحكوا، فيه إيه يا أهبل أنت وهو؟ قالولي: تعالي يا ريس اسمع، رحت عند الدرج اللي فيه الجثة، صوت فحيح أفاعي مقزز، نفتح باب الدرج يقف، نقفل الباب صوت الفحيح يشتغل، نقفل يقف، أكتر من (٢٠ مرة) لدرجة إني وقفت نص ساعة أسمع.

الصبح ولأن القسم اللي حصلت فيه الواقعة قريب مننا جدًا، قابلت ظابط مباحث ورحت، كنت حابب أبص على البيت، فوجئت إن الجثة كانت على الأرض على البلاط جنب السرير في أوضة مفيش فيها غير السرير أصلا. الشباك بتاع أوضة النوم متوارب وفي آخر دور وهو أعلى مبنى في الجوار. الأوضة بتدخلها الشمس من ساعة ما تطلع لحد العصر تقريبا. الحيطة عليها مراية زينة محدبة شديدة التحديب، بتعكس الشمس بقوة رهيبة وكأنها عدسة مجمعة وبتعكس ضوءها على الأرض في نفس المكان اللي كانت فيه الجثة بالظبط. المراية دي وأنا صغير كان عندي منها واحدة على هيئة عدسة، لو كنت حطيتها في الشمس وتحتها ورقة الورقة دي كانت بتحترق من تجميع أشعة الشمس، وتجميع الأشعة وتساقطها عليه بالشكل ده هو اللي عفن الجثة بالسرعة الرهيبة دي وشبه تفحمت، حتى البلاط مكان تجمع الأشعة أسود جدًا لأنه بيتعرض لتجمع الضوء ده من فترة، كده تهينا قصة التعفن، الظابط فضل يشكر كتير، باقي قصة الفحيح، رحت المشرحة وهشام واقف يسمع اللي طالع واللي نازل، الجثة فضلت عندنا عشر أيام تقريبا الفحيح لم يتوقف، محدش من الأهل جه استلم، تقرر الدفن في مقابر الصدقة، الشيخ سعيد يقسم إنه لما حط الجثة ولسه بيطلع نسي حاجة بيجيبها لقي تعبان أسود جنب الجثة وبيعمل نفس الصوت بالظبط اللي كان في درج الجثث.

الحكاية الثانية عشرة

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: سبتمبر ٢٠١٤.

التوقيت: الحادية عشرة ليلًا.

إشارة بوفاة سجين انتحارًا في أحد السجون كان يقضي عقوبة الحبس المشدد لمدة (١٥ سنة) حيث كان يقوم بتحفيظ القرآن في أحد المساجد وقام بهتك عرض (٧ أطفال) حيث كان يجمع الأطفال في إحدى زاويا المسجد ويغلق أبواب المسجد من الداخل بحجة زيادة تركيز الأطفال ثم يأخذ الطفل الضحية خلف المنبر ويقوم بهتك عرضه ويهدده بالذبح إذا أخبر أحدا، وبعد اكتشاف إحدى الأمهات الواقعة عندما لاحظت دماءً في ملابس نجلها الداخلية، وعلمت القصة من الطفل سارعت بالشكوى وبدأ الأهالي يضغطون على الأطفال حتى اعترف الأطفال السبعة، وقد لقي الجنين حتفه إثر الانتحار شنقًا باستخدام قطعة من ملاءة السرير بحمام السجن.

- شعبااان، يا زفتتتت.

- أيوه جاااااااااي.

- قولتلك بطل أسلوب القهاوي ده، يا شعبان متخلنيش أنقلك. افرض حد في المكتب عندي، يقول إيه، قاعدين في قهوة.

- ماشي يا معالي الريس، هبقى أبص في المكتب عند حضرتك الأول لو ملقيتش حد هقول أيوه جاااااااااي.

- مفيش فايدة يعني، ماشي، متزعلش مني بقا وتيجي تعيط.

- خلاص والله يا معالي الريس آخر مرة.

- ماشي ومتخلنيش أقلب عليك يا شعبان، جهز الجثة اللي تحت يلا بسرعة وأنا نازل

مشي وأنا سامع الشيخ سعيد بينادي عليه، وهو بيرد بصوت عالي عشان يسمعني: بي

جاااااااااااااي عشان الريس ميزعلش.

نزلت عملت نفسي مسمعتهوش، بدأنا التشريح شفت منظر مشوفتهوش في حياتي، أول مرة في حياتي أشوف جثة متوفية من كام ساعة فيها تعفن في أماكن آه وأماكن لأ، ومش تعفن عادي، لأ تعفن تعفن بحق الله، الوجه والصدر والعضو الذكري حصل تعفن كأنه مات من (٨ أيام) وباقي الجسم في الحالة العادية تمامًا لشخص مات من ساعات، تتخيلوا ده؟ مفيش كتاب أو مرجع طب شرعي في التاريخ ذكرها، كمان بعد الوفاة الدم بيتحرك بتأثير الجاذبية الأرضية نحو أقرب الأماكن للأرض، وبيعمل حاجة اسمها الرسوب الدموي ودي من أهم الأشياء بالنسبة للطبيب الشرعي في شغله، لأنه بيساعده في تحديد وضعية الوفاة، لو الميت مثلا مشنوق بيتجمع الدم في الرجلين لو مات نايم على ضهره بنلاقيه في الضهر، ولو على بطنه بنلاقيه في البطن، على الجنب اليمين بنلاقيه وهكذا، وده بيبدا يحصل بعد ساعتين من الوفاة ويستمر في الزيادة بالتدريج حتى (٦ ساعات). طيب لو لقيته في البطن والظهر، يبقى الجثة دي في حد غير وضعيتها بعد ساعتين من الوفاة، كمان لون الرسوب الدموي بيشير لسبب الوفاة، اللون الطبيعي بتاعه بنفسجي فاتح، لكن مثلًا لو أحمر غامق يبقى دي حالة أسفكسيا، أحمر قاني أحمر أحمر يعني بيشير لتسمم بأول أكسيد الكربون، بنفسجي غامق جدًا بيشير لسموم، رسوب دموي باهت جدًا بيشير لنزيف أو المتوفي كان عنده أنيميا، ده باختصار، إذا في الحالة دي المتوقع إني أشوف الرسوب الدموي في الرجلين ولونه أحمر قاتم، لكن إني ألاقيه في الرأس والوجه ولونه أسود دي حاجة مشوفتهاش في حياتي كلها، لابس لبس السجن، بدأت أشوف الحز بتاع الشنق على الرقبة عميق واضح إنه اتعلق لفترة، بدأت أتابعه لحد ما سمعت صوت غريب جدًا جدًا صادر من الراس، وبدون أدنى مبالغة، سمعت صوت المية وهي بتغلي، نفس الصوت كأن فيه حاجة بتغلي جوه راسه والوجه عليه مظاهر ألم رهيب، أحاول أبعد وأرجع نفس الصوت، جبت المجنون، قولتله: اسمع كده، سمع الصوت، وقالي: بلا مبالاة معتادة، طب حد يطفي عليه ليتحرق، وبعدين سألني هو مات ازاي؟ فحكيتله،

قال: دنا هفشخ ميتين جمجمته دلوقت. وبدون أدنى مبالغة بحرك إيدي حسيت بسخونة طالعة من ودنه، قلعت الجوانتي عشان أحسها، شفت لو حطيت إيدك فوق شعلة بوتوجاز بخمسة سنتيمتر كده بدون مبالغة. شفت الصهد والحرارة اللي طالعة منها؟ نسخة طبق الأصل، والله طالعة من ودنه الاتنين. بدأنا التشريح وكل ده مستني فتح الجمجمة، اللي شعبان فشخها فعليا. توقف الصوت بمجرد فتحها، والاقي درجة حرارة الدم جوه الرأس (٧٠ درجة مئوية) ودي حاجة مستحيلة وباقي الدم بالبطن والأطراف درجة حرارته ٣١ وده الطبيعي بعد ٦ ساعات وفاة لأنها بتنزل درجة كل ساعة. كان شيء غريب جدًا!. الشيخ سعيد غسله عادي، أهله استلموه من فتحة الباب وحطوه في النعش وبحاولوا يطلعوا من النعش من البوابة النعش رافض تماما. قبل كده شفت نعش بيتحرك بسرعة جدًا، لكن نعش مبيتحركش من مكانه مشوفتهاش قبل كده، أخدوا خطوتين وبعدها النعش وقف تماما. يحاولو يحركوا فيه مفيش. الشيخ سعيد نده عليا أنا وشعبان نتفرج، الشيخ سعيد قاعد يقرأ قرآن، وشعبان قاعد يقوله شييييي، حاااااا، لحد ما جه واحد منهم حط إيده على النعش وفضل يقول لا إله إلا الله، ويقرأ الفاتحة لحد ما اتحرك أخيرا، حطوه في عربية. مشيت، وعرفت بعدها إنها عملت حادثة، واضطروا يحطوه على عربية ربع نقل لحد المقابر.

الحكاية الثالثة عشر

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: فبراير ٢٠١٧.

التوقيت: الواحدة والنصف ليلًا.

إشارة بوفاة رجل في الخامسة والخمسين من العمر يعمل مؤذن وعامل في أحد المساجد بإحدى القرى التابعة للجيزة، بعد صلاة العشاء استمر في المسجد ساعة يقرأ القرآن ثم غادر المسجد وقام بإغلاق أبوابه ثم اتجه إلى منزله، وفي الطريق قام بعض الشباب بمحاولة سرقته بالإكراه؛ لكنه رفض ونهرهم ووعظهم فقام أحدهم بضربه بقطعة حديدية على رأسه ففقد الوعي، وقاموا بسرقته. وجده أحد المارة ملقى على الأرض فقام بنقله لأقرب مستشفى حيث تمت إسعافات أولية؛ لكنه لقي ربه بعد دقائق.

- شعبولا، جهز الحالة يلا اللي لسه جاية حالا.

- أوامر يا ريس. ده بسم الله ما شاء الله يا ريس، وشه طالع منه نور والله مع إنه شبه الشيخ سعيد بس على مؤمن كده.

- يعني الشيخ سعيد كافر؟ ماشي، عقبالك يا شعبان. يلا جهزه بسرعة جدًا عشان مستعجل

نزلت، الراجل فعلا نسخة طبق الأصل من الشيخ سعيد لدرجة إن الشيخ سعيد لما شافه بكى، وشعبان قاعد يقوله: يا ريتك كنت أنت يا أخي.

الراجل ما شاء الله لا قوة إلا بالله، بدر التمام، نائم في هدوء، يرتدي جلبابًا أزرق، على رأسه ضمادة طبية ووجهه يشع نور ما شاء الله.

التشريح مر بشكل عادي جدًا سبب الوفاة شرخ بعظام الجمجمة ونزيف في المخ تعمدت ميهدليوش أوي وخيّطت بنفسي، خياطة تجميل. بعد ما خلصنا تشريح الجثة اتحطت في درج تلاجة لحين إنهاء إجراءات الدفن. الشيخ سعيد اللي حطها ولقيته جاي ينادي عليا، ويقولي: عاوزك في موضوع، وأخدني للتلاجة والذي نفسي بيده آذان الحرم المكي من داخلها، الصوت واطي لكن وااااضح جدًا!، آذان الحرم المكي كأن فيه كاسيت جوه شغال عليه. أفتح الباب الصوت يقف وبمجرد غلق الباب يشتغل، حاجة مذهلة والله عليه رحمة الله. غسلته بنفسي، وصليت عليه قبل ما أهله يستلموه لعلني أنال بعضا من كراماته، منظر الراجل يجبر أي أحد في الدنيا إنه يعمل كده، إحساسك إنك واقف وبتغسل وبتؤدي خدمة وتكرم واحد هو دلوقتي في جنات النعيم إحساس رائع ومريح، إحساس إنه هيسيبك دلوقتي ويمشي رايح جنة مخلد فيها إحساس رائع، {سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم}، {يومَ تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وُجُوه}، {وأمّا الذين ابيضَّتْ وجوهُهُم ففي رحمةِ اللهِ هُم فيها خالدون}، {للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة ولا يَرهقُ وجوهَهُم قَتَرٌ ولا ذِلّة}. إيه اللي كان بينه وبين ربنا عشان يوصل لكده؟ دوّرت كالعادة وراه كتير، عرفت إن الراجل ده مقتدر ماديا جدًا، وبالرغم من كده كان بيعمل في المسجد تطوعا بكل أعمال النظافة والأذان ولا يتقاضى أي مرتب، كمان بيعمل مسابقات رمضانية للأطفال في حفظ القرآن توزع جوائزها ليلة القدر كل عام على نفقته الشخصية، لكن ده مش كفاية، مش هيوصله لكده، اللي يوصله لكده قلب نقي سليم نيته كلها في عمله لله لا نفاق ولا رياء، ده كان يعمل في مسجد والكلب اللي قبله كان بيعمل في مسجد، ده كان متطوع، والكلب اللي قبله كان بيتقاضي راتب، ده مجرد بيأذن وينضف، والكلب اللي قبله كان بيحفظ الأطفال قرآن، شوفو ده مكانه فين دلوقتي! وده مكانه فين! الدنيا بتمُر بسرعة أوي، اعملوا لآخرتكم والله، الموت بييجي في لحظة، أسهل طريق للجنة إنك تحط ربنا في قلبك، حتى اللي ميعرفش أي معلومات دينية، والله في أي حاجة اسأل قلبك هيجاوبك حلال ولا حرام بمنتهى السرعة، مش محتاج تسأل حد، ربنا خلق القلب على الفطرة، قلبك أعلم من أي شيخ أو قسيس أو رجل دين، اسأل قلبك هيجاوبك. اسأله في كل حاجة، الحاجة اللي تعملها وأنت مرتاح ومش مكسوف من حد ولا من نفسك وأنت بتعملها تبقي حلال، والحاجة اللي تعملها وأنت متوتر وحذر وقلقان حد يشوفك أو مكسوف من الناس او من نفسك تبقي حرام، هيا دي فطرة ربنا، فاسألوا قلوبكم في كل شيء، حتى في دينكم.

الحكاية الرابعة عشر

حسنًا، أنا طبيب شرعي ميداني. أنا لست فاسدا ولا مرتشيا ولا عميلا لأحد.

إن أشخاصًا تعلموا الحق من مهنتهم الموت واستبدلوا البالطو الأبيض الناصع ببدلات رسمية أنيقة ارتدوا أسفلها أكفانهم البيضاء ليمارسوا حياتهم عابري موتي، مدركين أنهم حتمًا سيلقون حتفهم بين جثتين لن يخافوا أبدا سوى الله، وضمائرهم.

إن أشخاصًا يعبثون في مقبرة لإجراء صفة تشريحية لجثة همدت منذ أيام عشر مبعدين بمشارطهم ديدان الأرض أثناء التشريح وهم يسمعون أزيزها ولا يعبأون برائحة لا يقوى بشر على تحملها مدركين تماما أنهم يوما ما حتمًا سيكونون هنا، لا بد أن يترفعوا عن ولائم الديدان البشرية المحيطة بهم، تاركين لهم نهم الدنيا وشغفها، وأكلهم حقوق الأخرين مشفقين عليهم من يوم ستلتهمهم ديدان الأرض لحما ودما. أشخاص حتمًا لن يخيفهم سوى الله وضمائرهم.

إن أشخاصا شاهدوا كرامات لجثث بيضاء كما القمر، وعذابات لجثث خضراء كما العفن، واستخرجوا جثثًا لا زالت تنزف جروحها بعد دفنها بشهور واستخرجوا جثثا تعفنت بعد دفنها بساعات، أشخاص يستحيل أن لا يخافوا إلا الله وضمائرهم.

إن أشخاصا يحددون وقت الموت من طول الديدان بالجثة، ويعيثون بين الديدان والجثث في أقبح منظر قد يشاهده بشري على وجه الأرض، وفي لحظات تراهم استعادوا بذلاتهم الأنيقة ورائحة "جيفينجي" تغرقهم، لم تعد تعني لهم الحياة شيئًا سوى رب، ودين، وعدل، وضمير، وما تبقى من وطن.

***

الزمان: يناير ٢٠١٧.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الحادية عشرة ليلًا.

بايت في الشغل زي جميع أيام الفترة دي، مدير علاقات عامة وإعلام وعندنا دايما لقاءات واجتماعات ومؤتمرات متتالية صباحًا. وأنا لو نمت في البيت أكيد أنتم عارفين، قاعد في المكتب بخلص شغل وجاتلي الإشارة التالية:

السيد/ مدير عام مشرحة زينهم.

نفيد سيادتكم علما بوصول جثمان المتوفي إلى رحمة مولاه، وجثمان جنين في القضية أعلاه، وقد أفادت التحقيقات الأولية أنّ زوجة المتوفي وعشيقها قد تسببا في قتله.

الرجاء من سيادتكم إجراء الصفة التشريحية للجثمانين لبيان سبب الوفاة، وتاريخها وكيفية حدوثها، والأداة المستخدمة في إحداثها على أن توافيكم لاحقا بمذكرة نيابة عامة شارحة لظروف الواقعة.

طبعا كلام مش واضح تماما، طيب زوجة وعشيقها تسببوا في وفاة زوج، طيب إيه الجنين المتوفي ده، هنشوف.

- شعبااااان، شعباااااااان.

- أيوه جاااااااااي.

- بصيت البصة اللي بتخوفه.

- بيلحق نفسه على طول، اؤمرني يا رياسة.

- فيه جثتين جم تحت من شوية؟

- آه يا ريس، عود وزعزوعة.

- يعني إيه؟

- راجل كبير وطفل: الكبير هو الرجل الذي فقد عقله، والطفل هو الطفل الذي سبق عصره. لازم تيجي تشوف والله يا ريس، لاااازم.

- طيب جهزهم يلا بسرعة عشان الريس (رئيس المصلحة) جاي دلوقت هيبات هنا، وأنا هطلع معاه فوق مش هنزل تاني وأي حاجة تانية تستنى للدكتور اللي جاي الصبح.

- (بدأ يهبله المعتاد يغني). آحيه آحيه، يبات هنا ليه.

- شعبااااان، يللااا!.

شربت قهوة وقرأت الإشارة تاني. مش فاهم أنا، وأنا بحب أفهم قبل ما أشتغل، طلعت رقم رئيس مباحث المنطقة دي واتصلت بيه، ودار الحوار التالي:

- أحمد بيه، مساء الفل.

- مساء الفل يا دكتور، إزيك عامل إيه؟

- تمام الحمدلله. بقولك يا ريس جثة الراجل اللي معاه جنين دي إيه ظروفها؟

- والله يا ريس ما فاهمين حاجة لسه، ولكن لحد دلوقت عندنا التالي: الست دي متجوزة من عشرين سنة مبتخلفش، ناس قالوا لجوزها دي معمولها سحر، راح جوزها جاب واحد من بلد جنبيهم اسمه (الشيخ حسني) عشان يعالجها، وده راجل دجال معروف واتقبض عليه كذا مرة قبل كده، الست بتقول: إن من أول مرة الراجل ده سيطر على جوزها بطريقة عجيبة، وبقى يخليه ينام وياخدها هي أوضة النوم ويعاشرها جنسيا، قبلا ودبرا لحد ما حملت منه، والعلاقة دي من فترة تقارب سنة. الدجال بقا أقنع جوزها إنه فك السحر، وإنها دلوقت حامل من جوزها، وجوزها كان في قمة السعادة، بعدها الدجال ده قعد على قهوة واتكلم وقال: لناس إنها حامل منه هو، وإنه مقرطس جوزها الكلام وصل لجوزها. النهارده جوزها جابهم قصاد بعض وجاب سكينة وحاول يقتلهم، الست بقا بتقولك إيه؟ بتقول: أول ما جوزها مسك السكينة الدجال سيطر عليه وخلاه ينام مكانه، بتقول: كان نايم على ضهره، والدجال قرّب منه، حط إيده على راسه ومسك راسه وضغط عليها جامد. القتيل فضل يتألم وبعدين نام على جنبه وحط إيده على وشه يحمي وشه بيها، وخربش إيد الدجال بإيديه، الدجال ضربه بإيده على كتفه الشمال قطعهوله، ومسك راسه تاني، وبعدين بتقول: إن الدجال خلع

الجزء العلوي من جمجمة الراجل ومخه بإيديه وفضل يتشنج وأخدهم ومشي. المز جالها انهيار عصبي، فضلت تصرخ وحصل ليها إجهاض، الجيران اتلموا بلغوا الشرطة ونقلوها المستشفى وقفوا النزيف، ولسه الست في المستشفى وكانت حامل في الشهر التامن، هو ده ينفع يا دكتور؟

- والنبي يا أخويا مأنا عارف، أنا نازل أشوف أهه.

قفلت المكالمة ولبست ونزلت وبدأت أشوف الجثث وأنا مستعجل، بدأنا على طول شغلت (الريكوردينج) وأنا بوصف من بعيد...

«الجثة لذكر في العقد الخامس من العمر، متوسط القامة والبنية، في حالة التيبس الرمي المتداخل مع عوامل الحفظ بالثلاجة، والرسوب الدموي بلون باهت بخلفية الجثة، والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريا بعد، وكان على الجثة من الملابس بنطالاً رصاصي اللون، وتيشيرت أزرق اللون، وملابس داخلية بيضاء اللون، وقد تبينًا به الإصابات التالية: إيه ده؟ وقفت الريكوردينج.

إصابة أول مرة أشوفها في حياتي، الجزء العلوي من الجمجمة مفقود وغير موجود، وكذلك تلت أرباع المخ والربع المتبقي موجود فوق عظام الجمجمة، كل ده مش مهم، المهم مكان انفصال العضم بتاع الجمجمة نفسه، في أي حالة شبيهة مكان انفصال العضم يا إما يكون مستوى تماما فيبقى الفصل تم بآلة حادة، زي ساطور، أو منشار، أو مشرط ليزر، يا إما العظام تلاقيها غير مستوية وفيها كسور وشروخ كتير، ويبقى الجزء العلوي ده تم تحطيمة وإزالته بأداة رضية زي مثلا: قطعة حديدية ثقيلة، ولكن الموجود هو العجب بعينه زي ما هتشوفو تحت، لا هو مستوي ولا فيه كسور ولا شروخ. مكان الفصل كله أجزاء طالعة وأجزاء نازلة، ومفيش فيها أي كسور ولا أي شروخ، شيء عجيب جدًا، الأعجب بقا إن فيه أصابع معلمة على الجزء المتبقي من فروة الرأس، والوجه أصابع بشرية وعاملة تحت مكانها كدم واضح جدًا، كمان جرح متهتك الحواف في الكتف الايسر بطول (١٥ سم) باقي الجسم مفيش فيه أي معالم إصابية على الإطلاق، وطبيعي سبب الوفاة إصابة المخ وما أحدثته من توقف المراكز الحيوية عن العمل وحدوث الوفاة، تم أخذ عينات (DNA) وكمان أخذ عينات من الأظافر للبحث عن الخلايا البشرية.

خلصت وأنا كل شوية ببص لمكان الإصابة ومندهش تماما. سيبنا الجثة مفتوحة، قلت أشوف الطفل الأول بعدين شعبان يخيط، قلبت على جثة الطفل بسرعة.

(ريكوردينج)

«الجثة لجنين ذكر في الشهر الثامن من العمر متصل بالحبل السري والمشيمة، وُلد ميتا خالٍ من المعالم الإصابية». وقفت الريكوردينج. هو فيه إيه النهارده؟

الطفل شكله مثير للإنقباض بشكل غير طبيعي، ملامحه تثير انقباض قلبك، لكنه قد يكون مقبول لطفل في الشهر التامن لم يكتمل نموه، ولكن شفت اللي عمري لا أنا ولا طبيب زيي ولا طبيب نسا، ولا أي حد هيشوفه. الطفل اللي في الشهر التامن اللي لسه متصل بالحبل السري بتاعه، عنده أسنان كاملة التكوين بحجم أسنان ذكر بالغ!

سنّتين كبار موجودين في مقدمة أسنانه يشكل مذهل، غير طبيعي، باقي الجثة مفيش فيها أي شيء طبيعي، وسبب وفاته عدم اكتمال الرئة ووصول الأكسجين. أخدت عينة لل (DNA) وأنا لسه بقلب في الجثة؛ سمعت صوت حركة جاي من ورايا أنا وشعبان وحاجة وقعة على الأرض، التفتنا بسرعة، الجثة اتحركت من مكانها، الجثة في وضعها الطبيعي بتكون مستلقية على الترابيزة على الظهر، إيديها جنبها، ورجلها مستقيمة وبعيدة شوية عن بعضها، الجثة لقيناها مستلقية على جنبها الأيمن، إيديها خارج الترابيزة، ومغطية وشها، وإيد المشرط واقعة على الأرض، جه في بالي على طول نفس الوضعية اللي الست وصفتها، شعبان بيبصله في بلاهة كالعادة وبيقوله: خد راحتك عادي ونام على الجنب اللي يريحك. وفجأة! صوت حاجة بتزن، أشبه بزن دبانة رخمة، وطاقة سلبية مهولة تملأ المكان كله من أوله لآخره، خنقة وانقباض رهيب وتشويش تفكير وصداع لدرجة إن طلعنا قبل ما نخيط. فصلنا شوية ورجعنا تاني.

خلص اليوم عادي على حاجة مش مفهومة، وقررت أستنى التحقيقات ونشوف إيه اللي اتفصل بيه الرأس وإيه قصة الطفل، وفي اعتقادي إن التفسير كله هيكون بالقبض على الدجال.

يومين تلاتة فعليا وتم القبض عليه، والست كانت حالتها استقرت، وتم إرسال الاتنين إلينا لتوقيع الكشف الطبي، الست لإثبات إنها كانت حامل وأجهضت وإنها أم الطفل.

مرة واحدة حرقت ثلاجة وتليفزيون وكل الشواحن، برضه عادي، ومكونتش مهتم لكل اللي قاتلني الصداع الرهيب، التشويش، وصورته اللي شبه التعلب بشعره الرمادي، واللي بقيت بشوفها حواليا في كل مكان، على كل الجدران، على كل حاجة، حاولت أنام مش عارف. الصداع رهيب، وصورته بتزداد وضوح، لكن عارف علاجها، قمت وكل خلية في جسمي بتتألم، رحت أتوضأ، بفتح الحنفية، المية نازلة لونها أحمر! ودي حاجة غريبة نفسي أعرف تفسيرها العلمي أو الروحي، تقريبا في الفترة الأخيرة حكالي ناس كتير جدًا هنا موضوع إن المية تنزل حمرا من الحنفية، لكن مش عارف السبب، هل هو سحر بصري ولا إيه؟! كمان كانت أول مرة أشوفها، قفلت الحنفية، جبت إزازة مية معدنية اتوضيت بيها، دخلت أصلي وكل حتة فيا فيها ألم، سجدت وحسيته واقف جنب راسي بالظبط. والضغط هيفجر راسي، وبدأت الدعاء، دعاء اليقين، اللي بتكلم فيه ربنا، وبتقوله إنه هو القادر وهو المقتدر، هو القادر على جميع خلقه، وهو الحامي، وإنك في حمايته، وإنك لا حول لك ولا قوة إلا به، بتدعي بيقين، والألم بيخرج من كل خلية في جسمي، بيتنزع منها نزع، مرفعتش راسي من السجود إلا ما كانت رجعت لطبيعتها، وحسيت تماما إنه اختفى من عند راسي، تماما، قمت كويس جدًا، ومسيطر عليا إحساس رهيب بالانتصار، مبسوط.

صحيت تاني يوم الصبح عرفت إنه انتحر في زنزانة السجن، وإنه كان اتنقل زنزانة فردية بعد ما عمل مشاكل كتير مع المساجين، وقطع حتة من البطانية وشنق نفسه بيها في حمام الزنزانة، وراح معاه سر موت الزوج بالشكل ده. النيابة بعتته المشرحة، مكونتش موجود للأسف، لكن عرفت إن جثته كان عليها من الله ما تستحق، زرقة رهيبة، رائحة بشعة، وغضب الله ولعنته على وجهه، لكن الأمتع كان في شهادة الضابط اللي كان بيأمن الجنازة بتاعته، وهو صديق شخصي، ولإن الواقعة حصلت في منطقة شعبية فبيبقى لازم تتأمن الجنازات عشان يمنع الاحتكاك بين أسر الضحايا، الظابط يقسم إن على باب المسجد أكتر من نصف ساعة كاملة النعش يرفض دخول المسجد بكل الأشكال، يقرأوا قرآن يغيروا الناس مفيش أي فايدة، النعش لا يتحرك من مكانه أبدا، لدرجة إن أخدوه مباشرة على المقابر، ويُقسم الضابط إنه بفتح باب المقبرة أمام عينه كانت مليانة حشرات سوداء صغيرة زي الخنافس لكن أصغر وثعابين صغيرة سوداء، طول كل واحد

والدجال لفحص مكان الخربشة، وتحديد هل هو أبو الطفل فعليًا ولا لأ، وقعت الكشف على الست. واضح إنها غير متزنة نفسيا، وعندها خلل نفسي، وتم إثبات إنها كانت حامل فعليا وأجهضت من أيام، وثبت بال (DNA) إنها أم الطفل، وبعدها دخلت الدجال، قبل ميدخل قلت بعض الأذكار. وعندنا تيرم كده في الشغل إننا جهة محايدة، دايما بنحسس اللي جاي يكشف بده، عشان كده مبنحبش أبدًا أي متهم يدخل لينا بالكلابشات، خليت الشرطة فكت الكلابشات بره ودخل وحده خليته يقعد قدامي، لأ مدخلش لوحده، دخل ومعاه طاقة سلبية غير طبيعية تملأ المكان، طاقة رهيبة، قعد قدامي وأنا قاعد على المكتب وبص ليا جامد ومش عارف إيه حصل، صداع رهيب، تشويش، ألم في جسمي، عدم تركيز، تقل، دوار، كل شيء. وأنا بقاوم، بدأت أردد أذكار، والصراع بيزيد جوه دماغي، إحساسي إن فيه اتنين بيقاتلوا بعض جوه راسي إحساس مميت. الأذكار بتحارب طاقة سلبية مهولة، الوقت ممرش بالسرعة اللي بحكي بيها دي، الوقت بتاع الصراع استمر تلات أو اربع دقايق، بدأت أكرر بسرعة الحي القيوم، وأكرر بسرعة ولا ينوده حفظهما وهو العلي العظيم. بدأ الصراع يهدأ، بدأت أفوق وأنتصر، أكيد ده الإسلوب اللي أستخدمه مع الرجل القتيل، نوع من أنواع السيطرة العقلية في السحر، بصيت على الورق اللي قدامي، والله والله بخط إيدي مكتوب إنه خالي من أي اصابات. لا أعرف امتى كتبتها ولا ازاي؟! قمت رحت تجاهه، شديت إيديه الاتنين بعنف، رفعت كُم القميص، أثار الخربشة كان واضح جدًا في الساعد الأيمن، بصيتله، كان يبدو عليه في حالة ذهول من انتصاري.

قطعت الورقة الأولى وأنا ببصله، كتبت وصف الإصابة في الورقة التانية، ورميت القلم على المكتب، قولتله: يلا يا دجال قوم، قالي: هندمك، بصيتله باحتقار، قام وهو بياخد القلم من على المكتب، قولتله: سيب القلم، مسك القلم فركه بإيديه كذا مرة وسابه على المكتب، طلعته المعمل ياخد عينة (DNA) ثبت فعليًا منها إنه والد الطفل، وكمان ثبت إن الخلايا اللي في أظافر القتيل هيا خلاياه. اليوم ده حصلي فيه بعض الأشياء الغير مفهومة، واللي معرفش هي صدفة ولا لأ، وأنا راجع كنت العصر، بدأ التشويش في دماغي فجأة، اصطدمت بعربية قدامي بدون أي مبرر، عادي بتحصل، في الشارع بتاعي اللي عمره ما كان فيه أي مشكلة فجأة لقيت نقرة نزلت فيها كاوتش العربية فرقع بمعني الكلمة، غيرته وعادي، رحت البيت، صداع رهيب، الكهربا زادت جدًا وانخفضت

مرة واحدة حرقت تلاجة وتليفزيون وكل الشواحن، برضه عادي، ومكونتش مهتم، لكن اللي قاتلني الصداع الرهيب، التشويش، وصورته اللي شبه التعلب بشعره الرمادي، واللي بقيت بشوفها حواليا في كل مكان، على كل الجدران، على كل حاجة. حاولت أنام مش عارف. الصداع رهيب، وصورته بتزداد وضوح، لكن عارف علاجها. قمت وكل خلية في جسمي بتتألم، رحت أتوضأ. بفتح الحنفية، المية نازلة لونها أحمر! ودي حاجة غريبة نفسي أعرف تفسيرها العلمي أو الروحي، تقريبا في الفترة الأخيرة حكالي ناس كتير جدًا هنا موضوع إن المية تنزل حمرا من الحنفية، لكن مش عارف السبب، هل هو سحر بصري ولا إيه؟! كمان كانت أول مرة أشوفها، قفلت الحنفية، جبت إزازة مية معدنية اتوضيت بيها، دخلت أصلي وكل حتة فيا فيها ألم، سجدت وحسيته واقف جنب راسي بالظبط. والضغط هيفجر راسي، وبدأت الدعاء، دعاء اليقين، اللي بتكلم فيه ربنا، وبتقوله إنه هو القادر وهو المقتدر، هو القادر على جميع خلقه، وهو الحامي، وإنك في حمايته، وإنك لا حول لك ولا قوة إلا به. بتدعي بيقين، والألم بيخرج من كل خلية في جسمي، بيتنزع منها نزع، مرفعتش راسي من السجود إلا ما كانت رجعت لطبيعتها. وحسيت تماما إنه اختفى من عند راسي، تماما، قمت كويس جدًا، ومسيطر عليا إحساس رهيب بالانتصار، مبسوط.

صحيت تاني يوم الصبح عرفت إنه انتحر في زنزانة السجن، وإنه كان اتنقل زنزانة فردية بعد ما عمل مشاكل كتير مع المساجين، وقطع حتة من البطانية وشنق نفسه بيها في حمام الزنزانة، وراح معاه سر موت الزوج بالشكل ده. النيابة بعتته المشرحة، مكونتش موجود للأسف، لكن عرفت إن جثته كان عليها من الله ما تستحق، زرقة رهيبة، رائحة بشعة، وغضب الله ولعنته على وجهه، لكن الأمتع كان في شهادة الضابط اللي كان بيأمن الجنازة بتاعته، وهو صديق شخصي، ولإن الواقعة حصلت في منطقة شعبية فبيبقى لازم تتأمن الجنازات عشان يمنع الاحتكاك بين أسر الضحايا، الظابط يقسم إن على باب المسجد أكتر من نصف ساعة كاملة النعش يرفض دخول المسجد بكل الأشكال، يقرأوا قرآن يغيروا الناس مفيش أي فايدة، النعش لا يتحرك من مكانه أبدا، لدرجة إن أخدوه مباشرة على المقابر، ويُقسم الضابط إنه بفتح باب المقبرة أمام عينه كانت مليانة حشرات سوداء صغيرة زي الخنافس لكن أصغر وثعابين صغيرة سوداء طول كل واحد

يتراوح بين (١٠) إلى (١٥) سم، تتحرك بسرعة في كل مكان وإن الرائحة كانت بشعة، وإنهم اضطروا إنهم يرموه جوه القبر معرفوش يدخلوه، فرموه وقفلوا عليه.

الست فقدت عقلها وتم إيداعها مستشفى للأمراض النفسية بالقاهرة.

الجنين تم دفنه في مقابر الصدقة.

اوعى، اوعى، اوعى في يوم تجيبوا واحد من دول لمجرد إنهم بيقولو عليه شيخ، أو راجل طيب، أو بيعالج وتخليه يكشف على مراتك، أو بنتك، أو أختك، أو أمك، اوعى، متثقش في أي مخلوق فيهم أبدا!! كلهم دجالين إلا أن يثبت العكس، وكلهم نصابين إلى أن يثبت العكس، متفرحش أوي بالشيخ فلان عشان قالك: دنا بعالج بالقرآن، ما هو مفيش حد هيقولك أنا دجال، كلهم بيقولوا: بنعالج بالقرآن، وبييجي يقف قدامك ويقرأ كام آية قرآن، بعدين تلاقي صوته وطي، ويبقى فيه كلام غير مفهوم وألفاظ غريبة، واوعى تفرح بفلان أصله بيعالج لوجه الله ومبياخدش فلوس، فيه كتير منهم على فكرة مش هدفهم الفلوس إطلاقا، فيه هدفهم السيطرة، والاستغلال الجنسي، وحاجات تانية، مش كلهم بيدوروا على الفلوس. متدخلش مخلوق منهم بيتك. أنا في الفترة الأخيرة بس جاتلي قرابة ألف قصة بدون مبالغة بنفس الشكل، آخرهم أخت فاضلة بتقرأ دلوقت جوزها هو اللي جابلها شيخ وإمام مسجد يعالجها، وسيطر عليها تماما، وطلب طلبات جنسية قذرة، ولولا فضل من الله ورحمة لكان دمرها أكتر، لكن ربنا نجاها، لكن بعد ما دمرها نفسيا، وصحيا، واجتماعيا، وحتى علاقتها بزوجها، اوعى تدخلهم بيتك، قدامك طريق واحد من اتنين، الأول طريق بصيب كثيرا، خد الحالة واطلع بيها على مشيخة الأزهر مباشرة، وعندهم ناس متخصصة ودارسة وبيحققوا نتايج رائعة. وعندك طريق تاني لا يخطئ أبدا، طريق اسمه {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعوني أَستَجِب لَكُم} طريق اسمه {أُجيبُ دَعوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَليَستَجيبوا لي وَليُؤمِنوا بي لَعَلَّهُم يَرشُدونَ} طريق اسمه {فاسجُد واقتَرِب} تتخيل إنك رايح للخالق، للأقوي، للأعظم، تحمده وتشكره على حالك، وتدعيه بمنتهى اليقين، بمنتهى الإيمان والثقة فيه، هو القائل {وما هُم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله} خد إذنه إنه يشفيك، إنه يحميك منهم، إنه يبعد عنك شرهم وأذاهم، قول ليه حالتك، بيقين وتوكل وخشوع، صدقني والله طريق لا يخطئ أبدا، أبدا!!!!!!!!!.

الحكاية الخامسة عشر

"صباح الفل عليك يا مخيف". وصلتني هذه الرسالة من طبيبة رعاية مركزة فأحببت نشرها كما هي:

«آه مخيف أنا بقيت أخاف أبص ف وشك. على فكرة من غير نظارة عيونك زي الموناليزا منين متبص للصورة تلاقيها باصالك» ماعلينا، أنا طبيب رعايه بقالي (٩ سنين) وياما ناس ماتت تحت إيدي. قليل جدًا اللي بينطق بالشهادتين، لدرجة حالات ال(MI) من كتر الألم العيان يفضل ينازع ويتفطقط "ياااما" "يا أبويا" في مرة بقول لعيانه: اذكري الله. قولي: لا إله إلا الله، بحلقت لي، نظرة عمري ما هنساها. سبحان الله هي ثقيلة فعلا مش أي حد بيقدر ينطقها فعلا. اللهم ثبتنا على قول: لا إله إلا الله في المحيا والممات وعند البعث.

فيه حاله عمري ما هنساها، هو وبيموت، وشه كإنه حد بيخنقه وأسود خالص، عمري ماشوفت شكل حد بيموت بالمنظر ده!

دكتور زميلي مرة بيحكيلي عن حالة ماتت معاه، مجرد ما مات جسمه بدا يتنفخ لوحده كإنك بتنفخ بلونه ومش عارفين السبب لحد دلوقتي لدرجة إن الستاف صوره علشان يعرضه ف سيمينار.

مرة حالة اتوفت عندي. الراجل كان قام صلى الفجر ونام، البنات بيقولولي: الحالة أريستد، رحت والله لقيت وشه منور كإنك جايب كشاف مسلطه عليه، أحط إيدي أقول: يمكن النور ده جي من الشباك بس الشباك معتم ومش معدي نور. اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وارزقنا حسن الخاتمه نحن وأنت وجميع المسلمين. (ربنا يثبتك على اللي بتشوفه ويعينك).

انتهت رسالة هناء الجميلة لكنها فكرتني بلقطة من أجمل لقطات حياتي فرحا وبهجة. اللقطة دي شفتها في مشرحة مستشفى المنشاوي العام بطنطا، ولحالة لم تكن للتشريح.

دخلت مشرحة المستشفى، قابلت عامل المشرحة، اسمه (فتوح) بيحبني بشكل غير طبيعي، سلمت عليه وفضل يحضن ويبوس، يلا يا فتوح طلع الحالة، فتح مكان لحالة أخرى بالخطأ، وأحيانا بيكون فيه خطأ بيبقي هو الحاجة الأجمل في حياتك، أحيانا الخطأ بيكون هو الحاجة الصح الوحيدة، فتوح فتح الباب وقال: مش دي وبيقفله وأنا مش قادر أبص من النور الطالع من جوه، فتوح بيقول: لا مش هو وبيقفل، وأنا بقوله: استنى. ولما بصيت شفت وجه كما القمر، مش بقا زي اللي شفته قبل كده وش منور مش قادر تنزل عينك من عليه، لأ، ده المرة دي أنت مش قادر تفتح عينك فيه، من قوة سطوع النور ورائحة المسك مش قادر تفتح عينك فيه. بصيت بسرعة بشكل عام، ملابس مهترئة تماما بالية، عليها آثار تراب، يد مشققة أنهكت الحياة بشرتها، حذاء قديم تخرج منه الأصابع من القطوع، ومصحف صغير باين من جيب قميصه، مين ده يا فتوح؟ قال: يا باشا ده راجل أرزقي على باب الله كان بيبيع مناديل وبسكويت، ووقع ميت في الشارع والإسعاف جايبته على هنا، أرزقي؟ ده إحنا اللي أرزقية، على باب الله، هو فعلا على باب الله، على باب الجنة، لدرجة إن نورها وريحتها طبعت عليه، قعدت على كرسي وسرحت، فعلا ربنا ليه سُنّة غريبة في كونه. افرح بجد لو كنت في بلاء وحاجة، وطول ما ربنا ما يديك كل اللي أنت عاوزه ابدأ خاف، خاف على نفسك وعلى آخرتك، طول ما أنت عايش في بلاء أيا كان نوعه. سواء فقد أو وجع أو فقر أو مرض، احمد ربنا وافرح، أنت قطعت نص الطريق في أمان، قطعته بالابتلاء ده، حتى بذنوبك قطعت نص الطريق، وكلنا بذنوب، وباقي نص الطريق تقطعه بعملك، وطول ما أنت في رخاء وسعة وغنى ورفاهية، خاف، خاف لأن أنت أصبحت مطالب إنك تقطع الطريق كله وحدك، تقطع الطريق كله بعملك، بعملك وبس، مفيش وسائل مساعدة، وأنت ونصيبك.

حاولت أشوف أهله مفيش، معاه موبايل لا يتجاوز (٥٠ جنيه) اتصلنا بحد طلع شريكه في السكن، لأ مش سكن، شريكه في العشة، عشة من صفيح في أحد مناطق طنطا، جه، عرفت منه إنه لا اتجوز ولا ليه حد. وكان عايش معاه على حد تعبيره بينزلوا يسرحوا بالمناديل والبسكوت الصبح يجيبوا تمن أكلهم ويقسموا اللقمة سواء، وإن (عم محمود) وهو -اسم المتوفي- عمره ما زعّل حد ولا قطع فرض في المسجد، الراجل شافه واتفتح في

البكاء، كلاهما ملابس بالية وهيئة رثة وتحابا في الله، وصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره"، حضرت غسله وتكفينه، ودفنه في إحدى مقابر الصدقة وليس على لساني سوى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾

[سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧]

حالة استخراج لجثتين، زوج وزوجة. الزوج كان يتعاطى أكثر من نوع من المخدرات ودائم الاعتداء على زوجته الصعيدية الأصل. عائلة الزوج عائلة ثرية ومرموقة، أما عائلة الزوجة فهي عائلة بسيطة من أقصى صعيد مصر. مرَّ على الزواج عامين دون أطفال. الزوجة تعمدت أخذ موانع للحمل حتى يعتدل حال زوجها ويتوقف عن تعاطي المخدرات، خافت أن تنجب طفلًا فيشاهد أباه في موقف غير متزن فيسقط من نظره. الأب دائم الهلاوس والكلام غير المفهوم، ويطلب من الزوجة طلبات شاذة؛ حتى إنه طلب منها يومًا استقبال تاجر الهيروين بقميص النوم حتى يعطيه ما يريد. الزوجة كانت ترفض طلباته باستماتة؛ فينالها نصيب هائل من الاعتداء الجسدي كل مرة، تقابله حينًا بالصبر والدعاء، فلا يهتدي، وحينًا بطلب الطلاق، فلا يستجيب، وحينًا بالهجر، فلا يرتدع. عانت الأمرّين معه كما تقول التحريات، حتى يوم الوفاة، حين علم البائس أنها تتناول حبوب منع الحمل وهذا سبب تأخر الإنجاب. ودار شجار عنيف بينهما واجهته بالقول له: أنها لن تنجب منه حتى ينصرف عن طريق المخدرات، وأن أي ابن لا يتشرف بكون هذا المسطول دائمًا أباه. اعتدى عليها بالضرب وصدم رأسها بالحائط فسقطت ميتة. لم يعرف ماذا يفعل! اتصل بأخيه ذي المنصب المرموق، حكى له ما حدث، وأخبره أنه سينتحر. اشترى سمَّ فئران، تناوله ومات.

العائلة الكبيرة ذي المناصب المرموقة، والتي تخشى على مظهرها أمام الناس، فكرت في طريقة لإخفاء الفضيحة، فزورت تصريح دفن، ودفنت الجثتين ليلًا في الظلام، وأخبرت الجميع أنهم سافروا فجأة للخارج.

بعد خمسة أيام جاء أخو الزوجة المغدورة لزيارتها، بعد أن وجد هاتفها وهاتف زوجها مغلقًا لأيام، شك في الحديث عن سفرهم لأن أخته كانت تحادثه بشكل شبه يومي؛ وتحكي له كل أسرارها ومعاناتها، دخل شقة أخته بعد إلحاح فوجد آثار دماء في غرفة نومها. اتجه إلى أقرب قسم شرطة، وانفضحت القصة كاملة، طلبت النيابة الاستخراج للجثامين وتحديد سبب الوفاة، وتم تنفيذ المأمورية صبيحة اليوم السابع للدفن.

ركبت العربية أنا وشبل والسائق، أدوات التشريح في الشنطة وراء، وبدأت سيمفونية الصوت والضوء المعتادة، ما بين "يا منجد على المرتبة واعمل حساب الشقلبة"، حتى "البنت عاوزة الدلع والواد جبان خالص" تتخللها مقطوعات موسيقية وصوت شبل

الرخيم يطرب "يا حضرة العمدة ابنك جميدة صدقني بالسفندية. إيهي. وقحت على صدري ضحكوا عليا زملاته الافندية. إيهي. برضيك يا عمدة؟". فترد أنا والسائق في خشوع "لا لا لا لا لا".

وصلنا المقابر، تم تحديد القبر بواسطة اعضاء النيابة والمباحث. وتم فتح أغرب قبر شاهدته في حياتي كلها، وكأنك على الخط الفاصل بين الجنة والنار.

الدفن فوق الأرض على الطريقة المصرية، الجثتين جنب بعض نائمين في أكفانهم، لا تعرف تحدد ريحته حلوة ولا وحشة، لا تعرف تحدد هو مريح ولا مثير للكآبة، شيء غريب جدًا أول مرة أشوفه. لا أنت عاوز تمشي ولا أنت عاوز تقف. والله والله نص القبر حر المسطس، ونصه برد يناير. نصه رائحة لا تطاق، ونصه من روائح الجنة، شيء مذهل التربي بدأ في اخراج جثة الزوج اللي كانت أقرب، حالة تعفن رمي متقدم ولكنها تفوق معدل الست أيام حتى في أيام الصيف بديدان منتشرة بعموم الجسد ومنظر كئيب مثير للاشمئزاز بالرغم من تعودنا عليه، الوجه اللي لسه محتفظ ببعض ملامحه تظهر عليه علامات غضب زادها جحوظ العينين كآبة وإثارة للاشمئزاز، خلصنا بسرعة، أخدنا العينات وتحركنا للنص التاني الداخلي من القبر اللي كان كبير وعالي على غير العادة، وكأن أرض النص التاني مغطاة بأوراق شجر ليس لها مصدر، جثة الزوجة في كفن أبيض تماما لم يتسخ إطلاقا عكس كفن الزوج، الرائحة وكأنك في مدخل عبد الصمد القرشي، مزيج من روائح عجيبة مثيرة للهدوء بشكل خرافي وغير طبيعي، بينما على بعد نص متر بس النقيض تماما، ودون وجود أي فاصل بينهما، لحد كده شيء غريب وأول مرة أشوفه، لكنه لا زال مقبول، تم فتح كفن الزوجة، والتي كأنها القمر في ليلة التمام، وما زادتها الجروح في وجهها إلا جمالا، وشها أبيض زي التلج، نائم في خشوع، لم يتغير أبدا عن حياتها، جرح الراس عليه دماء لم تجف بعد، منظر مبهر، مبهر، فضلت أبص ليها، تديك سكينة وراحة نفسية رهيبة، حسيت جرح الراس بإيدي وتأكدت من وجود كسر بالجمجمة، قعدت في ركن القبر على الأرض، إيه ده!!! هيا الناس دي فيه إيه بينها وبين ربنا، هو ده فعلا جزاء الصبر على الأذي؟ {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

وجنبها تماما نفس الراجل اللي كان بيشاركها نفس السرير، في حالة مزرية، السرير اللي كانوا بيناموا عليه في الدنيا كان واحد، لكن القبر اللي نايمين فيه دلوقتي مبقاش واحد،

كل واحد فيهم ليه حدوده، بحد فاصل بين الجنة وبين النار، بحد فاصل بين الجمال وبين القبح، بين الطهارة وبين الدنس، بين نعيم الخلود وجحيم الخلود، كنت خرجت شبل من فترة وقلتله هشرح أنا، والفترة دي قعدت فيها وحدي، لا أجمل من التأمل داخل قبر، لا أصدق من التأمل في حضرة الموت، سمعت الأصوات بره بتتململ من الحر والشمس ومستعجلة، وأنا قاعد في حديقة ياسمين مكيفة بكل ما تحمله الكلمة من معني، قفلت عليها الكفن وخرجت، في حالة شرود تام، قفلت الباب بإيدي عشان محدش يبص جوه، حطوا القفل وأسمنت وأغلقوه تماما، سبب الوفاة مطابق للاعترافات، ركبنا العربية، وشبل بيغني، وأنا في عالم آخر، عالم برضه ليه حدود، بين الحزن وبين الفرح، بين الرغبة وبين الرهبة، بين الخوف من ربنا والطمع في رحمته، اعملوا لليوم ده، والله لو تحدث الموتى ونطقوا لقالوا {إنَّ خيرَ الزاد التقوى} اعملوا لليوم ده، ذنوبنا يا رب كبيرة، كبيرة أوي، أوي، ولكننا بنحب الصالحين، بنستمتع بقصصهم وبنغبطهم وتتمني نكون مكانهم ومعاهم، وأنت الرب الملك الرحيم، وحبيبك الصادق الأمين قال: المرء مع من أحب، متحرمش عبيدك من أمنيتهم، احشرنا معاهم، عرفنا وآمنا وصدقنا إن الحياة الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، وأن ما عندك يا رب خيرٌ وأبقي، إحنا ذنوبنا كتيرة أوي، أوي، أثقلت ظهورنا، لكنك عزّ جاهك قلت {كَتَبَ ربكم على نفسِهِ الرحمة} وقلت: "رحمتي سبقت غضبي" وكتبتها على عرشك، ونحن نسألك بمقاعد العز في عرشك، ومنتهي الرحمة في كتابك، ونسألك بأسمائك الحسني وصفاتك العليا وكلماتك التامة، ونسألك باسمك الأعظم وسرّه العظيم أن لا تحرمنا جمال هذا المثوى وخشوع هذا المآب وسعادة هذا المصير، عزّ جاهك، وجلّ ثناؤك، وتقدست أسماؤك، ولا إله غيرك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

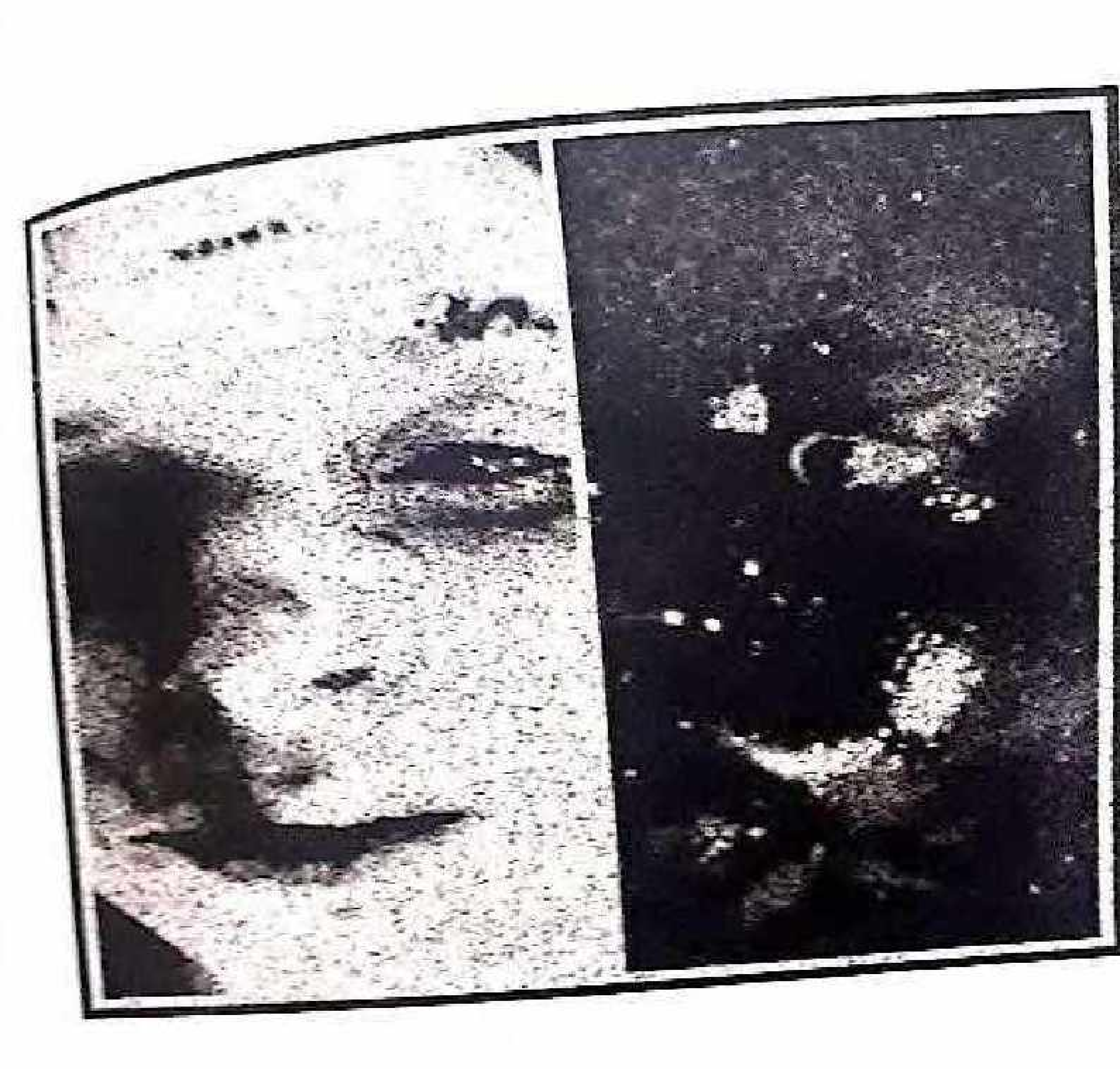
يا رب هذا المطلب، وأنت الرب.



الصفحات التالية تحتوي على صور

قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..

لذا وجب التنويه!



الحكاية السابعة عشر

مساء جثث جديدة.

مساء الرعب لا يعرف حقيقته إلا قاطني مشرحة زينهم.

مساء حكاياتها الآثمة، تلك المثيرة للفوضى والرعب، لن يميتها إلا الله ولن يوقفها إلا الله.

مساء الغني والفقير، القوي والضعيف، الجنرال والزبال، كلهم هنا على منضدة التشريح سواء!!

مساء الجماجم المهشمة التي لم تعد تصلح للتفكير، والأرجل المبتورة التي لم تعد تصلح للمشي، والشرايين المثقوبة التي كانت أمانة تنقل الدم للقلب!!

مساء الجروح لم يعد في الإمكان تضميدها إلا بالصبر فقد نفد القطن والشاش منذ زمن!

مساء النسوة المتحجبات المتشحات بالسواد في الخارج والجثث العارية المشقوقة بالمبضع في الداخل!

مساء الجثث البيضاء كما الثلج الفواحة كما المسك الطرية كما طفل كأنهم عرسان يوم زفافهم!

مساء الجثث الخضراء كما العفن، كريهة الرائحة كما الرمم المتيبسة كلوح كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدة!!

ومساء السكر على وجوهكم، عليكم النيفة.

***

الزمان: يوليو ٢٠١٦.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الثالثة فجراً.

حفل زفاف تقليدي في إحدى قرى مركز البدرشين محافظة الجيزة بين محمود (٢٩ عاما) ووفاء (٢٦ عاما) بعد قصة حب عذرية بريئة استمرت لثلاث سنوات بسبب رفض تام لمحمود من أسرة وفاء.

بعد محاولات مضنية من محمود العامل البسيط اللي اتقدم لحبيبته أكثر من ست مرات ولكن كان أعمامها دائما يرفضوه بحجة إنه معاه إعدادية وهي معاها معهد عالي. قال يعني معهد أكسفورد البدرشين.

وفاء والدها متوفي من (١٩ سنة)، وهي عندها سنتين بالظبط، وأخوها أحمد كان عنده شهور، أبوهم ساب أطفال رضع بنت وولد لأمهم. الست فاطمة. الست الطيبة اللي جوزها مات في حادثة وهي في عز شبابها فمفكرتش لحظة إنها تبص لنفسها، قفلت عليها باب بيتها، ربت الولد والبنت، اخوات زوجها المتوفي رفضوا يدولها أي ميراث بالحجة القذرة بتاعة ملك العيلة منفرطش فيه.

{إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (١٠)}. [سورة النساء]

فتحت محل أحذية صغير بفلوس دهبها، مقلعتش الإسود طول عمرها. حتى في فرح بنتها يادوب شوية لمحة في الأسود برضه. بدأت تتاجر، علمت الولاد، جهزت البنت بجهاز عروسة كامل وبنت للولد شقة. ماخدتش جنيه من حد، وهما أساسًا معرضوش عليها. البنت أخدت معهد تكنولوجيا والولد في كلية هندسة، أعمامها واقفين في وش رغبة البنت اللي عاجبها محمود اللي كان بيشتغل في ورشة بتورد الأحذية لمحل أمها وشايفاه راجل وربنا هيكرمه وهيقدر يسعدها، وأعمامها شايفين إنه لأ. ده مش من مستوانا.

مع إني لما سألت على وظائفهم بعد كده طلع أنجح واحد فيهم شغال سباك، وكمان ازاى محمود معاه إعدادية وبنتنا معاها شهادة من كامبريدج البدرشين، ولما سألت اكتشفت إن اعمامها التلاتة معاهومش محو أمية حتى.

سألت، سألت، سألت. أكيد طبعا بتسألوا أنا بسأل ليه، عشان اللي هيحصل دلوقتي شيء خارج نطاق العقل البشري، شيء مستحيل يصدقه عقل. مستحيل يكون خاضع لقوانين المنطق، شيء ما ورائي عجيب، سواء الأحداث، أو اللي شفته بعيني، وسمعته بودني واللي هيفضل محفور في ذاكرتي طول عمري، عرفت كل حاجة تقريبا عن الأسرة دي، حتى بيتهم وشارعهم وقرايبهم روحتلهم. قدرت إني أعرف كل حاجة، إلا حاجة واحدة، هو إيه اللي كان بين الأسرة دي وربنا، إيه الرابط العجيب اللي كان بيربط أفرادها التلاتة ببعض، وهل كل ده كان موجه ليا أنا ولا جزاء ليهم هما ولا عبرة ولا إيه بالظبط، أسئلة بقالها أكتر من تلت سنين، تعبت عقلي من التفكير وملقيتلهاش إجابة، قصة من آلاف القصص الغريبة والغير مفهومة اللي الواحد مر بيها، واللي خلت عقله تقريبا مبقاش يبص للأشياء بسطحية، ولا بعمق، بقي يبص للأشياء بالأبعاد الطبيعية للزمان والمكان والأحداث، بس بقي يضيفلهم بعد رابع غير واضح وغير مفهوم وغير منطقي وممكن يقلب الأمور كلها رأسا على عقب، البعد ده بيكون دايما محور من محاور تفكيري في أي قضية، وأنا بشوف دايما ان طريقة التفكير دي هيا اللي ساعدتني كتيييير في كشف الكتير جدًا جدًا من ألغاز القضايا، وبعد ده كله تيجي نورين تديني تعليمات وتقولي أعمل إيه ومعملش إيه، زمن.

نكمل:..

تجارة الأم بدأت تكبر بشكل فيه توفيق وبركة كبيرة بشكل غير طبيعي، المحل الصغير بقى (٤) محلات كبيرة جدًا، وفي نفس الوقت محافظين على أسلوب معيشتهم البسيط جدًا، نفس شقتهم الصغيرة، نفس طريقة لبسهم، نفس أكلهم وشربهم، مفيش أي تغيير.

الأم بعد إلحاح من البنت ومحمود وتعنت الأعمام، بلغت محمود وأعمام البنت إنها موافقة ومش هتقف قدام رغبة بنتها، وهتجوزها للي اختارته، الأعمام قاطعوا أي شيء يخصهم. الأم كملت مشروع الجواز، وقالت: مفيش حتى خطوبة. وحددت معاد للفرح فورًا يوم (٢٠ يوليو ٢٠١٦).

الفرح نفسه أصريت أجيب الفيديو بتاعه وأتفرج عليه، كان مبهج، كل حاجة فيه بسيطة وجميلة، مكانش فيه أي شيء محزن إلا منظر بكاء الأم المتواصل إن بنتها هتبعد عنها وهيبقوا اتنين بس في البيت، وأحمد ابنها وهو مدمع وبيطبطب عليها وبيحاول

يضحكها، ووفاه كل ما يجي عليها كادر نظراتها شاردة. ابتسامة متوترة. بتبص على أمها واخوها وتدمع وتحاول باستماته تسيطر على نفسها إنها متبكيش، ومحمود سعيد وفرحان بشكل لا يوصف، دي الصورة اللي أنا اخدتها من الفرح ككل.

الفرح خلص بدري. كان في قاعة بسيطة كده، تقريبا قبل (١١) العريس أخد عروسته ورايحين شقتهم ووراهم مامتها وإخوها رايحين يوصلوهم مع عدد بسيط جدًا من أسرة محمود، الست فاطمة كانت مجهزالهم الأكل وكل شيء، وصلوهم لحد باب البيت. حضنت بنتها كتير، وبكوا الاتنين مع بعض، وأحمد اختفي من المشهد عشان ميبكيش. ومشيو.

محمود قفل الباب عليه هو وعروسته اللي كان طاير بيها من الفرح، وبدأت طقوس أحزانه اللي هتقض مضجعه وتحزن قلبه العمر كله.

محمود بيحكيلي ويقول: بلهجة بسيطة اللي حصل يا بيه إن أنا قفلت علينا الباب، وكنت عاوز أفرجها الأول على الشقة لأن الأصول عندنا إن العروسة مبتشوفش شقتها غير يوم دخلتها. قالتلي: مش دلوقت أنا هبقى أشوفها بعدين، واداتني كيس فيه فلوس كتير تقريبا الناس كان منقطاها بيهم في الحنة والفرح لأن أمها مكانتش بتسيب أي حد في مناسبة من غير ما تنقطه، قولتلها: بس دي فلوسك انتي مش كفاية اللي عملتيه معايا؟ قالتله: أنا وأنت حاجة واحدة. وقالتله: استنى.

وفتحت شنطة كانت مامتها اداتهالها في إيديها وهي داخلة وطلعت منها عشرين ألف جنيه، وقالتله يا محمود خلي دول معاك لأي ظرف. فقالها: ظرف إيه وأعمل بيهم إيه؟ أصرت إنه يخليهم معاه لأي حاجة تحصل.

يقول: كانت كويسة جدًا، محمود قالها: ناكل الأول ولا نصلي ركعتين سنة الزواج الأول، قالتله: نصلي الأول. بس أنت خليك هنا وأنا هدخل أغير هدومي واتوضي وأصلي ركعتين شكر وبعدين أناديلك تصلي معايا، عاكسها زي أي عرسان وقالها: طيب. وضحكوا ودخلت أوضتها وقفلت الباب.

لبست هدومها، وطلعت تتوضى محمود شافها بلبس عروسة ليلة دخلتها فضل يعاكسها. قالتله: لما نصلي الأول، اتوضت، وخرجت من الحمام لبست إسدال وقفلت باب الأوضة وبدأت تصلي.

اتأخرت كتير، محمود راح فتح الباب لقاها سجدة بتدعي بصوت غير واضح وبكاء شديد، فخرج وقفل الباب. فضل مستني، ربع ساعة، نص ساعة. بيقول: أنا عارف إنها بتحب الصلاة والدعاء فحبيت أسيبها براحتها. ساعة إلا ربع، مناديتش عليه، وهو قاعد في الأنتريه شاف خيال كأنه رايح تجاه الأوضة، فكرها طلعت، راح لقي الباب لسه مقفول، فتح الباب وهو بيهزر بيقولها: "إيه يا مولانا هو إحنا هنقيم الليل ليلة الدخلة؟" لقاها لسه ساجدة، لكن من غير صوت ومن غير بكاء. حاول يحركها وقعت على جنبها ميتحركش ووشها مبتسم، صرخ، فتح الباب وجري في الشارع يدور على دكتور مفيش، ناس جيرانه جم فضلوا يكبوا مية كتير جدًا على وشها شالوها أخدوها في عربيتهم طلعوا على المستشفى. قابلهم طبيب الطوارئ بكلمة محمود مش هينساها، البقاء لله.

ازااااي، محمود في حالة انهيار وحلم عمره بيضيع منه، أو ضاع منه، البنت اللي حارب عشان تبقى في بيته وشاف الذل وداق الهزيمة تلت سنين، يوم ما ينتصر وتبقى في بيته، تطلع منه متشاله على قبرها.

الدكتور لسه صغير، لما عرف إنها عروسة متجوزة من ساعتين قلق، بلغ الشرطة، جه ظابط صغير، معجبهوش شكل البنت اللي نايمة زي الملاك خاصة إن وشها مفيش عليه نقطة ماكياج واحدة، وقال: عروسة ازاي؟ فضلوا الجيران يقولوله: إنهم كبوا عليها مية كتير جدًا عشان يفوقوها ومسحولها وشها بفوطة، مفيش فايدة، قلق، كلم النيابة، وقاله: يا باشا نبعت طب شرعي عشان مش مطمن، آمين، انقل يابني على مشرحة زينهم.

محمود مش مستوعب اللي بيحصل، وحاسس إنه في حلم، محمود لسه لابس بدلته مغيرش هدومه. يا دوب فك الكرافت وقلع الجاكيت، والمطلوب منه دلوقتي إن عروسته اللي مقلعهاش فستانها يشتريلها كفنها.

عربية إسعاف نقلت الجثة المشرحة. محمود راكب معاها، بيبصلها في ذهول، والبنت ملاك نايم، مبتسمة، في هدوء وطمأنينة غريبة.

مجاش في باله لحظة إنه يكلم أمها أو أخوها ولا أساسًا مستوعب إنه يعمل حاجة زي دي، دمار قلبه أكبر من إن يخلي عقله يفكر في أي شيء، لكن الجيران كانوا قاموا بالواجب، الجثة وصلت، استلمها هشام فني التشريح، دخلها. والأم والأخ وصلوا بعدها بدقايق.

محمود بيحكيلي، بيقول: اللي أنا مش مصدقه إن الحاجة فاطمة كانت متماسكة جدًا وجت طبطبت عليا وواسيتني من غير متتكلم ولا كلمة، وأحمد أخوها لما اتأكد من الخبر راح قعد لوحده في الميكروباص اللي جايبهم، وكان السواق نزل وهو الوحيد في الميكروباص.

كل اللي حصل ده بالنسبة لشغلنا عادي، وفيه جزء من المنطق، عروسة بذلت مجهود كبير في الفترة اللي قبل فرحها عشان تجهيزات الفرح ومبتنامش ومجهود أكبر في الفرح ولا أكل ولا شرب مع شوية توتر وضغط نفسي بيبقوا عند أي بنت بتتجوز، جالها هبوط وأزمة قلبية وماتت.

لكن اللي هيحصل ده، هو اللي لا يستوعبه عقل ولا يخضع لأي قانون من قوانين المنطق.

كنت بايت في المشرحة كالعادة، معظم أيام (٢٠١٦) كنت بايتها هناك، قاعد بقلب على النت في المواقع الإخبارية وأنا بسمع الست، هشام اتصل بيا، يا ريس فيه حالة جت، مش أنا قايلك: يا هشام محمد صلاح هيجي يشتغل الصبح، قالي: مانا قولتلهم: والله يا ريس الدكتور جاى الصبح، بس لما عرفت قصتها صعبت عليا، ليه يا حنين، إيه قصتها، قالي: دي عروسة متجوزة من ساعتين بس، امممممم، حاسة الشك ابتدت تشتغل عندي، عروسة يبقى حاجة من أربعة: يا هبوط عادي وأزمة قلبية، يا اختناق بغاز السخان في الحمام، يا نزيف بسبب إنها متجوزة حلوف في صورة إنسان، يا إما الحلوف اكتشف إنها قرطسته وإنها مش تمام فقرر إنها تدى للحياة تعظيم سلام.

وأنا أحب الحاجة اللي فيها اللغز، فيها التكة.

طيب أنا جاى يا اتش، جهزها يلا.

نزلت، ووقفت على الشباك الحديد طلبت جوزها جه، الولد في حالة توهان، بس مجرد إنه جاى معاها يبقي استبعدنا السبب الرابع على طول.

سألته إيه حصل؟ قالي: كانت بتصلي وحكالي القصة كطبيب نفسي كل اللي محمود حكاه ده ميشغلنيش أنا مشغلنيش غير كلمة واحدة: شفت خيال. آه إيه الخيال ده بقى يا محمود؟ قال: خيال على الحيطة. يعني خيال إيه يعني إنسان حيوان إيه بالظبط؟ قالي: لا ده خيال زي إنسان بس طويل جدًا واصل للسقف.

امممم. يا أزمة قلبية يا محمود بيلعب بيا

هنشوف.

يلا يا اتش. يا دوب همشي لقيت ست طيبة كده بوش بريء جدًا بتقولي بتسامك لو سمحت يا دكتور، قبل ما تنطق كنت عارف إنها أميا وعاوزة تشوفيا، وممنوع مخلوق يدخل جوه. ساعات العيون الصادقة بتقول: كل حاجة قبل الشفايف، فما بالك بعيون أم فقدت بنتها ليلة فرحها، وما بالك بعيون ست أصلا زي الحاجة فاطمة.

الست وشها بريء بشكل يشدك، شكل غير طبيعي، قبل ما تكمل، قولتلها: انتي أميا وعاوزة تشوفيها. قالتلي: آه، قلت دخلها يا هشام، بص ليا باستغراب وفتح الباب المصفح ودخلها.

وقفل.

طول الطريق للقاعة بحاول أواسيها والست صابرة ومؤمنة ومتماسكة جدًا، كل ده وأنا لسه مشوفتش البنت أساسًا.

وقفتها بره القاعة، وقولتلها: استني.

ناديت على هشام، خليته دخل الأول شال أي أدوات زي المنشار، والسكاكين، والمشارط عشان الأم متشوفهاش وده شيء لواحده يقتلها، وكمان يغطي البنت ميظهرش غير وشها بس، عشان لو كان فيها حاجة الأم متعملش شوشرة على ما نخلص شغلنا.

دخلت معاها القاعة.

يبص على البنت لأول مرة، ملاك نايم مبتسم هادئ رزين مطمئن سعيد مضيء كل حاجة حلوة، شكلها يفرح ويصبر ويواسي أي حد زعلان عليها.

الأم شافتها، ابتسمت بهدوء، باست جبينها، وقالتلها: "طبتي حية وميتة يا حبيبتي. إنا لله وإنا إليه راجعون، لا إله إلا الله" ولفت عشان تمشي بنفس الهدوء اللي دخلت بيه. إيه الجبروت ده؟! إيه الايمان ده؟! إيه التماسك والصبر ده؟! وصلت عند باب القاعة وداخت كانت هتقع، سندتها بسرعة، هشام جاب كرسي، قعدتها في الكوريدور اللي قدام الباب، الست دايخة شوية، وصعبانة عليا بشكل رهيب، وفي نفس الوقت مش هشرح بنت وأمها قاعدة على الباب، مش هخلي أم تسمع صوت نشر جمجمة بنتها أو قص ضلوعها، مستحيل.

قولتلها: تعالي يا ماما، محبيتش أخرجها بره، سندتها وودیتها غرفة الأشعة اللي في آخر الكوريدور تماما.

ودي غرفة بعيدة عن القاعات فيها جهاز أشعة متحرك بنستخدمه في حالات الكسور أو البحث عن مقذوفات نارية داخل الجثث، وكمان فيها مكتب وأنتريه وبطبيعتها معزولة عن المشرحة، قعدتها في الأنتريه، طلبت مية، طلعت جيبتلها مياة وعصير من تلاجتي. رفضت العصير وأخدت المية شربت حاجة بسيطة جدًا، وطلبت سجادة صلاة لحد ما نخلص، جيبتلها سجادة صلاة فرشتها وبدأت تصلي.

سيبتها في هدوءها الرهيب وخشوعها، ورجعت قاعة التشريح، مبهرة ابتسامتك يا وفاء، مريكة، وكأنها شمس تضيء وسط وجه كالقمر، أخدت كام صورة، هشام بيحاول يشيل الإسدال والملابس، وأنا كل شوية أرجع ابص لابتسامتها التي لا تتغير، واضح تماما إن البنت خالية من أي إصابات مشتبهة وواضح إنها ما زالت عذراء. وواضح إن مفيش أي سبب جنائي للوفاة وإن السكتة القلبية هي السبب الحقيقي للوفاة. في وسط الريكوردينج ومتابعة أدق التفاصيل لقطع أي شكوك، شفته.

باب القاعة باب خشبي بتدخل يقفل وراك وبيتفتح في الاتجاهين. الجزء العلوي فيه إزاز.

وأنا شفته من خلال الإزاز، شفت الرؤية مشوشة من الازاز المشغول لكن شفته، طويل جدًا واصل للسقف على هيئة ضوء مجوف شفاف، ليه وراه جناحين، المشرحة عموما إضاءتها قوية جدًا ومطلية أرض وسقف وجدران باللون الأزرق وسقفها عالي جدًا

ومفيش فيها أي مخلوق غيري أنا، وهشام بيتحرك لكن هو كان واضح ليا جدًا. رجليه بتتحرك ببطء، وثقة وجسم واصل للسقف وبيتحرك في هدوء غريب، تجاه غرفة الاشعة.

وفعليا وقتها أنا ما كان في تفكيري غير محمود والخيال بتاعه، رميت المشرط، قلعت الجوانتى بسرعة البرق، هشام بيقول: فيه إيه؟ زقيت الباب برجلي واتحركت بسرعة لغرفة الأشعة.

وأنا في الطريق، شفت منظر لن أنساه ما حييت، شفته بعيني خارج من الأوضة بنفس الهدوء والثقة، ضوء مجوف شفاف على هيئة بشر بجناحين جاى عليا، وقفت، عدى من جنبي، لمسني، حسيت برعشة عمري ما حسيتها في حياتي، اتكهربت قبل كده مرتين تلاتة، لكن ده إحساس لا يمكن وصفه، كل خليه في جسمك بتنتفض. كل خلية حاسة ببرودة لدرجة التجمد. كهربا رهيبة ماشية في الأعصاب، تشنج رهيب في العضلات، وكأن كل أجهزة جسمي وقفت عن العمل فجأة، مع احساس مهول بالبرد. فضلت لمدة تلت ثوانى في نفس الوضع. في حالة بين الوعي واللا وعي، بعدها انتبهت، حسيت كأني كنت بجري بقالي عشرة كيلو متواصل. إرهاق رهيب، رهيب، كملت بهدوء ورجل تقيلة تجاه غرفة الأشعة

ودخلت، هدووووووووء رهيب.

الست فاطمة ساجدة على الأرض، مفيش صوت ولا حركة.

ناديت عليها مردتش، رحت أحركها مالت على جنبها، مفيش نبض ولا دقة قلب!

لا إله إلا الله!!!

نقلتها بهدوء لكنبة الأنتريه، وبص علي وشها، لاااا إله إلا الله!!!

نفس الملاك المطمئن، نفس الابتسامة الهادئة الرزينة، ابتسامة حتى بدت ثناياها، ابتسامة حاولت أوصفها على مدى تلت سنين، ملقيتش غير وصف واحد ابتسامة رضا، ابتسامة من رأى الراحة والنعيم أخيرا.

قعدت جنبها على كرسي، سندت راسي لورا، غمضت عيني، يا الله، ماذا بينهم وبين الله؟!

أين نحن من هؤلاء؟

لا شيء يرعب هاتيك النوارس البيضاء عند موتها؟

وهل كان هو حقا؟

هل وصلت كراماتهم لدرجة أن يظهر إليهم كطيف واثق هادئ لا يخيف؟

يا الله.

هل تعلم هذه الجدران الآن أنّ جوارها يرقد جثمان أم في مرتبة شهيدة وابنة على درجة قديسة؟

يا الله، هي وابنتها؟

ذات الملاك المطمئن.

تماسكت، قمت، قبلت يدها وجبينها، و"طبتي حية وميتة يا حبيبتي، أنا لله وأنا اليه راجعون، لا إله إلا الله".

بدأت أستوعب اللي بيحصل، هو أنا هاقول إيه للناس اللي بره؟ المفروض ادي للأم جثة بنتها، فهخرج أقولهم: تعالوا خدوا جثة الأم؟!!

ياااا رب.

رجعت القاعة، هشام واقف مستنى، بصيت على وفاء، والذي نفسي بيده لقد زادت ابتسامتها اتساعًا إلى الضعف تقريبًا، الضعف بلا مبالغة! وازدادت عيناها انغلاقًا، كأنها طفل تداعبه أمه.

هشام: فيه إيه يا ريس؟! فيه حاجة ولا إيه؟!

قولتله بهدوء: الست ماتت.

الولد اتنفض، سابني وراح بص عليها، وأنا عيني منزلتش من على ابتسامة وفاء.

رجع هشام كأنه أصابته صاعقة، افتكر إنه منطقش كلمة إلى آخر الأحداث.

بصيتله وقلت: هشام، بص، اطلع من غير متقول شيء، اعرف لي مين أقرب حد للست دي.

بص لي وفضل واقف!

خرجت أنا عند الشباك، غير متزن وغير ثابت النظرات، ناديت محمود: احكيلي، فين أهل حماتك؟

- يا بيه ملهاش أهل؛ جوزها ميت وأهله مقاطعينها هيا وبنتها وابنها الصغير، فقط لا غير.

- وفين ابنها؟

- من ساعة ما جه وهو قاعد في الميكروباص اللي هناك ده.

- طيب ادخل.

فتحت الباب ودخلته، وأخدته بهدوء لغرفة الأشعة.

لما شاف حماته انهار، فضل يبوس إيديها. هديته. قعد يتكلم معايا، قاللي: دي أطيب ست عرفتها في حياتي، دي كانت تديني فلوس تقولي روح هات شبكة لخطيبتك بعد ما تحلفني على المصحف إني مجيبش سيرة لمخلوق ولا لبنتها. تديني فلوس تقولي هات هدايا لخطيبتك وتحلفني، حتى فلوس الفرح هيا اللي مدياهالي. وانهار في البكاء.

حاولت أستغل الموقف: بص يا محمود، يبقى من واجبنا عليها إننا نخلص كل الإجراءات في هدوء ومن غير أي شوشرة، أنا هجيب دكتور الصحة هنا وهخلص الإجراءات كلها، إنت معاك ما يثبت إنك زوج بنتها؟

رد قال: لأ، أنا لسه ما أخدتش القسيمة.

- طيب فين ابنها؟

- بره في الميكروباص.

- طيب أنا هطلع له، وإنت خليك هنا، هجيبه بهدوء عشان نعمل الإجراءات.

- طيب.

طلعت، الناس حاسة إن فيه شيء غريب بيحصل، روحت بكل هدوء للميكروباص أحمد قاعد في آخر كرسي وساند راسه على الشباك، كنت خايف عليه من العين قتحت الباب، طلعت أقعد جنبه، ملتفتش ليا أساسًا!

قولتله: إنت مؤمن؟

مردش عليا، حركت إيده، وقعت... أحمد مات!

أنا عاوز حد بس يحط نفسه مكاني، الناس واقفة بعيد وبتبص، وطالع أقول للابن إن أمه اللي كانت جاية تاخد جثمان أخته ماتت، فألاقيه مات!

ياااااا الله.

قمت أسنده وأنيمه على الكرسي، الناس بدأت تيجي، كلام كتير حواليا مش سامعه ولا عاوز أسمعه... أحمد مات.

وبنفس الابتسامة، نفس الابتسامة...

الناس بتصرخ وتعيط وأنا راجع المشرحة مش عارف فعليًا إيه ده، هل حلم؟!

طلعت مكتبي من غير أي كلمة، قفلت الباب من الداخل، ولم أنهر في حياتي زي اللحظة دي.

يا الله! إيه بين التلاتة دول وبين ربنا؟ إيه العهد اللي أخدوه إنهم يعيشوا مع بعض ويرحلوا مع بعض؟ إيه البنت اللي ماتت أول يوم تبعد فيه عن أمها؟ وأمها وأخوها يموتوا في أول يوم تبعد فيه أختهم عنهم؟! إيه الابتسامات التلاتة الهادية دي؟! وإيه اللي شوفته تحت ده؟! معقول!! وهل لما كان خارج من الأوضة وكهرب جسمي كله كان رايح لأحمد؟! وليه بيظهر لي أنا؟! وليه في المشرحة؟!

أسئلة أسئلة... إيه الرضا اللي باين على وشوشهم ده؟! إيه الملايكة التلاتة اللي نايمين دول؟ وهل موت السجود ده سهل كده؟ احنا فين من الناس دي؟! إيه الهدوء والسكينة اللي ختموا بيه حياتهم ده؟!!!

كل الأحداث دي ماأخدتش نص ساعة تقريبا، نص ساعة اتغير فيها بالنسبة لي الكون كله!

غسلت وشي، قرآن الفجر في مسجد السيدة زينب القريب بدأ، وكانت هذه هي التلاوة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾

[سورة فصلت: ٣٠-٣٢]

وختم التلاوة بـ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾.

لا إله إلا الله!

نزلت، التلاتة جنب بعض على ترابيزات، في قداسة رهيبة، كأني واقف قدام ناس من زمن الصحابة، ناس لا ده زمانهم ولا ده مكانهم.

حاولت أدفع رسوم الغسل والأكفان للتلاتة، محمود رفض، قال لي: وفاء مدياني فلوس لكده وقالت لي هتحتاجهم.

أخدت العنوان، حضرت صلاة الجنازة والدفن، ظهر لي فيهم كرامات مهولة، قعدت مع محمود، حكالي كل اللي حكيته فوق بالتفصيل، محمود النهارده من أعز أصدقائي، عشان حاجة واحدة بس، يحكي لي عن الحاجة فاطمة...

صلحوا اللي بينكم وبين ربنا، كل اللي فوق التراب تراب، مفيش حاجة مستاهلة.



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..
لذا وجب التنويه!



الحكاية الثامنة عشر

هل أنتم مستعدون؟ حسنا، ها هي هناك، قريبة جدًا، عندها فقط تبدأ طقوس رعبكم، ليس أسهل من الوصول إليها، إن لم يكن بسؤال الصحفيين الواقفين والمتجمعين حولها، فسيكون من رائحة الموت التي تملأ منطقتها، والتي جعلت منها مكانًا مرتبطا في أذهان الكثيرين بأنها بيت الرعب الحقيقي.

وغاب عنهم أنها سيف آخر للقضاء يفصل بين الحقيقة والادعاء. يبحث في منهجية الأحداث، وقد يقلب الأمر رأسا على عقب؛ فيكشف عن أن المتهم بريء، أو أنّ المجني عليه مدان.

اقتربوا من أبوابها، أكثر، أكثر، هل شممتم رائحة الموت، الباب مفتوح، ادخلوا، ادخلوا، ولكن لا تلوموا بعدها إلا أنفسكم عندما تتسمرون رعبًا في الأرض في صراخ طويل لا تعلمون أين أنتم، فتجيبكم أول جثة في أقرب ثلاجة: هنا مشرحة زينهم.

***

الزمان: يناير ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

إخبارية مفاجئة بحدوث انفجار بأحد الأحياء السكنية في مدينة من المدن الجديدة. تحركنا كجهاتٍ معنية في تمام الواحدة ليلًا كل من مكانه في اتجاه المدينة، هناك لم يكن الوضع ينذر بشر، ولا بخير.

لا يوجد أي آثار لانفجار، لا نار، لا دخان، لا بنايات محطمة، ولا سيارات مهشمة، ولا نوافذ مخلوعة، ولا زجاج محطم. حسنًا، لا يوجد انفجار.

ولكن في الطابق الثالث هناك خمس جثث لخمس سيدات!!!!

استمعت لحوارات جانبية لسكان المنطقة مع ضباط المباحث. الجميع يقسم أن هذا المبني شهد انفجارا كبيرًا رج الأرض من تحتهم مع صوت رهيب يصم الآذان. الجميع مصمم على وجود انفجار دون أي أثر له، حتى صاحب السوبر ماركت الهادئ في المبني القريب يقسم أنه لما سمع الصوت وشاهد ارتجاف الأرض تحت قدميه نطق الشهادتين وأيقن أنها النهاية وأن رائحة الدخان والحريق كانت تملأ المنطقة حينها ثم اختفت فجأة.

ما هذا العبث؟!!

قيادة تصرخ في حنق: يلا يا حسام بيه شغل المجانين ده، فض الليلة دي والطب الشرعي يشرف على نقل الجثث في عربيات الإسعاف يروحوا مشرحة زينهم. وحراسة تقف هنا على البيت للصبح.

يسلم فمك، أنا عاوز أنام.

عملت نفسي إن الفكرة مش عاجباني، وده سيستيم اتعلمته مع الزمن، فترد بضيق: خلاص يا باشا، أنا بس كنت بقول: إن الل.... خلاص يا باشا اللي تشوفه.

وتسكت دقيقة كده وتعمل نفسك بتفكر بعمق.

وتيجي قايله: تصدق يا باشا أنا قلبتها في دماغي كده وطلع فعلا كلامك مظبوط. الخبرة يا باشا مفيش كلام. المهم...

طلعنا عشان ننقل السيدات مع ضباط مباحث الشروق وأفراد الاسعاف، ٤ جثث جميعهم في الريسيشن الكبير جدًا، كل جثة في ركن من الأركان ملتصقة بالحائط، والجثة الخامسة موجودة بالكوريدور الواصل بين الريسيشن والغرف. والجثث الخمس بملابس سهرة سوداء وملقاة على وجوهها على الأرض. المنظر من بعيد يقول: إنهم كانوا مجتمعين في منتصف الريسيشن، وحصل انفجار قوي جدًا، أطاح بيهم كل واحدة في حتة، فأربعة اتخبطوا في الحوائط، وواحدة اترمت بقوة الانفجار في الكوريدور، لكن مفيش انفجار ولا أي أثر ليه، فين آثار الانفجار؟ مفيش كوباية مكسورة، مفيش إزاز

مشروخ، مفيش حريق، مفيش دخان، مفيش أي شيء، كل حاجة هادية ومنظمة تماما. تماما.

الوضع مش مريح، انقسمنا مجموعات، الأدلة الجنائية بترفع البصمات، فيه بحث بيدور على أي أوراق، وإحنا بنفحص الجثث ظاهريا كده قبل ما نحطها في أكياس الفوق وتنزل الإسعاف.

عثرو فيه معاه ثلاث جوازات سفر أجنبية لثلاث سيدات عرفناهم فورا من لون شعرهم الأشقر ولا زالت الجثث على وجوهها، أما الجثتان الباقيتان فقد تبينّا في ملابس إحداهن وفي شنطة يد حريمي ملقاة على الأرض بطاقتان رقم قومي لسيدتين مصريتين من سكان أحد أرقى أحياء الجيزة، حي غالبا بياخد المركز التاني في الدوري.

حتى الآن الموضوع غامض لكن لم يصل بعد لدرجة التعقيد.

التعقيد بدأ لما بدأنا نقلب كل جثة عشان نحللها، أو مش التعقيد الذهول.

بدأنا بالثلاث جثث الأجنبيات، واللواتي ثبت أنهن مستأجري الشقة مفروشة، منظر بشع

اثنان منهما وجهيهما مغطي بالكامل بسائل أحمر أكثر كثافة من الدم ولزج كأنه دم بدأ في التجلط والجفاف، والغريب لا يوجد أي جرح لا في الوجه ولا في الرأس ولا في الجسم كله، ولا آثار دماء على الأرض مكان وجوههم، ولا آثار دماء في مناطق وقوعهم، ومنظر الوجه إنه تعرض لرعب مهول وإن الوفاة صدمة عصبية بشعة. الجثة الثالثة ويبدو أنها لأكبرهم سنا، متخيل لما قطر كهربائي مهول السرعة يخبط وش واحد ممكن يعمل فيه إيه؟ أو مثلا أتوبيس سياحي فاخر يدوس على وش واحد ممكن يعمل فيه إيه؟! ممكن تتخيل أي شيء ممكن يحصل، أي شيء، إلا اللي أنا شفته وهتشوفوه في الصور، الوش ممكن يتحطم، يتكسر يتسلخ يتجلد، لكن إنك تلاقي فم الجثة في مكانه بينما الانف والعيون في مكان تاني آخر ده اللي مش ممكن، مش قادر أوصف الموقف بدقة أكثر من إن أنت جبت عجينة بليدو (صلصال يعني يا نورين) وعملت منها وش بني آدم وأنت بتتسلى، بعدين زهقت فجيت فاعصها بإيدك مضيع ملامحها ومخلي وشها مكان أفاها وعينها فوق حواجبها. هو ده اللي حصل، ولكن، بدون نقطة دم واحدة.

الجثتين الباقيتين للسيدتين المصريتين، واحدة سأذكرها حالًا، والثانية يصعب ذكرها كليًا. الأولى بها إصابات غريبة جدًا جدًا بيمين الصدر، أكثر من عشرة جروح طعنية بالطعنات، ولكن كل جرح بشكل مختلف تمامًا

الجثة الأخيرة في الكوريدور كانت مشوهة تمامًا مقطعة الوجه والرقبة والثديين والأعضاء التناسلية.

انتهت عملية رفع البصمات وشغل الأدلة الجنائية تبين في الشقة أوراق تخص إحدى السيدات الأجانب أنها تستورد أجهزة طبية من الخارج وبالفعل تبيأ في إحدى الغرف أكثر من (٥٠٠) علبة جهاز ضغط طبي في كراتين مغلقة.

تم نقل الجثامين الخمسة إلى زينهم ووضع حراسة على الشقة ليبدأ الجزء الأكثر رعبا في القصة.

بمجرد وصول الجثامين وقيام شعبان باستقبالهم اشتكى أفراد سيارتي الإسعاف اللي نقلوا الجثث الخمسة من أشياء غريبة طول الطريق، سألت زي إيه؟ قالوا: إحنا أول مرة يحصل معانا كده يا دكتور، إحنا بننقل جثث من عشرين سنة، لكن عمرنا ما حصل معانا كده، إيه بس اللي حصل؟ قال: طول الطريق سامعين صوت صريخ رهيب وتصفير وعياط وإحنا ماشيين ورا بعض بالعربيتين، لدرجة وقفنا ونزلنا لقينا العربية اللي ورانا بيقولوا نفس الكلام، نقف العربية مفيش صوت، أول متتحرك الصويت يشتغل، نقف يسكت، ده غير إن كل شوية العربية تتهبد هبده كأنها أكلت مطب محترم من غير ميكون فيه أي حاجة في الأرض والصويت ده دمر أعصابنا، لدرجة إن واحد مننا نزل في الطريق وسابنا ومشي، أخدت الموضوع أنا وشعبولا بهزار وضحك، استلم الجثث، اتحطت في التلاجة الكبيرة ودي غرفة كبيرة جدًا كلها عبارة عن تلاجة، اتحط فيها الخمس جثث مع جثث تانية مجهولة حوالي ١٠، مرصوصين على ترابيزات قريبة جدًا من الأرض، واتقفل الباب.

الساعة بقت سبعة الصبح، يلا يا شعبان أنا همشي وهاجي أشتغلهم بالليل على ما ييجي قرار النيابة، رد يا ريس طب متاخدني في طريقك لحد موقف السيدة عائشة وهشام جاي أهه هيستلم مكاني، طيب هجيب حاجة من فوق، شعبان غير لبسه، فضلت واقف معاه ٥ دقايق، هشام جه وإحنا واقفين سلام وركبنا العربية ومشيت مع

الزيه بتهديد على المشرحة إنه ييجي عشرة بالليل عشان يشتغلوا معايا، لأن الشغل مش ملتزم، وسيبنا الكل لوحده.

بالليل جيت في معادي بالظبط، حوالي الساعة اتنين إلا ربع بالليل.

فوجئت بشعبان وهشام والشيخ سعيد وفرد أمن قاعدين على كراسي خارج المبنى قدام البوابة الرئيسية للمشرحة. وأنا مستغرب قبل كده بلاقي القعدة دي عشان ما في حد يدخل يجيب حاجة من الشرطة الجوة، أو مثلا يولع في المشرحة، وده محل أكل عيش.

دخلت عليهم بالعربية وهما قاعدين بدأت أشوفهم بالكراسي على الكنبة لحد ما جريوا على جوه.

نزلت، شعبان بيبصلي بنظرات استهزائية: أنا هنا من الساعة عشرة على فكرة.

عملت مسمعتش ومردتش.

الشيخ سعيد رويتر المشرحة: معالي الريس شفت اللي حصل امبارح؟

إيه اللي حصل يا شيخ سعيد؟

شعبان: ما أنت سامع أهه أنا هنا من الساعة عشرة.

عملت نفسي بشوف حاجة على الموبايل وقلت إيه يا شيخ سعيد اللي حصل؟ قال: كله ساب المشرحة امبارح وطلع ما عدا دكتور حازم.

ليه؟

المشرحة طول النهار صويت وتصفير وضبط طالع من التلاجة الكبيرة نفتحها مفيش حاجة نقفل وبعد نص ساعة يشتغل تاني لحد ما صدعنا كلنا والله يا ريس وكله طلع ما عدا دكتور حازم. اسأله حتى.

اتصلت بحازم، إيه يا زوما إزيك؟

حازم: ازايي إيه الله يخرب بيتك على بيت سجاياك.

ليبيه؟؟

مش عارف أنام من الصداع من ولاد الـ*** اللي أنت جايبهم امبارح صويت وتصفير وخبط وطبل، أنت جايبهم من شقة دعارة ولاد الـ*** ولا إيه؟؟

فاصل ضحك، طيب أنا هدخل أشوف

غيرت بسرعة، لبست لبس الشغل، رايح أنا وشعبان للقاعة بحاول أفتح كلام أراضيه، بقوله: هو بجد اللي الشيخ سعيد بيقوله يا شعبولا؟

رد باستفسار: هو قالك إني جيت الساعة عشرة؟

يا أخي يلعن ميتينك آخر الليل خلاص سمعت

المشرحة هادية وزي الفل.

قولتله: وهو فين الصريخ والخبط؟ رد باستهتار شوية وهتسمعه، قولتله: أنت سمعته بنفسك؟ قال: آه سمعته كذا مرة من ساعة ما جيت الساعة عشرة.

امشي يا شعبان أنا مش عاوزك تشتغل معايا، ووسط الضحك بدأت السيمفونية.

صراخ متواصل بدون توقف بصوت عالي ويشع يوتر الأعصاب، مع صوت حد بيصفر ببوء صفير متواصل وأشياء كأنها بتترزع على الأرض تتكسر. الحاجات دي سمعناها كتير، لكن كنا مثلا نسمع صوت صرخة واحدة نص الليل، ساعات ضحكة عالية، خبطتين تلاتة ورا بعض، لكن إنه يستمر نص ساعة متواصل بمستوى الصوت ده فعلا شيء ينرفز ويجيب صداع، طب اعملي قهوة بقا على ما يبطلو، نص ساعة كده هدي الصوت ما عدا الخبطات، يلا يا شعبولا، روحنا فتحنا التلاجة، شعبان باستظراف، هااااا مين عاوزة تيجي لعمو الأول؟

محدش يرد.

طب نهدا بقا، نهداااا كده ونقول: إحنا هاديانين أهه، وشد أول واحدة أجنبية بترابيزتها، ويلا بينا، لحظة ما قفلنا الباب. قبل ما يتقفل كله تقريبا الصويت اشتغل، بنفس التون، صريخ ورزع، بصيت لشعبان اللي وقف مرة واحدة، فكرته هيقولي: نرجع الجثة وصويت وخبط بس في الخلفية، لقيته بص للجثة بنظرة متفحصة وقالها: يبقى انتي اللي كنتي بتصفري يا بنت الـ***.

هيستيريا ضحك، وصلنا القاعة والصوت بيزيد فعليا ومبيقفش. كل نص ساعة تقريبا يقف تمام دقيقة وبعدين يرجع بنفس البشاعة. شعبان حط الجثة على الترابيزة وبدأنا نشتغل.

الجثة الأولى:

«أنثى في قرابة الثلاثين من العمر، متوسطة القامة والبنية، ترتدي فستان سهرة أسود، يعلوه جاكيت خفيف وردي، شقراء وذات شعر قصير. الوجه والظهر عليهما سائل أحمر اللون. ثبت من الفحص أنها ليست دماء بشرية، وعموم الجثة خالية من أي إصابات كفيلة بإحداث الوفاة، وبها سحجات خفيفة بالوجه. والفم مفتوح ومعوج بشكل يبدو عليه العنف، وداخل الفم مادة بنية اللون لزجة أشبه بالسكر المحروق. لم يستطع الفحص تحديد هويتها.

بخلع الملابس وإجراء الصفة التشريحية تبينًا وجود مظاهر عدم اهتمام تام بالعناية الشخصية، والتهابات فطرية بالمناطق التناسلية. وبالفحص الداخلي والتشريح تبينًا أن سبب الوفاة سكتة قلبية مفاجئة ربما نتجت عن صدمة عصبية، وانهيار عصبي شديد أدى إلى حدوث الوفاة، ولا يوجد أي شيء غير ذلك من إصابات خارجية أو داخلية أو أمراض، وبالفحص المعملي تبينًا آثار كحول بالدم ولا توجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة».

آدي واحدة، طول التشريح ومع كل حركة مشرط الصراخ يزداد قوة وعنف لدرجة اننا حطينا قطن في ودانا عشان نقلل ضغط الصوت، خلصنا، خيطنا، قلت لشعبان متدخلهاش التلاجة الكبيرة، حطها في درج من الأدراج لوحدها على ما نشوف الليلة السودا دي، وهات التانية اللي كانت جنبها على طول.

«الجثة لأنثى في منتصف الثلاثينات من العمر، بدينة نوعا ما متوسطة القامة، شقراء والشعر متوسط الطول، ترتدي ملابس سهرة سوداء، والوجه مغطى بسائل أحمر لزج. ثبت من الفحص الطبي أنه ليس دماء بشرية ولا يمكن إزالته بسهولة، والفم مفتوح أيضًا بشكل غير طبيعي، وبداخله ذات المادة بنية اللون لزجة، لم تستطع تحديد هويتها وإن كانت أشبه بالسكر المحروق.

عموم الجسد خالي من أي إصابات ظاهرية؛ إلا كدمة بيسار الوجه دائرية الشكل بقطر(٢سم) ربما نتجت عن ارتطامها بشيء، وباقي الجسد خالي من أية إصابات كفيلة بإحداث الوفاة.

وبإجراء الصفة التشريحية تبينًا آثار سكتة قلبية مفاجئة ربما تكون ناتجة عن انهيار عصبي شديد أدي إلى حدوث الوفاة، وبالفحص المعملي تبينًا آثار كحول بالدم ولا توجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة».

الصراخ بيزداد عنف في الخلفية والصداع والترفزة بتزيد، يلا يا شعبان في درج لوحدها، وهات الأجنبية التالتة.

«الجثة لأنثى في منتصف الأربعينات من العمر متوسطة القامة والبنية شقراء، وطول الشعر متوسط، ترتدي ملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، بها إصابات عبارة عن: سحجتين بيسار العنق متوازيتين، وسحجتين بالساق اليسرى، وكسور بعظام الوجه والفكين؛ أدت إلى تغيير مواضع الفم والأنف والعينين، وكل هذه الكسور دون إصابات خارجية مقابلة لها!!!!

كما تبينًا على الوجه ذات المادة اللزجة حمراء اللون؛ ثبت أنها ليست لدماء بشرية، ولا يمكن إزالتها بالماء والغسيل، كما تبينًا الفم أيضا مفتوح ومعوج، ويداخله نفس المادة بنية اللون لزجة لا يمكن تحديد هويتها تشبه السكر المحروق.

بالفحص التشريحي تبينًا سبب الوفاة سكتة قلبية مفاجئة نتجت عن انهيار عصبي وصدمة عصبية شديدة ولا توجد إصابات كفيلة بإحداث الوفاة، حتى كسور الوجه لم يصاحبها أي نزيف داخلي، وبالفحص الكيميائي تبينًا بالدم آثار كحول مع عدم وجود أي مواد أخرى سامة أو مخدرة» خبْط وشيل يا شعبان وفي درج برضه على ما اشوف الشيخ سعيد يعملي قهوة، معدي من جنب الأدراجمفيش أي صوت منها، حتى من اللي اتحطوا منهم، والصوت البشع كله طالع من التلاجة الكبيرة، أفتح بابها يسكت، اقفله يشتغل! مينفعش أسيب الباب مفتوح عشان حفظ الجثث، بقيت اسكت واجي فاتحه مرة واحدة واقولهم بخ، برضه مفيش فايدةةة. ميتيين بصدمة عصبية يبقي عمر بخ ما هتجيب نتيجة معاهم؟

طلعت، لقيت الشيخ سعيد قاعد عن الباب وبيقرأ قرآن، قالي: أنا قربت أخلص المصحف يا ريس وبرضه مش راضيين يسكتوا، قولتله: أنت بقالك كام سنة هنا يا شيخ سعيد؟ قالي:(٣٨ سنة) قولتله: مرت عليك حاجة زي دي؟ قالي: آه تلت مرات ولسه هيحكي لقينا الصريخ زاد جدًا!!، قولتله: طب اعملي قهوة على ما أشوف شعبان بيضربهم جوة ولا إيه؟! رحت لقيت شعبان واقف في نص القاعة وبيضحك، قولتله: أنت عملت إيه؟ قالي: جبت الجثة الرابعة وضربت الخامسة بالقلم.

مبقيتش عارف أقوله إيه ده؟ معاه شهادة معاملة أطفال، وواقف سعيد جدًا كأنه عمل مقلب في واحد صاحبه. بدأنا الجثة الرابعة.

«الجثة لأنثى في العقد الثالث من العمر، طويلة القامة، متوسطة البنية، سوداء الشعر، والمادة الحمراء اللزجة مركزة كلها على العنق من الخلف، والشعر من الخلف وأعلى الظهر، حيث يبدو أنها كانت في حالة سجود، والفم يحتوي على ذات المادة البنية اللزجة الغير معروفة، وترتدي ملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، وقد تبينًا بها ما يلي: عشرة جروح طعنية بيمين العنق نافذة إلى الداخل، كل منها له طول مختلف، وعرض مختلف، وعمق مختلف، وشكل مختلف، بعضها خطي، وبعضها دائري، وبعضها بيضاوي، وبعضها مستطيل، من المؤكد أنها أحدثت بواسطة ادوات حادة مختلفة الأبعاد والأشكال والأطوال، وليست أداة واحدة، والمتوفاة كانت في حالة حيض وعثرنا بالدم على نسبة عالية جدًا من الكحول، ولا يوجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة، وسبب الوفاة تلك الطعنات، وما أحدثته من إصابة الأوعية الدموية الرئيسية بالعنق، وإصابة القصبة الهوائية والمريء، مع نزيف داخلي أدى إلى الوفاة» خيَّط وشيل يا شعبولا في درج لوحدها وهات الأخيرة النهار هيطلع خلينا نخلص.

الشيخ سعيد كان جه وإحنا شغالين ماسك القهوة في إيد، والمصحف بإيد وبيقرا بصوت عالي ومفيش فايدة، قعدت أشرب القهوة في الكوريدور وشايف شعبان جاي جايب الجثة الخامسة، وبرضه بيضحك ومش عاوز يجيب عينه في عيني ومش عارف هو عمل إيه جوه! فضلت أضرب كف على كف ودخلت وراه، الصوت وقف تمامًا الشيخ سعيد قفل المصحف، وطلع وعلى وشه ابتسامة رضا وحاسس إنه انتصر عليهم بالتقوى والصلاح بتاعه، وأنا قولتله الله ينور يا شيخ سعيد، وابتسامته تزداد اتساعًا وثقة، وماشي

في خشوع ولا كأنه الشيخ ميزو وهو ماشي، ومرضيتش أقوله إن الصوت وقف أساسًا في التلاجة عشان طلعناهم كلهم ومبقاش حد جوه، سيبته يطلع المسرح.

نكمل...

«الجثة لأنثى قرابة العشرين من العمر، متوسطة القامة والبنية، ذات شعر أسود قصير، بملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، والمادة الحمراء مركزة أيضًا على الشعر من الخلف، والظهر كونها كانت في حالة سجود، ونفس المادة البنية الغير معلومة موجودة في الفم، كما تبينًا بها جرح ذبحي عميق بيسار الوجه والعنق يمتد من أسفل الأذن اليسرى مباشرة، وحتى أسفل العنق محدثا إصابات بالأوعية الدموية الرئيسية وهو سبب الوفاة، باقي الجثمان به إصابات عبارة عن قطع حاد في الأعضاء التناسلية أدى إلى تشويهها والمتوفاة في حالة حيض».

خيّط وشيل بقا يا شعبان وفي درج وحدها لحد ما نشوف إيه القصة الجامدة وراهم.

الأدراج عندنا بيتحط كل جثة في درج، والدرج عريض عشان يسمح بدخول الحمالة اللي عليها الجثة فبتدخل الجثة بالحمالة بتاعتها وتطلع برضه بيها.

اتغسلوا واندفنوا على الطريقتين الإسلامية والمسيحية كل حسب ديانته. الشيخ سعيد بيقول إنه لما نزل التلاتة الأجانب في مقبرة لوحدهم وقفل بالأسمنت الصريخ اشتغل، ونفس الوضع حصل مع الجثتين التانيين، والخمس جثث موجودين في مقبرة صدقة كبيرة بباب واحد متقسمة جزئين: جزء على اليمين للأخوة المسيحيين في توابيت، وجزء على اليسار للمسلمين في الأكفان فقط والدفن فوق سطح الأرض.

وبعدها ابتدأ البحث والتفكير وربط المعلومات، لحد ما وصلت لشيء لا هو علمي ولا منطقي ولا ينفع يتكتب في تقرير أساسًا، مش هضحك على نفسي وأبرر لنفسي أكتر من كده، واضح إن دي كانت جلسة بطقوس معينة، ربما تكون عبادة شيطان أو تحضير أرواح أو سحر كابالا او شيء بهذا الشكل.

بدأت اقرا وأبحث عن نوع السحر اللي بيستخدم الزئبق، لحد ما وصلتله، مكتوب بالحرف الواحد ما يلي: السحر الأسود وهو أعنف درجات السحر يبدأ بسحر التمائم، والتعويذات على عظام حيوانات، وهو سحر قوي يفوق كل درجات السحر السفلي،

يليه تمائم وتعويذات على عظام آدمية، وهو من أعنف أنواع السحر المعروفة في العالم، ويملك صاحبه قوة خرافية مهولة. وأقصى درجاته وهو السحر الزئبقي وهو نوع من السحر الداوودي، ويتم باستخدام الزئبق الأحمر النقي، أو الزئبق الفضي المخلوط حيث تكتب بها التمائم بعد الطقوس، وهو أعنف درجة سحريه عرفها عالم السحر الأسود حتى اليوم، ويشترط أن يملكه شخصين معا وليس شخصًا واحدا، ويكون لديهما قدرات تمكنهما من هزيمة جيش بأكمله دون أن يتحركا من مكانهما، ولكن أي خطأ في الطقوس أو التمائم يؤدي فورا إلى موت الجميع دون رحمة. حاولت أبحث وجبت كتب كتير جدًا، ومواقع كتير جدًا عشان أوصل لإيه الخطأ اللي ممكن يحصل، ولو الخطأ ده حصل، إزاي بيموتوا دون رحمة؟ وكنت دايما بلاقي باب مسدود ومفيش أي توضيح أو تفسير لحد النهارده. اللي وصلتله بس إنه موجود في غينيا والنيجر في أفريقيا، وفي بعض دول أمريكا الجنوبية اللي منها البنات فعليا، وإن عدد من يمتلكوا طاقته على مستوى العالم لا يتجاوز عشرة أفراد، ولا يمكن توريثه بالعهود.

التقرير اتكتب بعد كام شهر بنفس البيانات بتاعة الإصابات اللي فوق دي، دون تفسير أو توضيح لكيفية حدوث الواقعة، أو إجابة الأسئلة اللي ملقيتلهاش إجابة، واتساب فيه الباب مفتوح لأي شيء يظهر بعد كده، وتم حفظ القضية واتقيدت ضد مجهول، وما زالت من أكتر القضايا غموضا في تاريخ مصر، إن لم تكن أولهم، ومظهرش أي شيء جديد لحد النهارده. إلا شيء بسيط.

إن بعد شهور تقترب من السنة، جالنا استخراج جثمان اندفن في مقابر الصدقة من سنة ونص؛ عشان بعد سنة ونص ظهرت أدلة إن مماتش طبيعي وممكن يكون اتسمم، والسموم بنلاقيها ولو بعد عشر سنين. مقابر الصدقة كل فين وفين لما بيندفن فيها حد، وبتفضل مقفولة بالشهور وساعات بالسنين، المهم أخدت شعبان والشيخ سعيد ورحنا تعمل الاستخراج. افتكرنا القصة دي وإحنا في الطريق، وفضلنا نضحك، شعبان اعترفلي إنه لما ضرب الجثة بالقلم كان عشان لقاهم حاضنين بعض، والشيخ سعيد قال إن مقابر الصدقة متفتحتش من يومها، وصلنا، مفيش صوت صريخ ولا أي شيء، فتح القفل، وكسر الأسمنت اللي حوالين الباب، نور كشاف ودخلنا، كل جثة بيبقى محطوط جنبها كرتون عليه بياناتها ومربوطة بالكفن بتاعها، طلعنا الجثة المطلوبة وكانت عبارة عن هيكل عظمي، أخدنا العينات من البقايا ومن الكفن ومن التراب اللي تحت الجثة عشان

ندور على السموم المترسبة، رجعناها مكانها، هدوء رهيب، قلنا نبص على التانيين وكان الفضول هيموتنا، دخلنا غرفة المسيحيين لقينا تابوت في هيكلين عظمين حاضنين بعض وتابوت فيه هيكل واحد متكوم كله في ركن، وتابوت فاضي، وبدون كلمة رجعنا الغرفة المسلمين لقينا هيكلين حاضنين بعض وملفوفين بكفن واحد والكفن التاني فاضي، بمنتهى الهدوء طلعنا، محطيناش حتى غطيان التوابيت عليها، الشيخ سعيد قفل، وحط الأسمنت. وبنتحرك، الصوت اشتغل، نفس الصويت بتاع أول مرة في المشرحة، مشينا سرحان أنا والشيخ سعيد، وشعبان بيضحك.

بعد كده عرفنا من حارس المقبرة بالصدفة إن مقبرة الصدقة كل كام شهر بيطلع منها نفس الصوت بالليل، ويختفي فترة طويلة ويرجع. الجثث الخمسة موجودين بمقبرة الصدقة، مقابر الغفير، السيدة زينب، القاهرة.

الحكاية التاسعة عشر

أثارني نقاش عن تناسخ الأرواح وتلبس القرين لشخص، فقررت كتابة هذه الحكاية، ربما يزيد الأمر تعقيدًا ظهور روح تبحث عن الجناة وتسلمك صك الإدانة وترحل.

الزمان: سبتمبر ٢٠١٦.

المكان: بين مدينة ٦ أكتوبر ومشرحة زينهم.

التوقيت: الثانية صباحًا بتوقيت مشرحة زينهم.

في الواحدة ليلًا دار هذا الاتصال.

- ألووو، ازاي حضرتك يا معالي الدكتور.

- أهلا وسهلا مين معايا.

- أنا ***** ***** عضو مجلس النواب عن دائرة ٦ أكتوبر.

- أهلا بيك، خير.

- أنا بعتذر والله عن الاتصال متأخر بس عندنا (٣ حالات وفاة) ماتوا في حريق طلعنالهم مذكرة تشريح وعاوزين حضرتك عشان تدفنهم

- أولا البقاء لله، بس أنا مش هقدر أنزل غير الصبح وأوعدك هنشتغلهم الصبح على طول

- يا دكتور عشان خاطري دول أقارب شخصيين.

- والله على راسي بس فعليًا مش هقدر أتواجد غير الصبح.

- دول (٣) إخوات وكانوا لوحدهم وأمهم في الحج وأبوهم متوفي، والبيت ولع بيهم والحالة مأسوية والله.

- امممم، طيب حضرتك جبت رقمي منين؟

- قال: من واحد عندكوا هنا في المشرحة معرفش اسمه.

- شكله إيه طيب؟

- والله شكله غريب كده متعرفش توصفه.

- عرفته، قوله بيقولك: دكتور محمد جهز الحالات عشان هييجي يرفعك معاهم.

- رد يعني إيه يا باشا؟

- قولتله قوله: بس كده وهو هيفهم دي حاجة عندنا في الشغل هو فاهمها.

- أشكرك يا معالي الباشا، في انتظار حضرتك.

- بإذن الله، مع السلامة.

- مع السلامة.

متعرفش توصفه، هو شعبان ابن ***، وهروح أطلع ميتين أهله. أنا لسه هستنى لما أروح.

- ألو ازيك يا معالي الريس، صحيت ليه إنت مش قلت هتنام؟

- مين ادي رقمي لبتاع مجلس الشعب يا شعبان؟

- والله يا معالي الريس دنا جت حالات وقلت مش هكلمك عشان إنت هتنام، إيه صحاك بس!

- بصوت أعلى: مين ادي رقمي لبتاع مجلس الشعب يا شعبان؟

- أنا طبعا يا معالي الريس، بس قولتله: إنك هتنام.

- إنت ابن *** يا شعبان.

- صحيح يا معالي الريس.

- وهاجي أطلع ميتين أهلك.

- تسلم يا معالي الريس.

- بانفعال أكتر، وهاجي أحولك للتحقيق يا شعبان

- يعني هتيجي؛ في انتظارك يا معالي الريس

قفلت، وأنا بتنطط من برود أهله.

لبست ونزلت، طاير على الطريق، في ربع ساعة كنت هناك.

شعبان بيفتح باب المشرحة الكبير الخارجي عشان أدخل العربية، دخلت بعنف وتعمدت أخبطه وأنا داخل بجنب العربية، ابتسم وقال: تسلم عربيتك يا معالي الريس.

مش هنزل أفشخه قدام الناس أكيد، ركنت، راح جري فتح الباب المصفح، دخلت وقفلته، دخل وقفل الباب ولف ليا، وقالي: اضرب يا معالي الريس، اضرب عشان أعملك تقرير طبي وأوديك في ستين داهية، اضرب.

فقدت السيطرة وهيستيريا ضحك، وهو بيقول: أصلك بتوحشني يا ريس.

طلعت المكتب، غيرت هدومي، ونزلت، شعبان مقابلني بالقهوة وبيضحك!

دخلنا القاعة، الجثث التلاتة على ترابيزات

تلت جثث، بنت كبيرة وولدين صغيرين، واضح إن الولدين إخوات، وواضح إنهم ماتوا في مكان الواقعة: لكن مش بالحرق؛ بل بالاختناق! إنما البنت واضح إنها اتعرضت لحروق شديدة جدًاااا، أخدت جسمها بالكامل تقريبًا، أوك، بصيت لشعبان اللي مش طايقه، وقولتله بأرف: يلا يا أخويا، رد بنفس البرود شرف ليا معالي الريس.

بدأ شعبولا يجهز الجثث وأنا بقرأ مذكرة النيابة بسرعة، ملخص الحادثة إن جه إخبارية باشتعال النار في أحد المنازل، وإن سيارات الإطفاء بدأت بسرعة التعامل وبعد انطفاء النيران تبين إن الأخت الكبيرة محروقة بالكامل وجثتها متواجدة على باب غرفة محترق، واضح إنها دخلت الطفلين للغرفة أثناء الحريق ووقفت عند الباب تحاول تطفي النيران

ببطانية لكن النيران التهمتها، وتم إخماد النيران قبل وصولها لجثة الطفلين ولكن للأسف كانوا ماتوا بالاختناق. تقرير الأدلة الجنائية قال: إن السبب تسرب غاز واشتعال نيران من المطبخ انتشر لعموم الشقة، وكمان واضح من الأبواب إنها مغلقة جيدًا من الداخل وإن مكانش فيه أي دخول غير شرعي يشير إلى شبهة جنائية، وإنهم هيكملوا الفحص فيما بعد.

(وبدأنا الريكوردينج)

«الجثة لأنثى (١٦ سنة) متوسطة الطول زائدة الوزن بشكل نسبي جسمها مغطى بالحروق بدرجاتها الثلاث، وبعض الأجزاء واصلة لدرجة التفحم، يظهر من الحروق أنها حيوية، أي تمت أثناء حياة المجني عليها. ولا توجد أي إصابات أخرى ظاهرة خارجيًا. بإجراء الصفة التشريحية تبينا آثار ترسب كربون في الجهاز التنفسي وهذا يؤكد استنشاقها للدخان الشديد قبل وفاتها، وأنّ الحروق على جسدها حيوية، عدا ذلك لم نتبين أي شيء غير طبيعي، إلا كدمةً مستطيلة الشكل في مؤخرة الرأس، من الممكن أن تكون حدثت جراء سقوطٍ على الأرض، وكذلك لم تؤدِ إلى أي نزيف داخلي ولا دَخْل لها بإحداث الوفاة. وتُعزى الوفاة إلى صدمة عصبية شديدة نتجت عن إصابات حرقية بدرجاتها الثلاث وواصلة لدرجة التفحم في بعض الأجزاء مما أدي إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل وحدوث الوفاة»

- خَيِّط يا زفت.

- أوامرك يا معالي الريس.

- قولي يا شعبان: هو إنت مبتحسش؟

- هو أنا مش قايلك أنا تعبان يا شعبان هروح أنام ومتصحنيش أبدًا!!! إلا لما أصحى! قالي: حصل، وأنا فعلًا عملت اللي قولتلي عليه يا معالي الريس.

- قولتله: حلو، ليه بقا اديت رقمي للراجل؟ قالي: بابتسامة عريضة، مش عارف.

- بس يمكن يكون عندي نقص في الإحساس يا معالي الريس.

- قولتله باستنكار: يمكن؟

- قالي: أمي الله يرحمها كانت دايما تقولي: إنت جبلّة. آه والله يا معالي الريس.

- طب يلا، الجثة التانية يا جبلة، أبدًا.

(ريكوردينج الجثة الثانية)

«الجثة لذكر يبلغ من العمر حوالي (٧ أعوام) متوسط القامة والبنية لمن في مثل سنه، يبدو على وجهه مظاهر الاختناق بأول أكسيد الكربون مع زُرقةٍ سيانوزية بالشفاه والأظافر، والرسوب الدموي بلون أحمر في خلفية الجثة والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريًا بعد، بإجراء الصفة التشريحية، تبينًا آثارًا للكربون والفحام مترسبة في ممرات الجهاز التنفسي، ويحمل الفحص الكيميائي تبينا حالة التسمم بأول أكسيد الكربون. وتُعزى الوفاة إلى التسمم بأول أكسيد الكربون مما أدي إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل وحدوث الوفاة.

- خيّط يا بيه، عنيا يا معالي الريس».

(الجثة الثالثة)

كيوت خالص، لا حول ولا قوة إلا بالله.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكرٍ يبلغ من العمر (عامًا وبضعة أشهر) عارٍ الملابس، يرتدي فقط حفاضة طبية للأطفال ويظهر عليه آثار الاختناق بأول أكسيد الكربون، والرسوب الدموي بلونٍ أحمر بخلفية الجثة وبالصفة التشريحية تبينا آثار ترسب الكربون والفحام بالجهاز التنفسي، وتعزى الوفاة إلى التسمم بأول أكسيد الكربون مما أدي إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل وحدوث الوفاة».

تمام، خيّط.

كده كله تمام، تلات حالات في ساعة إلا ربع وبارك الله فيما رزق.

غيرت هدومي وركبت عربيتي، بصيت لشعبان وابتسامته العريضة بأرف، لحد ما طلعت من المشرحة وافتحت في الضحك وهو ماشي ورا العربية يقول: أحلام سعيدة يا معالي الريس.

لحد كده أحداث عادية جدًاا، وحالة منتهية تمامًا.

(٣ إخوات) أمهم في الحج، حصل حريق في بيتهم، ماتت أخت محروقة والاتنين الصغيرين اختناق، الأدلة الجنائية قالت: مبدئيا إن مفيش شبهة وإنها هتستكمل التقرير، والموضوع منتهي.

لحد بعد الواقعة بيومين تقريبًا، الواقعة كانت ليلة الجمعة ودلوقتي الأحد العصر، أنا في المكتب، والأمن بتاع البوابة الرئيسية بيتصل بيقول: إن فيه ست تحت منتقبة وعايزة تقابلني. سألتهم مين؟ قالت: أم الأولاد اللي ماتوا في حريق من يومين، قلتلهم: دخلوها وحد يجيبهالي.

الباب خبط، ودخلت الست، مش منتقبة ولا حاجة، متوسطة القامة قمحية البشرة محجبة وأكتر شيء كان مميز فيها إن فيه عين ثابتة مبتتحركش وبالتدقيق اكتشفت إنها عين زجاجية، محطيتش في بالي.

قولتلها: أولا البقاء لله وحمدلله على السلامة حضرتك، رجعتي مكملتيش الحج؟

قالت: آه مقدرتش أكمل. أنا كنت بحج عن زوجي المتوفي من كام شهر في حادثة، كانت متماسكة نوعا، قولتلها: طيب أؤمريني فيه أي حاجة ممكن أقدمها لحضرتك؟ قالت: آه، كتير، قولتلها: تحت أمرك، عاوزة إيه؟ قالت: تصدقني! بصيتلها باستغراب وقولتلها: وهو واحدة في ظروف حضرتك هتكدب ليه أساسًا! قوليلي بس اللي عاوزاه، لسه هتكلم: دخلت أم عاطف تشوفها هتشرب إيه، بالحاج طلبت مية بس، قولتلها: قولي أنا سامعك، ردت بكل هدوء، ولادي ماتوا مقتولين! كلمه ببقى غالبا متعود أسمعها في الحالات المشابهة، فقولتلها بكل هدوء: طيب حضرتك عندك دليل على كدة؟ قالتلي: آه، حلمت بيهم وأنا في مدينة رسول الله، قولتلها: عليه الصلاة والسلام، مش عارف أقولك إيه بس؟؟ إيمانك شيء، والأدلة الحقيقية شيء، وبدأت محاولة إنهاء اللقاء، قلتلها عموما أنا لسه بجهز التقارير ولسه الأدلة الجنائية مكملتش تقريرها وربنا يسهل، شربت من

كوباية المية اللي قدامها، وقالتلي بكل هدوء، وبالعينين الثابتين المرة دي وبصوت عميق: حق ولادي في رقبتك، وأنا هرجعلك تاني لما أعرف إيه اللي حصل بالظبط، لأني جاية من المطار عليك، وسابتني ومشيت من غير ولا كلمة.

فضلت ساكت شوية وأنا بتخيل كمّ المعاناة الرهيبة اللي بتمر بيها الست دي، زوج متوفي من شهور، راحت تعمله حج، فرجعت ولادها التلاتة ميتين، حاجة صعبة، حاجة تجنن، مشغلتيش الموضوع كتير، خاصت شغل، ورايا شغل كتير لازم يخلص عشان مسافر، وهبات في الشغل النهارده.

الساعة تسعة بالليل، اتصال تاني من أمن البوابة بإن فيه ست مصرة إن فيه معاد معاها دلوقتي، وهما بيكلموني أخدت السماعة وقالت: يا دكتور أنا مامت الأولاد اللي ماتو محروقين وجيتلك النهارده. قولتلها: أهلا بحضرتك بس هستأذنك تجيلي الصبح. قالت: أنا جاية من سفر النهارده زي ما قولتلك وتعبانة مش هاخد من وقتك غير دقيقة واحدة، طيب، اديني الأمن، أيوه يا محمود، مين عندك من الستات؟ قال: مدام مني، قولتله: طيب خليها تطلع معاها.

دقايق وأنا في المكتب لابس تريننج سبور الباب بيخبط مدام مني، دخلتها واستنت بره، من غير ما أتكلم قعدت وقالت: عرفت اتقتلوا ازاي! قولتلها بهدوء ازاي؟ قالت: للأسف أخويا اللي قتلهم، حسيت إنها بقيت مريضة نفسية والموضوع بدأ يوسع منها، وفي الحالات دي مينفعش تهاجمهم أبدًا، لازم تطبطب عليهم، قولتلها: ممكن تهدي بس، انتي عارفة إن بعد أي حادثة كبيرة أو صدمة بنتعرض ليها بيبقى بعدها فيه اختلال عصبي لجسمنا بيخلينا نتخيل حاجات مش حقيقية، وحاولت أقنعها أكتر قولتلها: أنا نفسي تعرضت لحالات زي كده وكمان، قطعت كلامي بكل ثقة وبنفس الصوت العميق، والعينين ثابتين تمامًا مبيرمشوش مش العين الزجاجية بس وقالت: يقولك: أخويا اللي قتلهم، ووقفت بحركات تمثيلية. وقالت: كان واخد مخدرات، راح قالهم: إنه جاي يطمن عليهم، وبعدين قالهم: هبات معاكم، وحاول يسرق المجوهرات من أوضة نومي، بنتي الكبيرة شافته، قالتله: إنها هتقولي؛ خبطها على راسها من ورا بفازة وقعت على الارض. وحاولت تزحف عشان تروح عند إخواتها، وهو مش عارف يعمل إيه!! راح قطع خرطوم الغاز وولع كبريت ورماه وخرج من شباك المنور اللي على السلم الخلفي وقفله وراه

ومش، البنت حاولت تحمي إخواتها النار مسكت فيها، ماتت محروقة، واخواتها ماتوا مخنوقين، أنا قولتلك وحقهم في رقبتك، وجت ماشية، مدام مني أخدتها ونزلت.

سكت، وعندي يقين إنها مقتنعة بالهلاوس اللي شايفاها، رغم إنها رواية منطقية جدًا تفسر الغاز اللي جاي من المطبخ، وإن الباب مقفول من جوه، بس مجرد هلاوس.

طلعت ملف القضية أقراه، قعدت أقلب في الورق، فضلت أقلب في الورق ورقة بعد ورقة، لحد ما عيني اتسمرت مكانها، من كلمة أنا اللي كاتبها بخط إيدي في ورقة التشريح "كدمة دائرية الشكل بقطر ٣ سم بخلفية الرأس لم تؤدِ إلى حدوث كسور بالجمجمة أو نزيف داخلي، ويرجح لأنها بسبب السقوط على الأرض".

فضلت أبص للجملة وأفتكر كلام الست الهادئ الواثق عن أخوها اللي ضرب بنتها بفازة في راسها من ورا، معقول؟

رجعت لورا في الكرسي وأنا بضحك، هتشتغل بالأحلام ولا إيه يا أبو حميد، وهتكتبلهم إيه في التقرير!

(بحلم بيك أنا بحلم بيك)

آااااااه، كملت كتابة، دخلت الاستراحة نمت ومفكرتش في شيء، لكن الست كلامها ميروحش من بالي، قمت الصبح، كلمت نيابة أكتوبر، سألت القضية دي مع مين من البهوات؟

قال: مع إسلام بيه، تمام، كلمت إسلام بيه، إيه يا باشا اخبار القضية دي؟ قالي: متريحش خالص يا دكتور والله، قلبي بدأ يدق، ليه بس؟ قال: الأدلة الجنائية جابت تقرير تكميلي بتقول: (إن خرطوم الغاز مقطوع بآلة حادة، وإن الحادث بفعل فاعل). كأن صاعقة نزلت على راسي! كمل الكلام، وكمان فيه درج مكسور في دولاب غرفة النوم وعلبة مجوهرات فاضية وفازة مكسورة، فيه قلق كده، هو بيتكلم وأنا في عالم تاني، تفتكر يا دكتور حد من الأولاد اللي قطع الخرطوم؟! رديت بسرعة لأ، الأولاد الصغيرين قوتهم أضعف والكبيرة أعقل من إنها تعمل كده. قالي: عمومًا هنستنى لما أمهم تيجي من الحج وهنحل كل اللغز ده، قولتله: أمهم جت امبارح وجاتلي المكتب. قالي: مجاتش

عندنا، يبقي غالبًا هيجيبوها النهارده. قولتله: طيب أنا هروح أبص بصة على البيت كده، أنتو سايبين عليه حراسة؟ قال: آه طبعا، سلام سلام.

قفلت ومعدل دقات قلبي فعليًا وصل ١٥٠، الست دي عرفت منين؟ هل راحت الشقة مثلا وتخيلت اللي حصل؟ هل أخوها اعترفلها؟ ولا إيه بالظبط!! نزلت ركبت عربيتي وطلعت على ٦ أكتوبر، أخدت العنوان في الطريق من المباحث وعرفتهم إني رايح، على باب الشقة اللي في الدور الأول علوي، قابلت طقم الحراسة، كان أول سؤال سألته، هو فيه حد جه دخل الشقة. قال: لا يا ريس محدش دخل غير المباحث والنيابة، متأكد؟ طبعًا يا ريس ممنوع حد من الأهالي يدخلها أصلا ولسه بالشمع الأحمر أهه، اتأكدت من الختم على الشمع. فكيته ودخلت، ريحة الدخان واللحم المحترق لسه في كل مكان، دخلت أول غرفة متفحمة. الغرفة التانية نصها بس المتفحم، واضح إن دي اللي كان فيها الأطفال، واضح من اللعب الموجودة على الأرض. الغرفة التالتة غرفة نوم الأم، الدولاب مفتوح، واضح إن فيه درج مكسور، وأمين الشرطة قالي: إنهم أخدوا علبة المجوهرات والفازة يمكن يلاقو بصمات رغم إن تلت أرباعهم محروق. دخلت المطبخ، تفحم كامل، تركيزي على حاجة واحدة بس، شباك المنور، لقيته متفحم، وقفت على حاجة فتحته، ببص على المنور، المسافة للأرض حوالي ٦ متر، صعب شوية النط منها لكن ممكن والشباك واسع يخرج حد بمنتهى السهولة، مشيت أكتر ارتباكا من قبل ما آجي، ازاي واحدة تشوف في حلم طريقة قتل أولادها وبالدقة دي!!! بالتفصيل ده!!!

رجعت المكتب، طلبت غدا وأكلت، الساعة أربعة العصر تقريبًا لقيت اتصال من إسلام بيه، قالي بسخرية: أم مين يا دكتور اللي جاتلك، قولتله: (أم ٤٤) ليه؟ قالي: كنا بعتنا خطاب لبعثة الحج عشان يهتموا اهتمام مضاعف بالست دي للظروف اللي بتمر بيها، وإخطارنا بموعد رجوعها، جالنا فاكس حالا، إن الست دخلت في انهيار عصبي ليلة الجمعة فور علمها بالخبر، ودخلت مستشفى سعودي وتوفيت الجمعة بعد الضهر، وتم إنهاء الإجراءات وحجز شحن الجثمان اللي هيوصل للمطار النهارده الساعة (١٢) بالليل، وهيطلع عندكوا على المشرحة عشان تعملولها شهادة وفاة، سكت، وبعدين قولتله: أكيد حد قريبهم وقال: إنه أمهم، قفلت وأنا في حالة صدمة، وبحاول أقنع نفسي باستماتة إن اللي جت قريبتهم. شوية تفكير، اتصلت تاني بإسلام بيه، قولتله: معلش اديني الاسم والرقم القومي بتاع الأم كده، قالي: يا عم بقولك: ماتت في السعودية، قلتله

معلش، اداني الرقم والاسم، اتحركت على الأمن قابلوني بترحاب جميل، نورت الإدارة يا ريس، سألت مين كان هنا لما الست جاتلي امبارح الساعة ٩ بالليل؟ قالوا: محمود وعصام، طب هاتوا كشف الدخول.

دورت في كشف الدخول على المعادين اللي الست جت فيهم، أي حد بيدخل بيتاخد إثبات شخصيته ويتثبت بياناته، الأحد عصرًا، الاسم والرقم القومي متاخدين من جواز سفرها ومتطابقين تمامًا، الأحد ليلا، الاسم والرقم القومي متاخدين من نفس الجواز متطابقين تمامًا، مشيت مش مركز إطلاقا، ويحاول أقنع نفسي إن حد قريبها هو اللي كان معاه باسبورها ودخل بيه، بس باسبورها ازاي وهي مسافرة وأكيد جواز سفرها معاها، هتجنن!

طلعت على المكتب، طلبت قهوة، أم عاطف الست الجميلة جاية بتضحك، وبتقول: إيه يا دكتور محمد هي الست اللي كانت عندك دي بتحط إيه؟ماية نار! قولتلها: وأنا مش مركز ست مين؟ قالت: اللي جاتلك امبارح ومرضيتش تشرب غير مية، انتبهت فجأة، قولتلها ليه بتقولي كده يا أم عاطف؟ قالتلي: بص، وطلعتلي الكوباية، مكان شفايفها معلم مكان الشرب بشكل أبيض تام كأنه لبن.

وأم عاطف بتكمل وتقول: غسلتها (١٠٠) مرة بكل حاجة مش راضية تطلع أبدًا!! شكلها غريب فعلًا كأنه دهان أبيض، اديتهالها بذهول وأنا بقولها كانت ناقصاكي يا أم عاطف، ضحكت وخرجت، وهي على الباب سمعت صوت حاجة بتتكسر، طلعت بسرعة لقيت أم عاطف بتلم إزاز، وبتقولي: آسفه والله يا دكتور الكوباية اتكسرت، وكملت وهيا بتضحك، كده كده مكانتش نافعة أساسًا، دخلت شربت قهوة، دماغي هتنشت من التفكير.

دخلت الاستراحة، حاولت أنام ساعتين معرفتش، (٣ ساعات) بتقلب على السرير مش عارف أنام من التفكير، ومنظر الست مبيروحش من بالي إطلاقا. الساعة بقيت تمانية وشوية بالليل، لبست ونزلت المشرحة أستنى الجثمان، وقلبي بيدق، لقيت إشارة فعلًا من النيابة إن الجثمان هيوصل الساعة اتنين بالليل، فضلت مستني، قهوة ورا قهوة، شعبان بيرغي وأنا مش فايق ليه، والشيخ سعيد قدام بيقنع واحدة اسمها مدام هدى إنه بيحط على الأكفان مسك الرسول، رغم إن أزايز كولونيا خمس خمسات مالية الأوضة

بتاعته، مكانش ليا نفس أضحك، الساعة اتنين وربع، جه الجثمان، ومع الجثة أخوها، أخوها؟!!!! دخلوا الجثمان، أخوها جه على الشباك، اداني جواز سفره وجواز سفرها، سألته إنت كنت معاها في الحج؟ قال: آه، لكن رجعت قبل عرفة أجيب جثمانها، ملناش نصيب، قولتله: إنتوا ليكوا إخوات تانيين؟ رد قال: أخ واحد ربنا يهديه عنده (١٩ سنة) ومطلع عنينا، قولتله: مكانش معاكوا في الحج؟ قال: لأ، سيبناه هنا، دقات قلبي بتزيد، قولتله: ليكو أي قرايب تانيين؟ قال: إحنا التلاتة مالناش غير بعض مقطوعين من شجرة لا أب، ولا أم، ولا خال، ولا عم، واهو بقينا اتنين، سيبته ودخلت أناظر الجثمان قبل ما أوقع شهادة الوفاة، بقرب من القاعة ودقات قلبي بتزيد بعنف، دخلت، الجثمان ملفوف في أكياس وقماش، ومجمد، فتحت الأكياس، شيلت القماش وبصيت على وشها، ياااا الله، هيا الست اللي جاتلي!!! لابسة إسدال صلاة ونايمة في خشوع، ملامحها هادية رغم إنها مجمدة من ٣ أيام!! حسيت إني دايخ، سندت على الترابيزة، مديت إيدي، فتحت عنيها، بهدوء. دقات قلبي تجاوزت الـ(٢٠٠) من اللي حصل. وفجأة لقيتها ابتسمت ابتسامة عريضة جدًا جدًا حتى بانت كل أسنانها لحظة ما فتحت عنيها، لقيت واحدة فيهم عين زجاجية ومكان عملية قديم، والتانية سليمة، أخدت خطوتين، شديت كرسي، وقعدت، خليت شعبان صورها، دقايق وطلعت لأخوها، قولتله بكلام متقطع عنيها، قالي: آه كان فيه عين فيها كانسر ومتشالة من ٥ سنين ومكانها عين إزاز، حركت راسي ومشيت، مضيت شهادة الوفاة وطلعت.

منمتش طول الليل، وصوتها في ودني، حق ولادي في رقبتك، وهثبت إزاي إن أخوها اللي قتلهم؟ هقولهم إيه؟ جاتلي في المنام، ولا جالي الإلهام؟! الساعة بقت سبعة الصبح، انتطرت فجأة، افتكرت حاجة، عندنا كاميرا واحدة مسلطة على بوابة المبني الرئيسية من الداخل. بتصور بس اللي داخل واللي خارج، مفيش أي كاميرات تانية، عشان مينفعش يكون فيه أي كاميرا داخل المبني، لبست ونزلت بسرعة، سألت مين مسئول عن الكاميرا؟ قالوا: مهندس ياسر، اتصلت جبيته في نص ساعة، فتح تسجيل الكاميرا، شفت معادين دخولها المسجلين في دفتر الدخول يوم الأحد، المعاد الأول البوابة بتتفتح، محدش بيدخل، بعدين البوابة بتتقفل، بعد ربع ساعة البوابة بتتفتح تاني وتتقفل من غير مخلوق ما يظهر، المعاد التاني البوابة بتتفتح، بتدخل (منى) لوحدها، وبعد عشر

دقايق بتخرج (منى) لوحدها، مفيش مخلوق دخل معاها ولا خرج، جبت (منى) سألتها فاكرة الست اللي طلعتيهالي بالليل؟

قالت: آه دي ست غريبة، قولتلها: غريبة ليه؟ قالت: بكلمها مبتردش عليا ولا بتبصلي حتى!! وريتها الفيديو. بلّمت قدامه، قالت: ازاي ده!! واتفتحت في العياط. واضح من الفيديو إن منى بتحاول تكلم فراغ موجود جنبها، هديتها. وهي بتقولي يعني دي كانت شبح؟ هديتها، فهمتها إن تقفل الموضوع ومش عاوز أسمعه تاني، طلعت المكتب، الساعة عشرة اتصلت بإسلام بيه، قالي: كنت لسه هكلمك، تقرير الأدلة الجنائية جه بالليل إن بصمات خال العيال على علبة المجوهرات والفازة واعترف في المباحث إنه هو اللي ولع في البيت، وضرب بنت أخته بالفازة على دماغها، قولتله تمام وقفلت، دخلت الاستراحة، قفلت، وحالة انهيار على السرير، حالة ما بين الإيمان واليقين والثقة في الله والحمد والشكر والفرح والحزن والبكاء والضحك، حالة لا يمكن تفسيرها، بس كانت مريحة جدًا!!!! مريحة بجد.

«وتبقى مشرحة زينهم مكان خارج الإطار الطبيعي للحياة، بأبعاد استثنائية للزمان والمكان والأشخاص، بوقائع لم يشهدها البشر العاديين يوما، ولن يشهدوها أبدًا».

الجثامين الثلاثة عند راسهم بالظبط. المهم خرجت وقولتلهم: تمام ومرضيتش أتكلم إطلاقًا، وطلبت التربي عشان ييجي يطلع الجثمان بره عشان أشرحه.

جه هو والمساعد بتاعه. دخل أصريت أدخل معاه، حاول يشد الكفن عشان يسحب الجثمان للخارج مش راضي يتحرك أبدا وده شيء غريب، حاول كذا مرة مش بيتحرك. وقالي: كلمة مش هنساها. قالي: إيه ده؟ دا كأني بشد في قطر!

نادى على المساعد بتاعه، وقاله: أنا هدخل أرفع الراس، وأنت تشد من عند الرجل.

وبيزحف على ركبته وبيتجه للراس عند الخيال بالظبط، وأنا كل تركيزي هو الخيال، وبمجرد ما وصل عند الخيال، وركبته جت عليه، أنا شفت اللي عمري ما شوفته في حياتي، صرخة من التربي عمري في حياتي ما سمعت صوت بالقوة دي، ولا بالألم ده وبيتجه بسرعة فوق الجثث ناحية الباب ولسه بيصرخ.

المساعد خرج فورًا وأنا انسحبت للخلف عند الباب، وهو جه بيص في وشه شفت ملامح لن أنساها طول عمري، عينه بارزة تماما عن تجويفها قرابة (١٥ سم) بشكل مستحيل تخيله، حمرا كالدم، شعره أبيض مع إنه شاب (٣٠ سنة)، تجاعيد الوجه وحدها ترعبك، وبيصرخ في اللحظة اللي كل اللي بره خايفين يقربوا من الصوت!!

طلعت بره خرج ورايا وحط إيده على وشه، وصوابعه جوه عنيه، وفضل يجري بسرعة مهولة، والعربية ماشية على سرعة (٢٠٠)، وكانت أرض فاضية محاطة بزراعات لحد ما اختفى، محدش بره فاهم حاجة، محدش عمومًا فاهم حاجة غيري أنا.

سألوني في رعب: فيه إيه؟

رديت وأنا مذهول قلت: معرفش.

جابو واحد تاني يطلع الجثمان لأن المساعد خاف يدخل. سحبه من رجله طلع بمنتهى البساطة. بسلاسة تماما، وأجريت عملية التشريح في ذهول وشرود رهيب، كل فترة كنت بتصل بظابط المباحث أسأله على الواد ده. فات على الواقعة (٥ سنين) والحد اليوم الراجل ده مظهرش ومتحررله محضر غياب.

الحكاية الحادية والعشرون

قبل كل شيء، أود أن أخبركم أن تحتفظوا بكتاباتي هذه، أنا سأموت خلال خمس سنوات على الأكثر، كل الحقائق تقول ذلك، وربما تكون حكاياتي وقتها كرسومات (دافنشي) تباع في مزادات (كريستي) بلندن لكل الموجوعين والمحزونين، وبآلاف الدولارات.

طيب القصة دي حصلت في قرية تابعة لطنطا برضه، اسمها محلة مرحوم، وكانت يوم الوقفة بعد المغرب وصابح العيد.

قبل ما أبدأ فيها، أكيد طبعًا كلكوا شفتو فيلم (أدرينالين) وأكيد شدتكوا الحتة بتاعة إن الجثث بتكلم الطبيب الشرعي وبتوجهه لسبب الوفاة. الكلام ده كلام فاضي، أو بمعنى أصح كنت بعتبره كلام فاضي لحد الحالة دي، إخبارية عادية جدًا من رئيس مباحث مركز طنطا: إن فيه جثة بدون رأس وجدت في الماء وتم نقلها لمشرحة مستشفى الجامعة بطنطا. رحت المشرحة مع الفريق بتاعي اللي مكون من اتنين، السواق ومساعد التشريح.

المهم، بدأت (الريكوردينج) بتاعي كالتالي:

«جثة لأنثى في العقد الثالث من العمر: مفصولة الرأس على مستوى الفقرة العنقية الثالثة، والرأس غير موجودة، ترتدي حمالة صدر برتقالية اللون، وبنطال جينز أزرق اللون، وسليب حريمي برتقالي اللون، ولا توجد أي ملابس أخرى، والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات، والجثة في حالة تيبس رمي وبدايات تحلل، وآثار غمر في الماء لفترة تقارب يومين».

بدأنا الشغل.

طعنة في أسفل يسار الصدر واصلة للرئة اليسري محدثة نزيف داخلي، غالبا هي سبب الوفاة. لكن استنى، بفحص الجرح غير المستوي بالرقبة تبين أنه حيوي، يعني بدأت عملية فصل الرأس عن الجسد أثناء حياة البنت. مكانتش لسه ماتت.

الإيدين في حالة اسمها توتر رمي، ودي حالة بتحصل مع الوفاة اللي تحت ضغط عصبي رهيب زي الخنق أو الغرق. ضوافر البنت مقصوصة كويس جدًا وبالتالي صعب نلاقي فيها أي أنسجة بشرية أثناء المقاومة. الإيدين في حالة تخشب، والأصابع محيطة بجرح الرقبة بشكل غريب، وكأنها كانت بتحاول تحمي نفسها وتخشبت بعد الوفاة على الوضع ده. التخشب ده شيء طبيعي وعلامة من العلامات اللي بتحدث بعد الوفاة، وبنقدر نفكه عن طريق الشد القوي للذراع من عند المرفق وتحريكه في أكتر من اتجاه، لكن ده الطبيعي.

غير الطبيعي بقى، إن أنا والمساعد أخدنا مجهود رهيب عشان نبعد إيديها عن رقبتها وكأنها مُصرَّة إن فيه حاجة هنا. وقتها الصراحة ملتفتتش لكده واعتبرته تخشب عادي مع التوتر الرمي فزيادة شوية.

كملت التشريح، البنت غير عذراء، من فترة قصيرة، تقريبا شهور، وبفتح الرحم تبين أن فيه حمل في نهاية الشهر التاني.

أوك، كده حددنا سبب الوفاة، أخدنا عينات للـ(DNA) من البنت والجنين أخدنا عينات تانية عشان تدور عن السموم والمخدرات؛ لو كان تم تخديرها قبل الجريمة لقينا كل ده سلبي.

لحد كده القصة بالنسبة لي كطبيب شرعي منتهية، والباقي شغل مباحث.

روحت عادي جدًا. وكنت وقتها مقيم في فندق اسمه (بانوراما) في طنطا، في شارع النحاس أخدت شاور وقلت: هنام شوية وأقوم انزل البلد عشان العيد.

أنا بطبيعتي مبحلمش، نادر جدًا جدًا لما أحلم بشيء، وبعتبر ده نعمة من ربنا خاصة مع طبيعة شغلي. لكن حلمت بالبنت دي، وده كان في حد ذاته شيء مبهر، ولابسة فستان زفاف لكن بسيط جدًا، وعليه بقع دم كبيرة وجسمها كامل بالرأس وبتشاورلي على رقبتها، قمت مستغرب جدًا. حاجة بالنسبة لي غريبة إني أحلم أساسًا، واشمعنى

الحالة دي؟ وقصدها إيه بمشاورتها على رقبتها؟ هل عاوزة تعرفني إنها اندبحت وهيا عايشة؟ ما أنا عارف! مفهمتش! كملت نوم. حلمت نفس الحلم وقمت، كملت نوم حلمت نفس الحلم، قمت متكدر جدًا كوني بحلم أساسًا، ده شيء مكدرني. نزلت اللوبي شربت قهوتي وقررت أنزل البلد، وفي نفس الوقت صورة البنت مش بتفارقني وده خانقني؛ لأن عمرها ما حصلت، وبعدين بالنسبة لي الجثة اتشرحت وانتهت، وحددت سبب الوفاة، وتاريخها، والموضوع انتهى.

ركبت عربيتي وبدأت أتحرك والموضوع مسيطر على دماغي، وفي نص الطريق قررت أرجع أبص على الجثة دي تاني، كده كده الجثة هتفضل في التلاجة فترة لحد ما نعرف بتاعة مين، قعدت أقنع نفسي إني بعد العيد أروح، لكن إحساسي إني عاوز أتخلص من القصة دي خلاني أرجع المشرحة.

دخلت.

عم مصطفى طلعلي جثة البنت بتاعة النهارده اللي من غير راس.

- خير يا باشا ما نتا شرحتها!

- لا عاوز أبص عليها تاني.

الراجل استغرب وراح طلعها وحطها على ترابيزة التشريح، رايح أبص عليها وأنا دماغي كلها في صورة البنت، وإشارتها لرقبتها، ودي بس اللي أنا جاي أبص عليها، بصيت على الرقبة بتركيز أوي المرة دي، لقيت شيء غريب جدًا!!!!

الجلد عند موضع الذبح مشرشر تمامًا بشكل دقيق أوي، وكأنه مقطوع بسكينة مشرشرة مش سكينة عادية، بدأت أركز مع الجرح وأصوره من كل الاتجاهات. وطلعت برضه مش فاهم حاجة، فكلمت رئيس المباحث.

- سامي بيه إزيك؟

- حبيبي يا دكتور كل سنة وأنت طيب.

- البنت بتاعة النهارده ظروفها إيه؟

- والله عندنا من يومين محضر تغيب لبنت، بتنطبق عليها نفس المواصفات. وبعتنا نجيب أمها عشان تحاول تتعرف عليها من لبسها.

- طيب عرفني ضروري وصلت لإيه.

- استنى خليك معايا، تمام يا باشا هي البنت بتاعة محضر التغيب. كده عرفنا هي مين وهنبدأ نشتغل بقا.

- هتبدأ امتى؟

- بكرة الضهر.

- طيب أنا جاي.

- تنورني؛ بس اشمعنى الجثة دي يعني؟

- لا عادي بفكر في كام حاجة بس.

- تمام في انتظارك.

تاني يوم نمت شوية بعد صلاة العيد. محلمتش.

كنت قايم مبسوط جدّاص موضوع إني أحلم أساسًا موترني جدًا.

قمت بعد الضهر، رحت قسم الشرطة، قابلت رئيس المباحث.

- احكي يا شهرزاد.

قالي دي بنت مخطوبة والمفروض هتتجوز بعد (٧ شهور) نزلت من البيت العصر من (٣ أيام) قالتلهم: هشتري حاجة، والأم قالت: إنها كانت لابسة كل دهبها، وبما إنك بتقول: إنها حامل فإحنا شاكين في أبوها، أو واحد من إخواتها الاتنين يكون قتلها بداعي الشرف.

طيب، سألته وأنا محدد أنا عاوز إيه بالظبط، عاوز أعرف إخواتها وأبوها بيشتغلو إيه.

كلهم بيشتغلوا في مصنع مواد غذائية صغير بتاع حد قريبهم، اممم.

وخطيبها بيشتغل إيه، قالي: خطيبها مستبعد جدًا لأنه منهار من ساعة ما عرف تمامًا وكمان مكانش موجود وقت اختفاءها، ده شغال في القاهرة.

- تمام. بس هو شغال إيه؟

- نجار مسلح.

حبيبي، ابعت بقى هاته عشان هو القاتل، قالي: ازااااي؟ قولتله: هتشوف دلوقت.

بعت جاب الولد من تحت، كانو محجوزين كلهم، دخل في حالة انهيار مش قادر يقف، قولتله: اقعد، وطلبتله لمون يهدي أعصابه

منظر الولد فعلا كان بدأ يخدعني، قولتله: أنت شغال إيه؟

قالي: نجار مسلح، وهو بيتشحتف.

قولتله: كويس، وإيه الأدوات اللي بتشتغل بيها؟

قالي: أسماء أدوات كتير جدًا وأنا مستني يقولي: المنشار، مبيقولش.

أساله وإيه كمان؟ قالي أي حاجة تانية، وميقولش المنشار.

قولتله: والمنشار؟!!

ارتبك، وقالي: آه والمنشار.

قولتله: ودي حاجة تتنسي، حلو جدًا، المنشار بتاعك فين بقى؟

قالي: أنا سيبته في الشغل في القاهرة.

فرد سامي بيه قاله: أنت مش جاي ياد ومعاك شنطة الشغل بتاعتك على كتفك؟ بدأ يعرق، وبيقول: آه بس المنشار سيبته هناك، قاله: طيب إحنا هنطلع على هناك دلوقتي يا روح أمك نجيب المنشار من هناك.

- فين اللمون يا سامي بيه؟

جه اللمون حاطه قدامه، وأنا فتحت صورة رقبة البنت على الموبايل، ورويت الولد، وقولتله بصوت واطي: أنا عاوزك تفهمني أنت ازاي قدرت تنشر فقرة يا مفتري!! الواد انهار تماما، قلم كده على قفاه من معاون المباحث، قال: يا باشا أنا هقول كل حاجة. قاله: طب اهدى بس واشرب اللمون وإحنا معاك متخافش. وبدأ الكلب يحكي: خطيبته كانت حامل منه، ولما اكتشفت الحمل طالبته بإنه يتجوزها بسرعة وميقلعش لسنتين كل ده، بطنها هتكبر وأهلها هيموتوها.

يوم اتصل بيها، قالها: أنا جاي بس متقوليش لمخلوق إن أنا جاي عشان همشي على طول؛ ولو أهلي عرفوا إني جيت ومشيت من غير ما أروحلهم هيزعلوا، وهاتي الشبكة بتاعتك معاكي؛ عشان أنا معايا شبكة واحد صاحبي كان خاطب وفركش، وشبكته جميلة أوي، وأكتر من بتاعتك فلو عجبتك خديها واديله بتاعتك. المهم نتقابل في الأرض اللي بنتقابل فيها، أرض زراعية مقطوعة كده. البنت راحت قابلته، مارس معاها الجنس الأول، وبعدين والبنت بتلبس ملابسها طلع مطواة وطعنها في صدرها. البنت وقعت وفضلت تستعطفه يسيبها. فضل بكل برود واقف وهي بتنزف وولع سيجارة ومستنيها تموت، لحد ما البنت أغمى عليها، فكرها ماتت. طلع المنشار من شنطته وبدأ يفصل راسها عن جسمها، فضلت تتحرك وحاولت تقاوم لكنه كمل الدبح لحد ما سكنت وفصل الراس وحطها في كيس بلاستيك، وقفله وبعدين حطها في شوال، وحط معاها المنشار وباقي لبسها، ورماهم في مجرى مائي اسمه (الملاحات) ورجع بالليل شال الجثة في شوال ورماها في الملاحات. الجثة ظهرت لكن الراس مظهرتش. قالوله: وأنت عارف المكان اللي رميت فيه الراس؟ قال: آه. طب قوم يا ابن *** (وشوية شتايم كده مصحوبة بأصوات غريبة وألفاظ أكثر غرابة).

اتحركنا للملاحات، شاور على المكان، نزل ناس، طلعو الشوال، وكان فيه نفس اللي قاله، والراس موجودة في كيس بلاستيك مقفول. نقلنا الراس واللبس للمشرحة والمنشار للنيابة، فحصت اللبس عباية سوداء وبودي وحذاء. وبعدين فتحت الكيس بتاع الراس، وطلعتها. كل ده عادي وبنقابله كل يوم.

اللي مش عادي إن وش البنت يطلع نفس البنت اللي شفتها في الحلم، وبنفس الابتسامة.

الحكاية الثانية والعشرون

أما أنت أيها الموت،

لي إثنى عشرة عامًا لم أفعل شيئًا مهمًا سوى البحث عنك بين الجثث والمشارح، في النهارات والليالي، في الضوء وفي العتمة. وحتى اليوم لا جديد يذكر فيشكر، أين أنت أيها الغادر؟!!!

فكرت أن أنسحب من بين الجثث قليلًا، كي تطمئن لي، لأتمكن من رؤيتي بوضوح أكثر، فقد تعبت من اللاجدوى ولم يبق لي ما أقوله لحياة قلقة. لا أنا أبه لها كثيرًا ولا هي تذكرني إلا بمزيد من المآسي. تعالى، تقدم، أنا حقا توأمك لمشيمة واحدة، توأم ملتصق لا تستطيع كل كتائب الجراحيين في العالم فصله دون فاجعة الرحيل، فاقترب، لقد نفذ صبري في انتظار كبرياء النفس الأخير.

أمّا أنتِ، دعيني أقول لك: أولا وأنتِ غائبة عني منذ سنوات، أحبك بحجم السماء، أحبك يا حبيبتي. دمتِ للفرح والسعادة، اعذريني على موتك. أنا السبب، دائما أنا هكذا، الحياة معي متأخرة دائمًا عندما يتعلق الأمر بالمواعيد الحاسمة.

***

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: يناير ٢٠١٦.

التوقيت: الثانية عشرة ليلًا.

"إشارة بوجود بقايا جثة آدمية عُثِرَ عليها بشقة مهجورة، بأحد تجمعات المقطم السكنية ذات الكثافة السكانية المنخفضة، وقد قالت التحريات الأولية: إن الشقة مغلقة منذ شهور، وقد اشتكى الجيران مرارًا من وجود أصوات صراخ وشجار بالشقة ليلًا باستمرار، ومع تعدد الشكاوى تم استصدار إذن من النيابة العامة وفتح الشقة، فتبين وجود فوضى عارمة بالمكان وتكسير بالأثاث، ووجود بقايا محترقة يشتبه أنها لجثة آدمية".

- شعباااان، شعبولاااا، يا شعبولاا.

- (داخل وماسك في إيده كتاب صغير مفتوح)، نعم يا سيدتـ.، قصدي يا سيدي.

- سيدي! كتاب إيه اللي معاك ده يا شعبان؟

- ده روائع الشاعر (نزار قباني) يا معالي الريس.

- (نزار قباني)!! وأنت مالك ومال الكلام ده يا شعبان؟

- أهه يا ريس بنتسلي أنا والشيخ سعيد بحفظه كلمتين ينفعوه، طب والله لاسمعك حاجة يا ريس، اسمع يا كبير. بيقولك: "إذا ما صرخت أحبك جدًا، فلا تُسكتيني".

- اممم.

- "إذا ما ضربت شبابيك تهديك كالبرق كل مساء فلا تطفئيني".

- أحيه.

- "إذا ما نزفت كديكٍ جريحٍ على ساعديك فلا تسعفيني".

- ديك أمك يا أخي.

- اسمع دي بقا يا معالي الريس، "إذا ما تصرفت كغلام شقيٍ وغطست حلمة نهدك بالخمر فلا تضربيني"

- اطلع بره يلاااا.

- ياريس اسسس.

- (مقاوما الضحك بعنف) اططططلع.

- طب اصبلنا كاسين طاه.

- انفجار ضحك.

اسمع، سيب الكتاب ده هنا، سيييييب، وانزل يلا فيه جثة جاية من المقطم بيقولوا أشلاء، جهزها أما نشوف إيه قصتها، قال: دول اتنين يا معالي الريس، قولتله: بابتي المذكرة بتقول: أشلاء في شقة، قال: لقيو أشلاء تانية في الشقة اللي قصادها على طول، هما بعد ما فتحوا الشقة الأولى، ادولها رقم قضية وبحتوها، وبعدين فتحوا التانية لقيوا أشلاء برضه ادوها رقم ولسه جاية كنت هجيبهالك معايا.

امممم، ياما جاب الغراب لأمه يا أخويا، طب جهزهم يلا وأنا جاي وراك أهه، بيسحب ايده ياخد الكتاب، سيييب الكتاااب.

طلع أرفان مقابل الشيخ سعيد جاي جايب قهوة بيقوله: أهه خد الكتاب يا بومة، دنا يا دوب لسه بقوله قصيدة لا تضربيني دي خده، أمال لو كنت قولتله قصيدة ثورة نهد كان خدني أنا بقا ورا مصنع الكراسي، وبيعلي صوته كالعادة يسمعني ويقول: ربنا على الظالم يا ريســــــس، طلعت بسرعة قولتله: بتقول إيه يا شعبان؟ قالي: لا يا ريس ده الشيخ سعيد بيسألني عامل إيه؟ بقوله أنا تمام. كويســـــس.

شربت القهوة، لبست، ونزلت، الجثتين كل واحدة في كيس، جثث ومحطوطة على ترابيزة، فتحنا أول كيس، وبدأنا، وده أي يا شعبان؟ قال: مكانش في الكتاب يا معالي الريس، بصيتله بزغرة كده.

(ريكوردينج)

«أشلاء بشرية محترقة واصلة لدرجة التفحم، عبارة عن عظام الحوض والجزء العلوي من عظام الفخذين، محاطة بعضلات متفحمة ولا يمكن الجزم بهويتها، عما إذا كانت لذكر، أم أنثى، ولكن يشير شكل عظام الحوض أنها لذكر بالغ كبير السن، وعظام الفخذ محطمة، ومقطوعة على مستوى أسفل رأس عظمة الفخذ بحوالي (٢٥ سم) على الناحيتين بينما عظام الحوض سليمة، حيث تم أخذ عينة عظمية لإجراء أبحاث الـ(DNA) للتأكد من الجنس وتمهيدًا لإجراء أبحاث المقارنة»

إيه ده إن شاء الله؟ فين بقية الراجل ده يا شعبان؟ والله يا معالي الريس ما أخدت حاجة، دنا لسه واكل حتى، طب هات التانية، بقيته

(ريكوردينج)

«أشلاء بشرية محترقة واصلة لدرجة التفحم، عبارة عن عظام القفص الصدري والترقوة محاطة بعضلات محترقة ومتفحمة، ولا يمكن الجزم بهويتها عما إذا كانت لذكر، أم أنثى، ولكن يشير شكل عظام القفص الصدري أنها لأنثى بالغة كبيرة السن، والأشلاء مقطوعة أسفل مستوي الضلع الأخير، وجميع العظام سليمة وخالية من الكسور، حيث تم أخذ عينة عظمية لإجراء أبحاث الـ(DNA) للتأكد من الجنس وتمهيدًا لإجراء أبحاث المقارنة»

فين بقية الست يا شعبان؟ بص على الأشلاء التانية وقالي: مش عارف ليه حاسس إن ده هو اللي ورا المصايب دهي كلها، قولتله: يعني إيه؟ يعني إحنا خلصنا كده؟ فين التشريح؟ فين المتعة؟ فين الساسبينس؟ قال: وفين كتاب نزار يا ريس؟ سيبته ومشيت وهو بيحط الأشلاء في الكيس بالراحة وبيقولها: براااااحة، فلا تكسريني.

طلعت فوق، لأاا، أنا مش مرتاح، ميحبش الغموض أنا، لازم أفهم.

- الووو، أحمد بيه، مساء الفل. نمت ولا إيه؟

- هو إحنا بننام يا دكتور؟ مساء العنب.

- إيه بقا يا ريس قصة الأشلاء دي؟

- والله يا دكتور ما فاهم حاجة، إحنا بقالنا فترة كام شهر بيجيلنا بلاغات إن فيه أصوات خبط، ورزع وصويت في الشقتين دول طول الليل، والشقتين مقفولين ودي ملكية خاصة أنت فاهم، لما الموضوع زاد أخدنا إذن نيابة ورحنا فتحنا القينا دول، ومش فاهم حاجة، هما جثة واحدة؟

- لأ هو لسه الـ(DNA) هيقول بس بالخبرة كده دول راجل وست. مش جثة واحدة

- يااااادي الوش، دنا قلت هيطلعوا جثة واحدة، وحد قتله وقطعه وولع فيه ورماه كده، خاصة إن الشقتين الأثاث كله متكسر، يعني كان فيه خناقة.

- والتحريات بتقول إيه يا ريس؟

- الشقتين دول كانوا من سنتين مركز علاج إدمان، وبعدين اتشمع من سنة لأنه كان مخالف، بعدين فيه راجل وست جم شالوا الشمع وقالوا: إنهم اشتروا الشقتين، وكان فيه ناس كتير بتيجي تزورهم، وبعدين الراجل والست دول اختفوا من كام شهر والشقق مقفولة من يومها.

- طب بقولك إيه، أنا عاوز أشوف الشقق جدعنة كده.

- أوامر يا ريس، بس أنا بنام على نفسي، يا تخليك للصبح يا هبعت معاك بهاء، لو عاوز دلوقت.

- لا ابعت بهاء، أنا جاي، نص ساعة وهكون عند القسم، سلام.

- ماشي، سلام.

شعبااااان، شعباااان، أووووف، يااا زفت

جاي بيعتذر وبيقول: كنت في الحمام فلا تضربيني.

قولتله: أنا رايح مشوار مهم وجاي بعد ساعة، قال: تمام يا ريس لا أزعجك ولا تزعجيني.

ركبت عربيتي ومشيت، قابلت الأمين بهاء عند بوابة القسم، اتحركنا على الشقتين، منطقة مقطوعة، فيها (٤ عمارات) جنب بعض، واضح إن الشقق الساكنة تقريبا لا تتجاوز (١٥ شقة) من بين (٨٠ شقة) في الأربع عمارات، الشارع ساكت تماما، مفيش أدنى حركة أيا كانت، عسكري وغفير واقفين قدام باب العمارة ومولعين نار عشان يتدفو، طلعنا، العسكري بيقول لبهاء يا عم أنا دمي نشف، ومرعوب، كل شوية نسمع صرخة جاية من جوه شعر راسي بيقف، ارحمني يا عم بهاء ومشيني من هنا، بهاء فضل يزعقله ويقوله استرجل ياد، أنا طبعا بسمع حاجة زي دي ببقى في قمة السعادة والانبساط، طلعنا الدور الخامس اللي فيه الشقتين، وهو آخر دور مسكون في العمارة، مفيش نور على السلم، والأسانسير كان عطلان، منور كشاف الموبايل والدنيا ضلمة كحل، وفوق (٥ أدوار) فاضيين، بهاء بدأ يقدم رجل ويأخر رجل، فحبيت أنكشه وإحنا على آخر درج سلم، قولتله: بس أنت عجبتني يا بهاء لما زعقت للواد وقولتله: استرجل، عجبتني بجد،

دة يتردد وقالي: أاه ما هو لازم. وبدأت خطواته تبقى أتقل، وأنا مستنيه يعترف ويقول: أنا خايف، وأنا طالع خبطت قصب عني في خشبة على الأرض عملت صوت جامد وسط السكون ده: لقيت بيها، حاضن فيا. ضحكت جامد، قالي: بقولك إيه يا دكتور، امسك كده المفاتيح دي يا دوب جبت الكشاف على المفاتيح ومسكتها من إيده، ملقيتش بيها، كملت، واضح إن مفيش أصوات صرخات ولا شيء، وصلت لأول باب.

جربت في المفاتيح لحد ما فتحته، بمجرد ما الباب اتفتح سمعت صوت صرخة قوية جدًا كأن حد بيتعذب طالعة من آخر الشقة، وقبضة قلب لا أخطئها، بتعرفني إن ثمة شيء ما ورائي سين هنا. قرأت آية الكرسي ودخلت، الصراخ بقا أعلى، كل نص دقيقة صرخة ومن أماكن مختلفة في الشقة، حاولت أشغل النور، واضح إن الكهرباء مفصولة عن الشقة. الجو كده ازداد شاعرية، كنت مبسوط لكن ندمان إني مجبتش شعبان معايا الحفلة دي، بدأت ألف في الشقة معتمد على كشاف الموبايل، الأثاث كله محطم، بس من رأيي دي مش آثار معركة، ده حد تعمد يحطمه بالشكل ده، لأن فيه أجزاء منشورة بالكامل نشر حاد، كمان الكتب مشقوق ومطلع القطن اللي جوه، وكمان المراتب، مش معركة خالص دي، الصراخ شغال وبمعدل أعلى، وبقو صوتين مختلفين مش صوت، وواضح إنهم جايين من المطبخ والحمام، بدأت أتحرك ناحيتهم وأنا بردد (ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم) الصراخ بيزيد كل ما أقرب، لكن مش دي المشكلة الأكبر، المشكلة في رائحة لا تخطئها أنف طبيب شرعي أبدا، أبدا، جثة متعفنة، بدأت أتحرك جوه الحمام، اضطربت أوقف الآيات، ومبقاش شاغلني الصراخ اللي حسيته جاي من قاعدة الحمام نفسها، إنما شاغلني ريحة التعفن اللي زادت جدًا جدًا أول ما قربت، وكل ما أقرب بتزيد أكتر، بدأت ألف بالكشاف في المكان يكون فيه فار ميت أو شيء، مفيش حاجة. والبانيو واضح إن هو اللي تم فيه حرق الأشلاء اللي جاتلنا، آثار الحريق واضحة فيه. والرائحة البشعة جاية من القعدة، بصيت جواها، مفيش مية، لكن الرائحة مقيتة، وحسيتها متحركة من مكانها، والصراخ بيضعف شوية ويقوى شوية، لكن الغريب لما أقرب من مصدره يقف ويشتغل من مكان تاني، يعني أول ما قربت من قاعدة الحمام، مبقاش فيه صوت في الحمام والصوت أصبح جاي من المطبخ، حسيت قاعدة الحمام مخلوعة أساسًا مش ثابتة، بزقها برجلي اتحركت، وإذا برائحة لا يمكن لبشر تحملها على الإطلاق، أسوأ رائحة لا يمكن أساسًا إنك تكون اتعرضتلها في يوم، زقيتها برجلي أكتر

وصراخ المطبخ بيزيد. ولقيت الماسورة الكبيرة فيها شيء غريب جدًا.. شيء محدش ما حد يتخيله. أجزاء من رجل بني آدم، منقوعة في المية جوة الماسورة، أو بمعنى أدق، هيا سدت الماسورة فقفلت المية محجوزة فيها، ومخلوطة بالفضلات. ورائحة لا يمكن وصفها. الفضول هيموتني. نفسي أشوف إيه ده؟ طلعت البلكونة، ناديت على بهاء، فتحت العربية بالريموت، وقولتله: في جوانتيات في شنطة العربية حد يطلعلي واحد. أنا بتكلم وصوت الصريخ شغال ورايا. وكمان تخبيط. بهاء طلع جوانتي من العربية وفي لهجة حازمة قال للعسكري، يلا طلع ده للدكتور بسرعة. العسكري مرضيش، بهاء فضل يهدده بإنه هيديله جزاء تلت أيام، والواد يقوله: إشالله (٣ سنين) حتى اطلع ألت. ربع ساعة مناقشات وصلوا لحل، إن الغفير يطلع لحد الدور التالت بس، وأنا القابله وياخد (١٠٠ جنيه) من بهاء. قابلته وأخدت الجوانتي، لبسته ورحت، وشديت، لقيت المنظر اللي هتشوفوه تحت ده. أجزاء من رجل بني آدم، تلت أجزاء، ورا بعض محشورين جوه الماسورة، مهترئين بفعل المية. طلعتهم، كده مش صلاحياتي، اتصلت بأحمد بيه، قولتله: لازم تجيلي حالا. قالي: بقولك إيه أنا لا كنت هنام ولا روحت ولا هدخل الشقق دي من الأخر كده. بعد الحاج قالي: أما النور يطلع. الساعة كانت بقيت أربعة الفجر. فضلت مستني في البلكونة. شعبان اتصل، قال: إن فيه (٣ جثث وصلوا من العياط. قولتله: أنا لسه قدامي شوية، وهجيب الخير معايا. قالي: ماشي بس إذا جيت لقيتني نمت لا توقظيني. الساعة بقيت ستة، جه أحمد بيه ومعاه عضو نيابة صديق ليه، بدأنا وطلعت القطع، تلاتة كبار وحتت صغيرة، حتت الرجل طالعة بحتت البنطلون بتاعها، والصراخ شغال في المطبخ، والراجل بتاع النيابة قلبه جامد للأمانة. فضل واقف بس من غير ما يبص، و(٥٠ منديل) على مناخيره، وأحمد بيه على باب الشقة، والصريخ شغال في المطبخ، طلعت كل اللي قدرت عليه، رحت المطبخ، عارف أنا رايح فين، تحت الحوض شفت الماسورة. نفس الوضع، ايدين وقطع تانية، بسرعة رحنا على الشقة التانية اللي كان صراخها بدأ يهدى كتير، مع طلوع النور، كنت عارف رايحين فين، الحمام، والبانيو كمان واضح إن هو اللي تم فيه الحريق، وبنفس الطريقة، زقيت القاعدة، طلعت بقايا الست. رجلين وقطع. ومن ماسورة المطبخ طلعت الباقي، النيابة استدعت الأدلة الجنائية، بدأوا يدوروا كويس جدًا، لقيو آثار دم على كرسي، أخدوا منها عينات، وتم نقل البقايا للمشرحة، داخل على شعبولا والأشلاء في عربية إسعاف ورايا، كل دقيقة تقف وينزل السواق والمسعف يرجعوا من الرائحة، ويكملوا تاني، دخلت قدام باب

المشرحة، الإسعاف جاية ورايا والريحة قلبت المنطقة كلها، شغلت السارينة، شعبان طلع وقف قدام الباب، وأنا ببصله وببتسم وهو بيكلم الشيخ سعيد، بيقوله: أنا قولتله لا توقظيني فقرر يطلع ميتيني، أخدنا القطع، ركبناها زي الـ(puzzle) على أد ما قدرنا، وشعبان قاعد ينقل القطع اللي ليها رائحة محصلتش عندنا قبل كده وبيقولها: أرجوكي لا تقرفيني، إنما الرأس بتاعة الجثتين فين؟ مش عارفين، خلصنا وحطينا كل جثة في كيس، ودخلوا التلاجة الكبيرة، كانوا هاديين ومؤدبين طول النهار، ومع بداية الليل قلبوها مدعكة، دار الأوبرا، بس على فترات طويلة، تقريبا كل ما يفتكروا اللي حصل، فضولي قاتلني، عاوز أعرف، نتيجة الـ(DNA). أثبتت فعلا إن ده راجل ودي ست، لكن مفيش حد من أهل نقارن معاه عشان نعرف مين دول، الأدلة قدرت تطلع عينة (DNA) من الدم الناشف على الكرسي بكفاءة للأمانة، كان مقرر إن القضية دي تفضل غامضة للأبد، جثتين مجهولين بدون رأس، مفيش أي أوراق، أو أي موبايلات، أو أي حاجة تثبت أي شخصية في الشقتين، عملنا مقارنة للـ(DNA). طلعت عينة الدم الناشف، لشخص تالت تمامًا، لا هو الراجل ولا الست، لحسن الحظ الرهيب، العينة كانت متسجلة في الأدلة لشخص من بلبيس كان متهم قبل كده في جريمة قتل فاتعمله (DNA) قبل كده، لكن طلع منها براءة، لكن كان قدر رباني تام إنه يتهم في قضية سابقة عشان تتحفظ نتيجة الـ(DNA) بتاعته على الجهاز، وتكشفه لما لقيوها نفس الدم الناشف، طبعا في ساعات الشرطة جابته، وقعد يحكي:

الراجل والست كانوا بيعملوا بالسحر والدجل والأعمال، والبيه كان بيتعامل معاهم، وكان بيروحلهم لما يحب يأذي حد، البيه قرر يتجوز، أقرب صاحب ليه حب يديله تذكار الصداقة، فراح للراجل والست وخلاهم يعملوله سحر بالربط، البيه في ليلة الدخلة طلع ميبعرفش، صاحب تالت ليهم راح قاله: إن صاحبه التاني هو اللي عمل فيه كده عند نفس الراجل والست، فقرر ينتقم منهم، عشان إزاي يعملوا سحر للزبون بتاعهم، دي مش أصول دجل ولا أصول كُفر دي، راح البيت غافلهم وقتلهم بطعنات سكين في الرقبة، خد جثة الراجل الأول قطعها بساطور، حط اللي حطه في الماسورة، منطقة الحوض مرضيتش تدخل ومعرفش يقطعها، حرقها في البانيو، بعدين نقل جثة الست الشقة التانية، وعمل نفس الطريقة، لكن قدر يقطع الحوض ويدخله. الصدر كان تعب، فحرقه برضه، بدأ يدور على الأسحار. هو عارف إنهم بيحطوها عندهم، دور في كل مكان داخل

البيت حتى الكتب فتحه والمراتب، كان كل سحر محطوط في كيس عليه اسم صاحبه، لقي أكياس بالآلاف لكن ملقيش أبدا أبدا الكيس بتاعه اللي عليه اسمه، أخد كل الأسحار وكل الورق اللي في الشقة حرقهم في البانيو، وأخد الراسين في شنطة رماهم في منطقة جبلية غير معروفة، السحر بتاعه بالذات مقدرش يوصل ليه، وفضل مبيعرفش لحد يوم ما اتقبض عليه، يعني إعدام ومبيعرفش، الاتنين مع بعض.

الجثتين فضلوا مجهولين فترة طويلة، قرابة ٨ شهور محدش عارف مين دول، وورقهم اتحرق، والواد اعترف اعتراف كامل بالقتل مش محتاج يكذب في أي تفصيلة صغيرة، بعد (٨ شهور) كاملين الراسين اتلقوا، في كيس مشمع أسود مش شنطة، ولقيوهم في مصرف صحي، مصرف مياه مجاري، وفين، في أسوان، رغم إن الولد عمره ما سافر في حياته أسوان ولا جاب حتى أول خط الصعيد، اتأكدنا إن الراسين بتوع الجثتين، لكن للأسف فضلوا مجهولين حتى اليوم، بكل الغموض مين دول؟ وازاي وصلوا مصرف صحي من منطقة جبلية، وف أسوان؟

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

[الأنعام: ١٢٨]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩)﴾

[النساء]

أما بخصوص حسن الخاتمة لمحبيها، فهاكم صورة ليد جثة مستخرجة من القبر بعد دفنها بخمس أيام ترفع إصبعها بعلامة التوحيد.لاااااا إله إلا الله.

لمثل هذا اليوم فأعدوا، والله لا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، أصلحوا قلوبكم من الداخل، طهروها، انزعوا منها الغل والحقد نزعا، والله إنهما آفة القلوب،

للجنة رأي آخر

يحولان بينك وبين أن تأتي الله بقلب سليم، قد تكون عاصيا، أو مذنبا، أو مقصرا، لكن ربما وحده قلبك السليم الخاشع لله والموحد له، ينجيك

أخيرا، كل هذا الذي شاهدته من مواقف قد ترعب البعض، وأخرى تدهشهم، لم يكن نتاج قوة إيمان وصبر وخشوع مني، لا والله، إني أعصاكم لله، وأكثركم هنا ذنبا بأوزار كالجبال، ولكن قذف الله في القلب بعض محبة له ويقين فيه، فحماني منهم ونجاني.

وصيحان من خرّ لهيبة ملكهِ * جن البرابر وانجلت احزانيه**

فكانني بالرمح أضرب قائلا * الارضْ ارضي والزمان زمانيه**

[ناصر الفراعنة]

الحكاية الثالثة والعشرون

ورحلت سيدتي كما يرحل كل الموتى.

في حضرتها كان الأمان يبدو جميلًا، أسطوريًا، وكنت لجماليته أريد أن أحتفظ بتفاصيله متقدة في ذاكرتي.

كان رحيلها يشبهني، يشبه قصاص حياتي، قليل الاستعمال جدًا ومهيأ دائمًا لزوّار لن يأتوا، كقلبي، قلبي الذي يذكرني بابه كلما أفتحه أن الرفاق من حولي انفضّوا، قلبي الذي به رائحة وجع توقظ زمن الموتى، وتُفسد عليك زمانك.

حتمًا ثمة من ينال منك دون أن يقصد ايذاءك، إنما باستحواذه عليك حد الإيذاء، دائمًا هو أقرب الناس اليك، من يمتلك سعادتك يملك كامل الحقوق في أن يجعلك تعبًا، بحكم أنه شريك حياتك، والراعي الرسمي لك، ولن أغضب أبدًا من شخص لم يؤذني، لم يخنّي، ولكنه اغتالني ببطء، ببطء.

***

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: نوفمبر ٢٠١٤.

التوقيت: العاشرة ليلًا.

قاعد في المكتب بخلص شوية حاجات وناوي أسهر ومزاجي رايق، شعبان جي وماسك ورقة في إيده ودار بيني وبينه الحوار التالي:

- ياريس فيه إشارة جت.

= طب سيبك من الإشارة، واقعد يا شعبان أنا عاوز اسألك في حاجة، إيه رأيك يا شعبان في الستات؟

- بص ياريس الستات دول عاملين زي الموبايلات، في منهم زي الايفون كدة بمجرد لمسة بس منك تعملك اللي إنت عاوزه، وفي ستات زي مراتي كدة عاملة زي التلاتة تلتمية وعشرة كدة لازم تخبطها في أي حيطة عشان تشتغل، بس ياويلك يا معالي الريس لو طلع حظك في ست بقا (antenna) هتطلع ميتين حضرة معاليك والله يا معالي الريس.

فاصل من الضحك وبعدين كملت كلام.

- قولي بقا إيه الإشارة اللي جت؟

- قال: دا طلب للانتقال لمستشفى خاص ياريس لتشريح حالة وفاة لمريض إيدز منتحر.

- طيب قولهم: إن إحنا مبنشرحش حالات الايدز بنكتفي بمناظرة الجثة بس.

- قلت: والله ياريس هو أنا مستجد، هو أنا سعاد قاعدة تحت، ردوا وقالوا: ماشي بس تناظروها.

- طيب شوفلي يا شعبان ياسر وخليه يجهز العربية، وتيجي إنت معايا متجيبش حد تاني.

- آجي فين يا ريس؟ بقولك حالة إيدز، تصحبك السلامة.

- بغضب زعقت، شعبان قلت إنت اللي هتيجي مش أي حد تاني.

- حسبي الله ونعم الوكيل في كل ظالم والله، لو حصلي حاجة لأعور نفسي وآجي الغوص المشرحة كلها دم، هنزل ياريس أجهز، وأجهِّز ياسر.

ادالي الإشارة وكان نصها كالتالي:

السيد/ مدير عام مشرحة زينهم.

«نفيد سيادتكم علمًا برغبتنا في انتقال أحد الأطباء الشرعيين إلى مشرحة مستشفى (.) في مصر الجديدة لمناظرة جثمان المتوفى إلى رحمة مولاه (.) وقد أفادت التحريات الأولية إلى أنه كان يعاني من حالة نفسية سيئة، دفعته جراء ذلك إلى الانتحار بواسطة قطع

شرايين يديه ولكن تم إنقاذه، وادعى حينها أن انتحاره له علاقة بالجن، ولكن هذه المرة انتحر بالقاء نفسه من فوق سطح أحد العمارات، وتم نقله ميتًا إلى المستشفى وتم إلااعه مشرحة المستشفى، الرجاء من سيادتكم تحديد سبب، وتاريخ، وكيفية حدوث الوفاة، وعما إذا كانت الوفاة تطابق هذه الواقعة من عدمه».

استعنا على الشقا بالله، لبست الجاكت ونزلت، ياسر جاهز وشعبان قالب وشه فتوجهنا إلى إحدى المستشفيات الخاصة في مصر الجديدة. واضح إن الأهل موجودين بالخارج في حالة حزن عميق فسألتهم كالعادة: هو إيه اللي حصل؟ أخته تبرعت بالحديث وقالت: إنه كان مسافر للعمل في إحدى دول الجنوب الإفريقي، وهناك تمت إصابته بمرض الإيدز بسبب علاقة مع فتاة، فرجع ومن يومها وهو بيقول حاجات غريبة وأشياء غريبة وتصرفات أغرب، سألتها تصرفات زي إيه؟ قالت: إنه بيقول: إن معاه جنية عاشقة وكان بيعمل حاجات غريبة، كان بيقدر يولع ورق عن بعد، كان بيقف بعيد ويبص لورقة لحد ما تولع وبيقول إن الجنية دي هي بتاعة البنت اللي كان على علاقة معاها في الدولة الإفريقية؛ لإنها ساحرة وإن نفسه يتخلص منها، بس هي قالتله: إنها مش هتسيبه غير بالموت، فكان لما بينطق بس إنه عاوز يتخلص منها كان بيقعد يتلوى من الألم على الأرض. أخدناه لكذا طبيب نفسي وكل أنواع العلاجات فشلت، والناس كانت بتهرب منه لما عرفت اللي كان عنده؛ لحد ما صحينا على خبط الجيران إنه رمي نفسه من فوق العمارة.

دخلت المشرحة، الولد نايم في هدوء وشكله شاب ملامحه معقوله ومفيش أي حاجة غريبة، لفيت حوالين الجثة كالعادة ومفيش أي حاجة والأمر طبيعي تمامًا.

(بدأت الريكوردينج)

«جثة لشاب في العقد الثالث من العمر، متوسط القامة والبنية، يرتدي بنطال ترينج أسود اللون، وتيشرت أزرق اللون، وملابس داخلية رمادية اللون، والملابس جميعها عليها آثار أتربة وقطوع تتماشي مع تلك المشاهدة من جراء السقوط من علو، والرسوب الدموي بلون بنفسجي داكن بخلفية الجثة؛ عدا مواضع الاتكاء والتعفن الرمي، لم يتضح ظاهريًا بعد، والجثة في حالة تيبس رمي متداخل مع عوامل الحفظ بالثلاجة، وقد تبينًا به الإصابات التالية.

وقفت الركوردينج وبدأت ألبس جوانتي وشعبان واقف عند الباب فبقوله: إنت مكسوف تدخل يا بيه ولا إيه. قالي: لأ، عشان النَفَس بس ياريس وأسيبك تاخد راحتك، بصيتله البصة اللي بيخاف منها فلبس جوانتي فورًا وجه، بدأت أقلب في الجثة بحرص مش عاوز ألمس أي حاجة، وواضح إن الإصابات كلها إصابات رضية وكسور تتماشى تمامًا مع واقعة السقوط من علو، ولكن في مشكلة كبيرة جدًا إن الإصابات دي ليست حيوية!! الإصابات دي حدثت بعد الوفاة ومن المعروف إن البعض حين يسقطون من ارتفاعات شاهقة قد يموتون بسكتات قلبية أثناء السقوط، لكن تظل إصاباتهم محتفظة بحيويتها، أما الحالة دي لأ. كان في فاصل زمني مؤكد بين الوفاة والسقوط، لاتخطئه أبدا عين طبيب شرعي، ودي في حد ذاتها مشكلة كبيرة جدًا، مشكلة لأن الجثة دي لازم تتشرح رغم إنها جثة مصابة بالإيدز، ورغم إن معندناش التجهيزات الكافية للتعامل مع حالات الإيدز، وبالتالي أنا أصبحت أمام اختيارين، يا أكتب الكلمتين دول وأقول للنيابة تطلب من المباحث تعمل التحريات، وغالبا النيابة هتبعتهالي المشرحة. يا إما نجيب من الآخر وتطلب إحنا التشريح، وقد كان وطلبنا نقل الجثمان إلى مشرحة زينهم وتشريح الجثمان لبيان حقيقة الوفاة.

رجعنا المشرحة وطول الطريق بنتناقش أنا وشعبولا عن الإيدز؛ مناقشة علمية لاتخلوا من بلاهة شعبان المصر إن أعراض الايدز اللي أنا قلتهاله كلها موجودة عند الشيخ سعيد، ولازم تطلع قرار بحجزه في أي مصحة حجز انفرادي.

ساعة تقريبا من إرسال الإشارة للنيابة وفعلا بعت الجثمان وانقلب الوضع رأسا على عقب، مش عارف ليه لو شفت ميت في أي مكان بيكون عادي وطبيعي؛ لحد ما ييجي المشرحة. تقريبا وجود الجثث جنبه بيقوي قلبه ولا إيه؟ مش عارف فبيبدأ يأكدلي إن العجائب لن تتوقف (وأن الموتى يتحدثون أيضًا) لبست لبس مختلف تماما، جوانتي جلد وحاولت آخد كل الإحتياطات اللازمة المتعارف عليها عالميا وفرشت الأرض وترابيزة التشريح مشمع، جهزت أدوات تعقيم ما بعد التشريح، وبدأت أشتغل بنفسي بدون مساعدة شعبان اللي كان واقف بس بيناولني أدوات، كمان الأدوات اللي بتستخدم مع حالة إيدز لازم يتم التخلص منها تمامًا بعدها.

واضح من التشريح إن مفيش إصابة قاتلة في حد ذاتها، وواضح أكتر إن الحالة دي ماتت بنوع من أنواع السموم دا مؤكد من واقع الخبرة بالنسبالي كطبيب شرعي، ولكن للأسف شرائط كشف المخدرات والسموم مش لاقية أي شيء في البول غير أدوية الإكتئاب. كتبت مسودة تقرير باللي عندي، وأنا واقف قدام الجثة وأنا عارف إن لو أجهزة المعمل ملقطتش سموم الأمر هيثير بلبلة كبيرة سواء في النيابة، أو في المحكمة لإن في مناقشات مستمرة ليا في الاتنين؛ لإن من الطبيعي إن الطبيب الشرعي بيحسم القضية، وبيقول سبب الوفاة بكل وضوح، ومحصلش قبل كدة إن الطبيب الشرعي هو اللي يضيف للقضية ألغاز، مش يحل الألغاز بتاعتها.

طلعت مكتبي بعد انتهاء التشريح، وأخدت شور وفكرت في الحالة كتير.

بعد بساعة شعبان طالع يخبط على الباب وبيضحك، بقوله:

- في إيه يا مجنون؟

= قالي مريض الإيدز عاوزك قاعد ينادي ويقول يا دكتور.

فكرته بيهرج قالي: والله بينادي عليك، ومن مميزات شعبان فعلا إنه مستحيل يحلف كذب.

نزلت مع شعبان تحت وإحنا بنضحك في الطريق مفيش أي صوت إطلاقًا، المشرحة هادية النهارده جدًا على غير العادة، لكن شعبان بيقسم إن هو والشيخ سعيد سمعوا الجثة بتنادي وتقول: يا دكتور، وراحوا وقفوا قدام التلاجة وسمعوا الجثة بتقول: يا دكتور.

أنا كنت لافف الجثة في مشمع قبل الاستعداد للغسل على ما ييجي أهلها ياخدوها، فتحت باب التلاجة ودخلت بصيت على الجثة، لكن عين الولد اللي كانت مغمضة في المستشفى، وكانت مغمضة على ترابيزة التشريح أصبحت مفتوحة تماما!! مفتوحة ومبرقة بشكل غير طبيعي؛ بالرغم إن عدى على الوفاة وقت انتهت فيه مراحل التيبس الرمي اللي ممكن تفتح العين. انتهى الوقت دا من زمان، لكن العين كانت مفتوحة مش بشكل عادي، لا دي كانت مبرقة ومبرقة بشكل يثير جواك الرعب. دخلت جوا التلاجة الكبيرة قربت من الجثة. عارف لما يجيلك إحساس إن حد بيبصلك بكل قوة، ومثبت

عينه عليك وعاوز يلفت نظرك لشيء، بس إنت مش عارف هو عاوز يقول إيه بالظبط! العين مركزة فيا بكل قوة وفجأة كأن دبت فيها حياة غريبة، حياة دبت فيها مرة واحدة؛ رغم إن قبل التشريح عادة بفتح العين بإيدي، وأبص عليها خاصة في الحالات الجاية من المستشفيات، ودا لسببين الأول: إن ممكن يكون فيها أي إصابة، والتاني: إن ممكن تكون القرنية مسروقة وغير موجودة ودا بيحصل كتير في المستشفيات فلازم أثبت حاجة زي كدة. لما شفت العين وقتها سواء في المستشفى، أو على ترابيزة التشريح كانت عين ميت طبيعية بقاله عدد من الساعات تجاوز (١٢ ساعة) ومتأكد إني بعد التشريح قفلت العين بإيدي، لكن المرادي العين مش مفتوحة لأ دي مبرقة وكأن فيها لمحة حياة غامضة وغريبة.

من شغلي عارف إن الجثث أحيانا بتديك إشارات، وأحيانا الإشارات دي متكونش إلهام، بس ممكن تكون حركة معينة أو أصوات معينة، تماما زي جثة البنت اللي كان عندها تمن سنين، وجاية بتسمم غذائي عشان يتاخد ليها عينات، وعمري ما فكرت لحظة إني أكشف على عذريتها بسبب سنها، وملابسات وفاتها، لكن حركة رجليها غير الطبيعية، والغير مفهومة أجبرتني أكشف عليها، وكانت الصدمة اللي كشفت الجريمة الكاملة. المهم بصيت لعنيه تاني من بعيد وخرجت، قلت: لشعبان والشيخ سعيد إن مؤكد إن حد بينادي من برا، وسمعتوه على إنه صوت جاي من هنا فأقسموا إنهم وقفوا قدام التلاجة وسمعوا الصوت دا بودنهم.

كانت الساعة بقت تلاتة الفجر تقريبا. سيبتهم ومشيت لوحدي بين تلاجات الجثث رايح المكتب لكن المرادي أنا اللي سمعت بودني كلمة "دكتور" رغم إنها جاية من مكان بعيد سحيق خرمت ودني، التفت بسرعة لقيت شعبان والشيخ سعيد بيقولولي سمعت؟!! رجعت تاني رجعت لأني سمعت فعلا ورجعت المرادي فتحت التلاجة بتصميم أكتر، المرادي أجزم بإن العين كانت مبرقة بشكل أكبر كتير من المرة اللي كانت من دقيقة بس، مبرقة لدرجة إن مفيش جفون أساسًا والعين بارزة تماما في حالة جحوظ غير طبيعية لكن أنا مش فاهم هو عاوز يقول إيه؟ خمس دقايق واقف قدامه وهو معايا مركز جدًا، وباصص في عينيه. إحساس إن ميت بيبصلك بكل قوة، ومركز معاك تماما مع لمحة حياة غريبة في عنيه حلت محل برود وعتمة العيون الميتة. إحساس عجيب لدرجة إني لحد النهارده معرفش فعليا أنا كنت واقف جوه عشان بفكر، ولا كنت واقف منبهر برهبة موقف بين حي، وميت مركزين تماما في عيون بعض، وواحد فيهم مش بيرمش

أبدا، لكنه عاوز يقول حاجة مش قادر ينطقها. إحساس إن عنيه خلاص هتتكلم وتقول، كان إحساس غريب أول مرة أحسه. عمري ما ركزت جوه عين ميت بالشكل ده عمري ما قريت شيفرة الموت جوه العيون. بردت جدًا من التلاجة خرجت جبت كرسي وقعدت في أوضة شعبان أشرب قهوة وأفكر وفجأة انتفضت!!

شعبان روح هاتلي سرنجة من أي صيدلية خمسة سنتي، شعبان راح جاب السرنجة وجه. لبست جونتي جلد ودخلت، العين مبرقة بشكل غير طبيعي لكن راحت منها لمحة الحياة وتحس إن في جواها حالة رضا، مش وهم ولا تخيل، العين فعليًا المرة دي راحت منها الحياة، ولمحة القوة اللي كانت فيها، وبقى جواها حالة رضا وكأن شيفرة الموت اتحلت خلاص. هما بيحسوا للدرجة دي؟ دخلت الابرة جوا العين بتكنيك معين وأخدت عينة من سائل العين وقفلت العين بإيدي، لكن العين كان جواها رضا غير طبيعي، احتفظت بالعينة في تلاجة مكتبي، وبعت عينات الجثة من دم، ومحتويات معدة وكبد وكلى ومثانة للمعمل. ولسبب غريب احتفظت بعينة السائل الزجاجي للعين. بعد ما طلعت العينات فوق كام يوم النتيجة جت. الأجهزة مش لاقطة أي سموم، أجهزة كشف السموم عامة لازم تكون محددلها المرجع اللي على أساسه بتحددلك نوع السموم، وتقولك دا السم الفلاني، ولو المرجع دا مش موجود البيانات بتاعته جوه الجهاز، فالجهاز مستحيل يكتشف نوع السم، تماما زي المخدرات زي مؤخرًا ما احتجنا مراجع للفودو والاستروكس وكل البلاوي اللي ملت البلد، دلوقتي أصبحت في معضلة رهيبة. الفحص الاكلينيكي والتشريحي بيقول: إن الإصابات دي كلها غير حيوية وإن الوفاة دي ناتجة عن نوع سم غير معروف؛ بينما الأجهزة بتقول: مفيش سم (تخلوا العينات من السموم المعروفة). أول ما جت عينات الاجهزة بالسلبية ارسلت عينة سائل العين، وقد كان، وجود اثار مركزة من الأتروبين، والهيوسيامين، وقلويات سامة مركزة في السائل الزجاجي في العين، وببحث سريع التركيبة دي متواجدة في نبات اسمه "بيلادونا" أو بيسموه "اتروبا بيلادونا" ودا نبات سام كان بيستخدم زمان في القتلق وأشهر من كانت بتستخدمه في العصر الروماني هي زوجة الامبراطور "أغسطس" وأحيانا كانوا بيحطوه على السهام للقتل السريع، ومن أهم اعراضه الهلوسة والهذيان والأرق.

كتبت تقريري وبدأت التحقيقات واشتغلت المباحث الجنائية.

الولد كان شغال فعلًا في مجال طبي في أفريقيا، وعلم بوفاة والده رجع واكتشف هنا في مصر إصابته بالإيدز عن طريق انتقال من شكة إبرة أثناء عمله، وليس عن طريق الجنس، والده كان رجل أعمال ثري للغاية، وكان ليه أخت واحدة من الأب، وأخته دي للأسف طبيبة نفسية طمعت في الثروة ليها كلها لوحدها، وبحكم عملها كان عندها المعلومة دي، بدأت تحطله في الاكل على مدار أربع شهور نبات البيلادونا بجرعات قليلة جدًا، فالولد كان بيهلوس ويهذي باستمرار وهي اللي زرعت جواه موضوع الجن دا اللي كان بيهذي بيه في كل مكان، الولد فعلا حاول الانتحار قبل كدة بقطع شرايين إيديه والجيران لحقوه في آخر لحظة، بعد آخر أكلة الولد مات بعد ما كان تقريبا بقى هيكل عظمي فشالته ورمته من فوق العمارة ودخلت شقتها وقفلت الباب.

أكتر تركيز للبيلادونا بيكون في السائل الزجاجي للعين.

اوعى تصدق لحظة إن الموت نهاية، وإن الموت سكون، كل ميت بيموت وهو جواه سر مبيرتاحش غير لما بيكشفه، و(هادي) وهو اسمه بالمناسبة كشف السر، كشفه تمامًا، واضح إن بمجرد موتهم بيطلعوا على الأسرار كل الأسرار، واضح إن الحياة هناك مكشوفة وعنوانها الحقيقة، وبس مفيش هناك تلاعب، ولا تزييف ولا كذب ولا غش ولا خداع فيه وضوح تام لا مراء فيه، حتى الحقيقة في عالمنا نسبية وليها أكتر من وجه، لكن واضح إنها هناك ليها وجه واحد بس، الحقيقة المطلقة لما يموت ليكم حد بصوا أوي في عنيه، ولما تموتوا ركزوا بعنيكم مع أكتر حد بتحبوه، قولوا أسراركم حتى وانتو موتى، متكتموش سر جواكم، انقلولنا الحقيقة من هناك، وأوعوا تتخيلوا إن الموت نهاية.

الموتى يشيرون ويتحركون و... ويتحدثون أيضًا!

الحكاية الرابعة والعشرون

ترحلين، وأنا كما أنا، بحياتي المرتبة بفوضوية، وقميصي المتمرد الذي لم يتعود يومًا على ربطة عنق، مفتوحًا دائمًا بزرٍ أو زرين، وصوتي المميز دفئًا وحزنًا، يوهمك أنه يقرأ شعرًا، حتى عندما يقول أشياء عادية. فيبدو وكأنه شاعر أضاع طريقه وأنه يوجد خطأ حيث هو.

في كل مدينة قابلتها قبلك، كنت على يقين أنني لم أصل بعد إلى وجهتي النهائية وأنني لا زلت على أهبة سفر. حتى عندما كنت أجلس على محطات بعينها أشعر وكأني جالس على حقائبي. لم أكن يومًا قبلك مرتاحًا حيث كنت، وكأن المدن التي كنت أسكنها محطات أنتظر فيها قطارًا لا أدري متى يأتي.

يا ميناء العشق الطاغي، والحنان الطاغي، والعينان التي لم يدقق فيهما رجل قبلي قط وإلا سقط صريع عشق.

امرأة كمدينة فيها شيء من غزة، من عمان، ومن بيروت، وموسكو، ومن الجزائر، وأثينا، مضافا إليهم في لمسة ساحرة روعة باريس، ورجل كمستكشف. فيه شيء من ميجلان، من بوشكين، من السيّاب. من الحلاج، من نزار، من غسان كنفاني، ومن لوركا وتيودوراكيس.

باعدت بيننا البلاد والأعمار والأقدار، ووحده الحلم الساكن فينا رغما عنا ظلّ يجمعنا. ولذلك سيأتي حتفي يوما ولم تزل لكِ في القلب مكانتك الأولى. حيث بدأتِ ذات يوم، ذات جنون.

***

الزمان: يونيو ٢٠١٦.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: التاسعة ليلًا.

نايم فالبيت وجالي الإتصال التالي من شعبان

- مساء الفل، يامعالي الريس، دكتور هشام قالي: إن إنت إللي معايا النهارده.

- آه ياشعبان، لو في حاجه كلمني.

- أمال أنا متصل بيك نزاهه يعني ياريس، أنا وقتي ثمين.

- طب قول يا أبو وقت ثمين، عندك إيه؟

- أنا عندي جثة يا رياسه، محدش ينفع يشتغلها غيرك.

- اشمعنى بقا؟

- علشان من الجثث، إللي بتقول، بخخ وعووو وكدهون.

- ليه، إيه اللي حصل؟

- من ساعة ما الجثة جات، وهي عاملة قلق في المشرحة، والجثث بدأت، تضايق من الدوشه، وخايف يعملوا علينا ثوره، ويحلفوا ماهم بايتين في التلاجات، وانت يارياسه اللي بتعرف تتعامل مع الأنواع دي كويس.

- طيب، أنا نص ساعة وجاي، جهزها على ماجي، وبكرر عليك ياشعبان، وبأكد لأخر مره، متقعدش برا المشرحة، ياشعبان، مكانك في أوضتك، مش بره المشرحة، دي مشرحة مش قهوة، اقعد في أوضتك، أنت والشيخ سعيد.

- تعليماتك يا رياسة.

قومت لبست هدومي ونزلت داخل الشارع بتاع المشرحة شايف شعبولا من بعيد قاعد برا هو والشيخ سعيد ولا كإني قولت شيء.

دخلت بالعربية بعنف ركنت ونزلت رزعت الباب بتاع العربية ولازال أزعق لقيت شعبان في وشي وقالي: والله ما انت مزعق إدخل شوف الدوشه إللي جوه الأول، وبعدين إبقى زعق براحتك. بصيتله بقرف ودخلت وأنا داخل في صوت خبط في التلاجة الكبيرة، ودا غالبا بيحصل عادة، لكن مش هي دي الأزمة اللي تخليه يطلع يقعد برا يعني.

مريت من جنبها علشان أطلع المكتب أغير هدومي، وعند آخر الكوريدور سمعت صوت حد بيصفر صفارة قوية جدًا وطالعه من التلاجة، رجعت تاني، فضلت واقف عند التلاجة مفيش أي جديد وأول ما أبعد يطلع صفارة من التلاجة تاني.

أحيانا الجثث بتحب تلعب، زي التصريح الشهير للشيخ سعيد في أشهر جريدة مصرية حاليا، واللي عمل ضجة كبيرة جدًا وقتها لما قال: إنه لما بيكون رايق الجثث بتنادي عليه وهو بيروح يزعقلهم ويقولهم متشتغلونيش والتصريح دا حقيقي بالمناسبة.

طلعت المكتب شعبان طلع ورايا ومعاه إشارة التشريح قريتها بسرعة وكانت الإشارة مضمونها كالتالي:

السيد/ مدير عام مشرحة زينهم.

«نفيد سيادتكم، بوصول جثمان المتوفى إلى رحمة مولاه(...) في القضية رقم(...) وقد أفادت التحقيقات الأولية أن المذكور يعاني حاله نفسيه، وقد سبق أن قام أهله بإدخاله مستشفى للأمراض النفسية، لكنه خرج منها بعد فترة، وكان يتعاطى العديد من المواد المخدرة، وقد لقي حتفه جراء جرعة زائدة. رجاء من سيادتكم، إجراء الصفه التشريحية لجثمان المتوفى لبيان سبب، وكيفية، تاريخ حدوث الوفاة، وعما إذا كانت ناجمة عن جرعة زائدة من المخدرات من عدمه، وموافاتنا بالتقرير اللازم».

قولت لشعبان جهز الحاله على الترابيزة تحت لحد ما أنزل. لبست لبس التشريح ونزلت. الجثة على ترابيزه التشريح وشعبان واقف يغني أغاني أطفال ذي نامي نامي نه هوووه. مفهمتش بدأت (الريكوردينج)

«الجثة لذكر في أوائل العقد الرابع من العمر، طويل القامه، متوسط البنية، يرتدي بنطال جينز أزرق اللون، وتيشرت أحمراللون، وسليب داخلي أحمر اللون، والملابس جميعها خالية من التمزقات والقطوع والتلوثات المشتبهة. والجثة في حالة التيبس الرمي

المتداخل مع عوامل الحفظ بالثلاجة، والرسوب الدموي باللون الباهت بخلفية الجثة عدا مواضع الإتكاء، والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريا بعد. وقد تبينًا أن الجثة خالية من أي آثار إصابية حيوية ظاهرة». وقفت الريكوردينج.

وبدأ شعبان يشيل الملابس، شوفت تحتها لوحة فنية، الجسد كله تقريبا مغطي بوشوم مختلفة باللونين الأخضر والأحمر، تملأ عموم الجسم أشكال غريبة وعجيبة، صور لثعابين، وصور لطيور جارحه وكتابات بالعربية، والإنجليزية، وأشكال غير مفهومة، أو واضحة. كل دا مش مهم، ماعدا وشم معين أو بمعنى أدق طلسم معين مكتوب أعلى الصدر بلغة غير مفهومة أشبه بالفارسية، لكن لما عرضتها على حد متخصص قال: إنها شبيهة فعلا بالفارسية، لكن مش فارسية. مكتوبة على هيئة (٣سطور) فوق بعض. الغريب فيها إنك بمجرد ماتبصلها عنيك تزغلل وتحس بصداع رهيب وطاقة سلبية غير طبيعية، وخنقة، ولو دققت أكتر تحس بدوار وكإنك مش قادر تقف، حتى صور الكاميرا بتكون مزغله زي ماهتشوفها في الصور ودا شيء غريب جدًا. سيبت كل الوشوم الباقيه وركزت مع الوشم دا لكن للأسف لا عارف أركز فيه، ولا عارف أقراه أخدتله كذا صوره وحسيت إنه بارز شوية، وبمجرد ما لمسته بالجوانتي إتكهربت، بالظبط نفس إحساس الكهربا اللي بيخلي جسمك يتنفض من مكانه، ونور المشرحة كله اهتز بشكل غير طبيعي، يقل ويزيد أكتر من مرة لحد ماثبت. وشعبان واقف يضحك وباصص للراجل وبيقوله: الله ينور عليك إنت منور لوحدك مش محتاجين نور والله.

فضلت أضحك وأهزر مع شعبان فترة بعدها كنت أنا مُصرّ إن الموضوع صدفة، وإن الاحساس إللي أنا حسيته دا بسبب تغير المجال الكهربائي فالمكان بقوه. وقاعد أوهم نفسي وأوهم شعبان بكدا وقولت أجرب تاني جربت تاني وحصل نفس اللي حصل فالمرة الأولى، ويمكن أعنف كمان من المرة الأولى، أنا إتأكدت إن الموضوع مش مجرد وشم وإنه طلسم لشيء غريب جدًا، موجود أعلى الصدر. بدأت التشريح بالشكل المعتاد. الأعضاء الداخليه كلها سليمة، مفيش فيها أي مشاكل. المعدة تحتوي على سائل أصفر اللون أعتقد أنت المشروب. بفحصه تبين أنه مشروب كحولي. تم أخذ عينه بول من المثانة. وبفحصها وإجراء تحليل سريع للمخدرات تبين إحتوائها على أكثر من أربع أنواع من المخدرات، منها الحشيش، والترامادول، والهروين، والأفيون، وأنواع أخرى غير معروفة مع كمية كبيرة من أدوية المسكنات، وبجرعات عالية جدًا. قلعت الجوانتي وروحت

فجنب أكتب فورق كل الملاحظات اللي أنا شوفتها فورق القضية. فوجئت بشعبان بيصرخ جامد جدًا وبيقول آااااه. بصتله بسرعة وروحتله قولتله: في إيه ياشعبان إيه اللي حصل؟ قالي: أنا حسيت إني إتكهربت وأنا واقف بعيد عن الجثة. قربت فعلا من الجثة واضح إنها عمله حواليها مجال كهربائي، تقرب إيدك من شاشة التلفزيون تحس بحاجة ذي كدا، فمكانش غريب جدًا. شعبان بدأ يخيّط الجثة بحرص وبعدين بعد ما انتهي من تخيط الجثة، وأكتر من مره يحس بكهربه خفيفة. حطينا الجثة فالتلاجة الكبيرة وروحنا أوضه شعبان نضحك ونهزر. واضح تماما إن سبب الوفاة هبوط عام وحاد بالدورة الدموية، وتوقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل ومن ثمّ حدوث الوفاة.

بمجرد دخول الجثمان للثلاجة بدأ وجود الخبط بالغرفة زي ما كان، ولكن بإستمرار الوقت الخبط كان بيزيد بشكل ملحوظ، لحد ما زاد بشكل مبالغ فيه وقررت أروح أبص فالتلاجة فتحت باب التلاجة فوجئت بدم موجود في كل مكان، منتشر على الحيطان، وعلى الاستلستين بتاع التلاجات، وعلى الأرض وموجود في كل مكان دم. خليت الشيخ سعيد نضف الدم الموجود في التلاجة كنت لسه حاسس بالصداع مكاة تركيزي في الطلسم اللي شوفته دا.

ركبت عربيتي ومشيت طول الطريق عندي زغلله لحد ماوصلت البيت، طلعت البيت نمت نص ساعة تقريبا صحيت مضايق ومختنق جدًا وفجأة أي مكان أبص فيه ألاقي الطلسم موجود قدامي، موجود علي الجدران، على التلفزيون على الانتريه، علي السرير، على التسريحة، أي مكان أبص فيه ألاقي الطلسم موجود، أي مكان أو أي إتجاه ألاقي الطلسم موجود قدام عيني. وفي نفس الوقت عيني مزغلله جدًا ومش قادر أركز في الكلام المكتوب بأي شكل واضح. ولإني مريت بحالات شبيهه قبل كدا. كنت عارف بالضبط أنا هعمل إيه. دخلت الحمام اتوضيت بصعوبة والزغلله والصداع مخلي دماغي هينفجر. فرشت سجادة الصلاة وبدأت أصلي. أول ماقولت الله أكبر لقيت الطلسم موجود ومكتوب قدامي على سجادة الصلاة. وبقا بشكل أوضح قدرت أشوف خطوطه لغة غير مفهومة إطلاقا، وإتأكدت إنها مش لغه فارسية؛ لإني كنت شوفت حاجات مكتوبة قبل كدا باللغة الفارسية، وإتأكدت إن اللغة المكتوب بيها مش لغه فارسية. لكنها لغه غير مفهومه. الطلسم موجود الطلسم موجود قدامي في سجادة الصلاة. وعملي صداع غير طبيعي.

بدأت الصلاة بدأت أقرأ الفاتحة، وبعدها {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، ودي كانت طقوس معتادة بالنسبالي لما بتعرض لأي حاجة بالشكل دا. مش قادر أركز في أي كلمة أنا بقولها الصداع رهيب بيفجر دماغي. حاولت أتماسك كملت صلاة وعند السجود وبمجرد ما راسي لمست المكان اللي كان موجود فيه الطلسم؛ حسيت نفس الإحساس لما لمست الطلسم في المشرحة. جسمي بيتنفض كإنه متكهرب، والنور عمل نفس الشكل اللي كان موجود في المشرحة، بدأ يزيد ويضعف بقوة رهيبة، لكن كان لازم أكمل، كنت عارف إن مفيش حل تاني، وإني لو استسلمت وخرجت من الصلاة هتعب جدًا. كملت سجودي جسمي بيتنفض، بدأت أكلم ربنا وأدعي دعيت كتير وقولت جميع الأذكار اللي ممكن تفيد في الحالة دي. قولت: ربنا إن أنت الخالق، وإن أنا في حمايتك، إنت اللي هتحميني من أي شر، ومن أي أذى، احميني من شر جميع خلقك إنس وجن، احميني من إبليس، واحميني من الحسد، أنا في حمايتك ومفيش حد يقدر يحميني غيرك، وأنا لا حول ولا قوه إلا بك. فضلت أردد كذا مره الاذكار وآية الكرسي أكتر من مرة، لحد ماجسمي بدأ يهدأ، لكن كنت حاسس بتعب رهيب عضلات جسمي كلها بتوجعني. رفعت راسي من السجود لقيته مش موجود قدامي عرفت إن الحمدلله قدرت أتخلص منه.

رغم إن القصة هذه المرة قد تبدو عادية، ولكن بالنسبالي المرة دي خطيرة جدًا لأن أنا اللي كنت هتإذي مش أي حد تاني برغم جميع الأذكار، وبرغم جميع التحصينات اللي عملتها، ولكن محاولتي لقراءة الطلسم، ومحاولتي للمسه ممنعش إنه يحصلي كل اللي حصل، الخطر المرة دي كان كبير جدًا، كبير جدًا عليا أنا شخصيا يمكن أنا تغاضيت عن حاجات كتير في وصفها حصلتلي؛ علشان الناس متتأثرش كتير، ولكن أنا كنت حاسس بألم ووجع غير طبيعي؛ برغم إن أنا بعتقد إن أنا قوي بما فيه الكفاية إن أنا أتحمل حاجات كتير. لكن لو أي حد تاني كان اتعرض لجزء من اللي اتعرضتله مكانش هيقدر يتجاوز بسهولة.

اللي عاوز أقوله هنا اوعى تحاول تقرأ أي ورقة إنت مش عارف، أو شاكك فيها طلسم موجود، اوعى تحاول تدخل على أي صفحة من صفحات السحر وتحاول تقرأ أي حاجة مكتوبة، واوعى أي حد يحاول يعرض عليك كتاب زي شمس المعارف، مثلا أو غيره وتحاول تقرأ المكتوب فيه، الأذى بيكون عنيف جدًا، قراءتك للحاجات دي أخطر مليون

مرة من إن يتعملك سحر، أي سحر، أو أذى الأذكار بتحميك منه، لكن كونك مُصرّ إنك تقرأ حاجة من دول، أو تلمسها إنت اللي فتحت جواك بوابة، وإنت اللي اديت القدره والطاقه للكائنات الما-ورائية إن هي تإذيك! اوعى تحاول تقرأ أي حاجة من دول حتى لو كان الكلام في بدايته قرآن.

حتى لو لقيت أول الكلام المكتوب قرآن حتى لو لقيت السطور مكتوبه بالمقلوب وحد بيقولك حاول تقرأها، متحاولش إنك تقرأها اوعى الفضول يخدك لإن صدقني لو عملت أي حاجة من دول هتتعب جدًا، وممكن الأمر يتطور بشكل مش ممكن تتخيله، اوعى تخدها بهزار، أو تهريج لإن الفضول فالوقت دا بيكون فضول قاتل والأذى ممكن يستمر طول العمر، وفي طلاسم بجد ملهاش حل خاصة لو كان الطلسم دا مع حد ضعيف، أو حد مش قاري الأذكار، يمكن الأذكار دي مش شوية، ولكن الطلسم كان قوي بما فيه الكفايه الطلاسم دي بتبقي عبارة عن إستعانه بالجن كونك تحاول تقرأها، أو تلمسها بيعتبرها تدخل منك في شؤنه، وبيحاول يإذيك بأي شكل، فابعدوا الله يخليكوا عن أي شكل من الطلاسم دي، اللي بتبقى موجودة على السوشيال ميديا لإن لما تابعتها اكتشفت إن في فعلا منها طلاسم حقيقة!

تمت بحمد الله

د. محمد الشيخ

ملحق الصور



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..

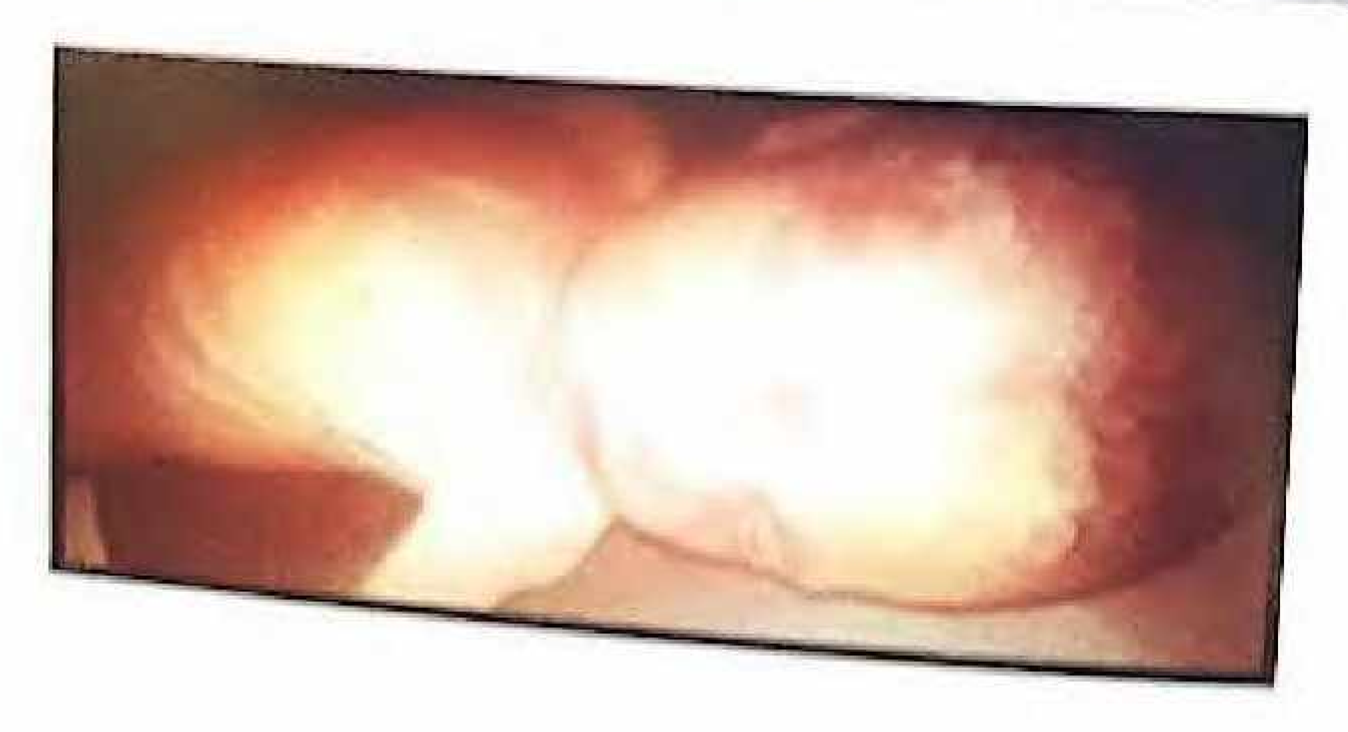
لذا وجب التنويه!



للجثث رأي آخر







للحديث رأي آخر





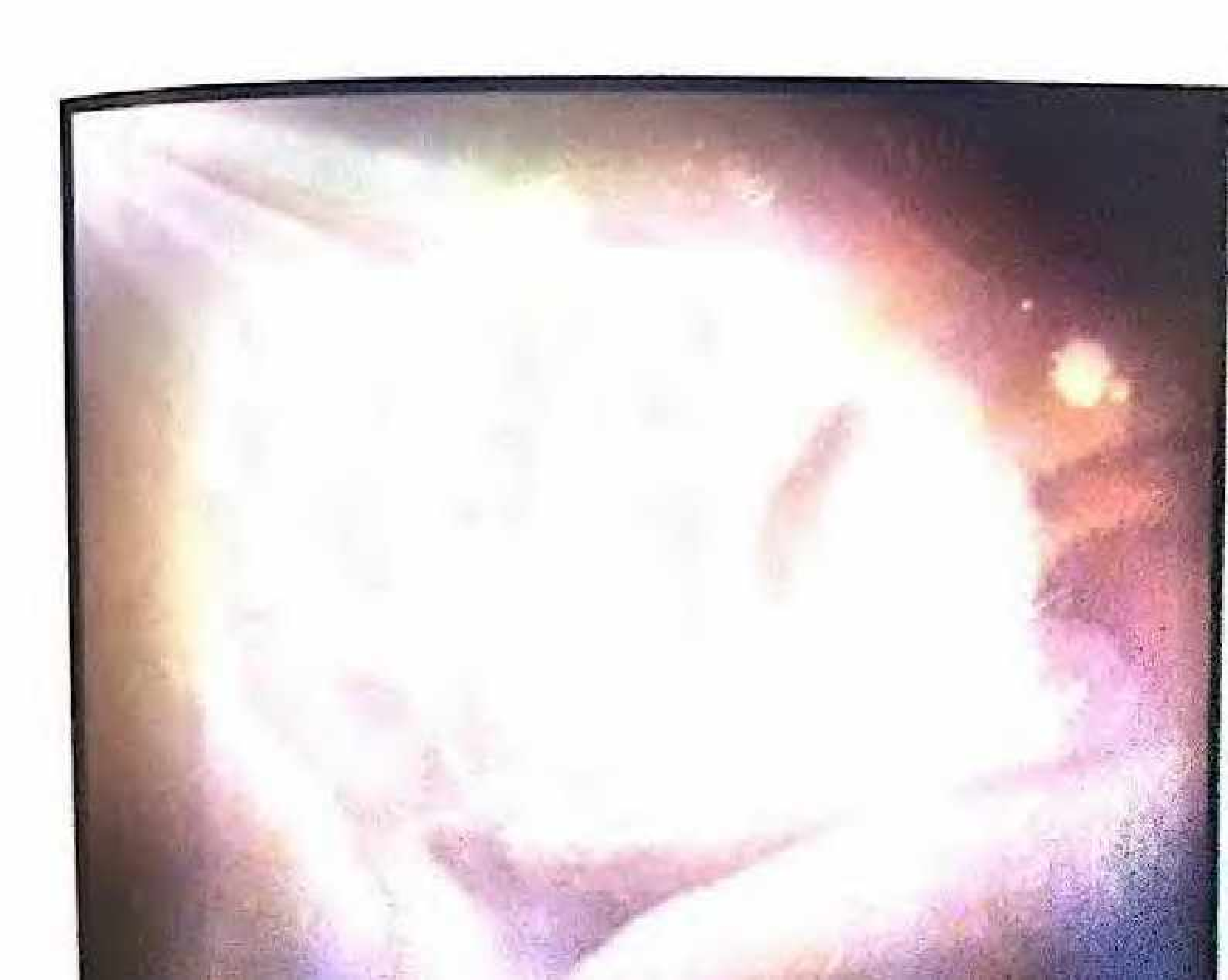






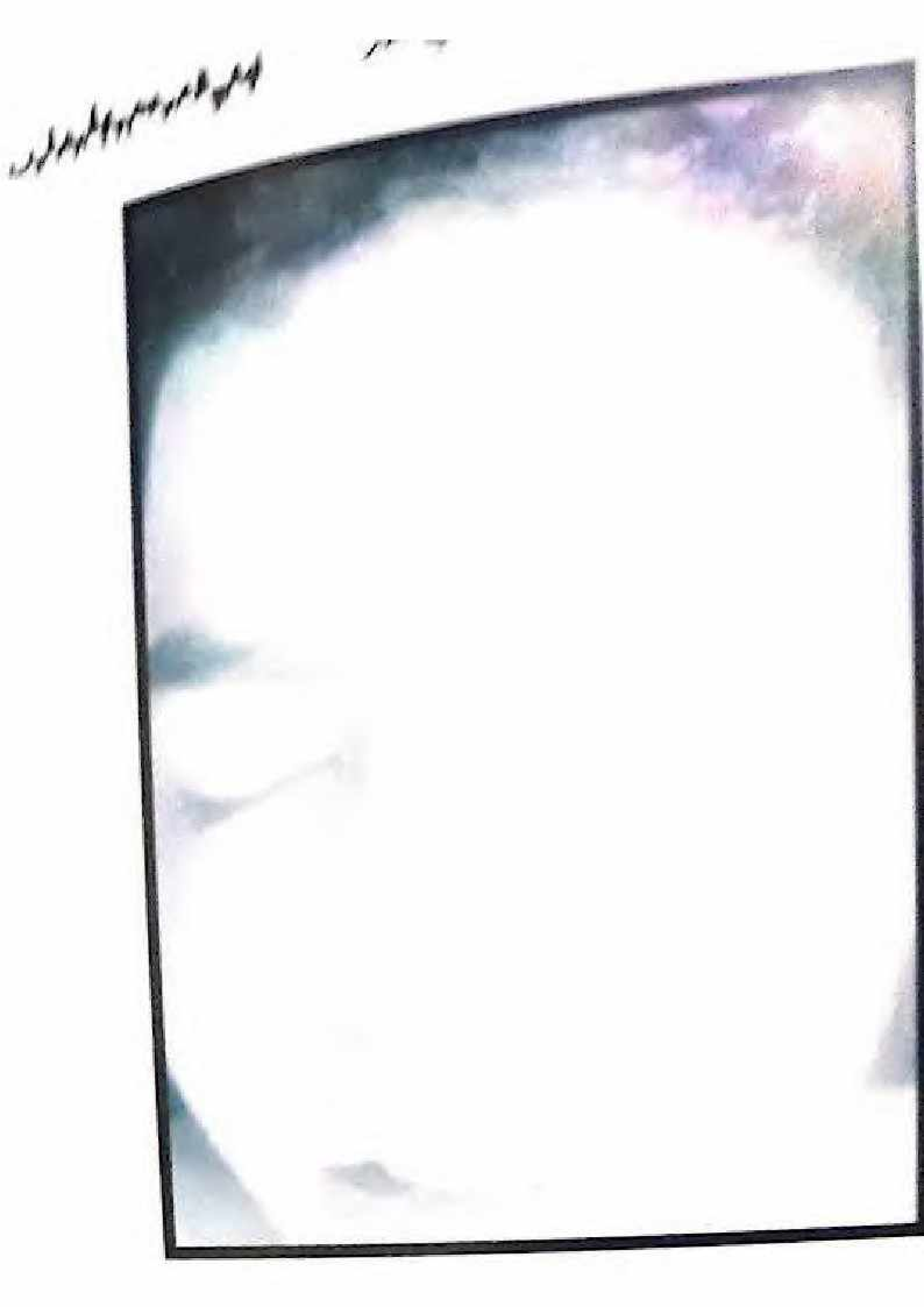


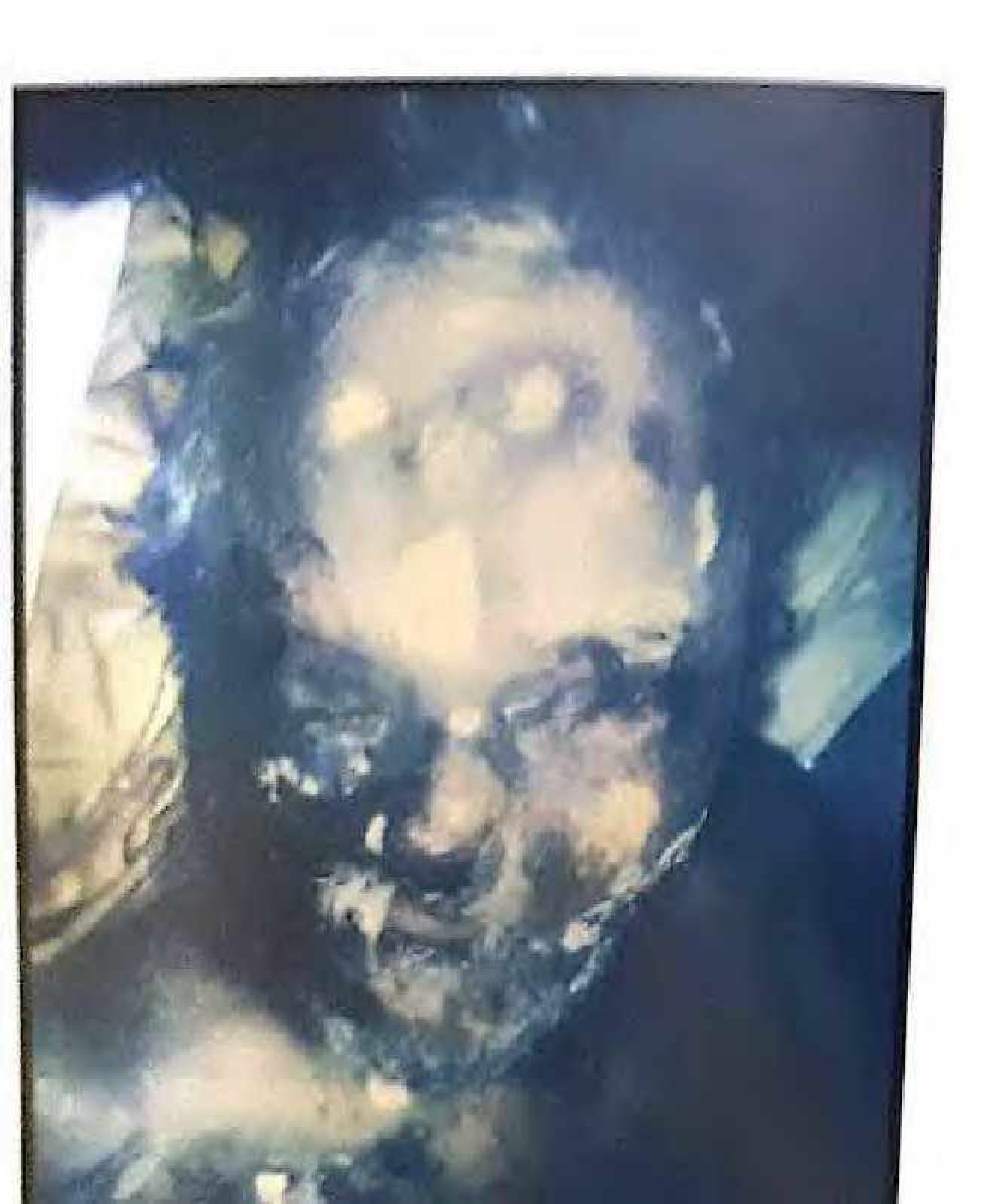


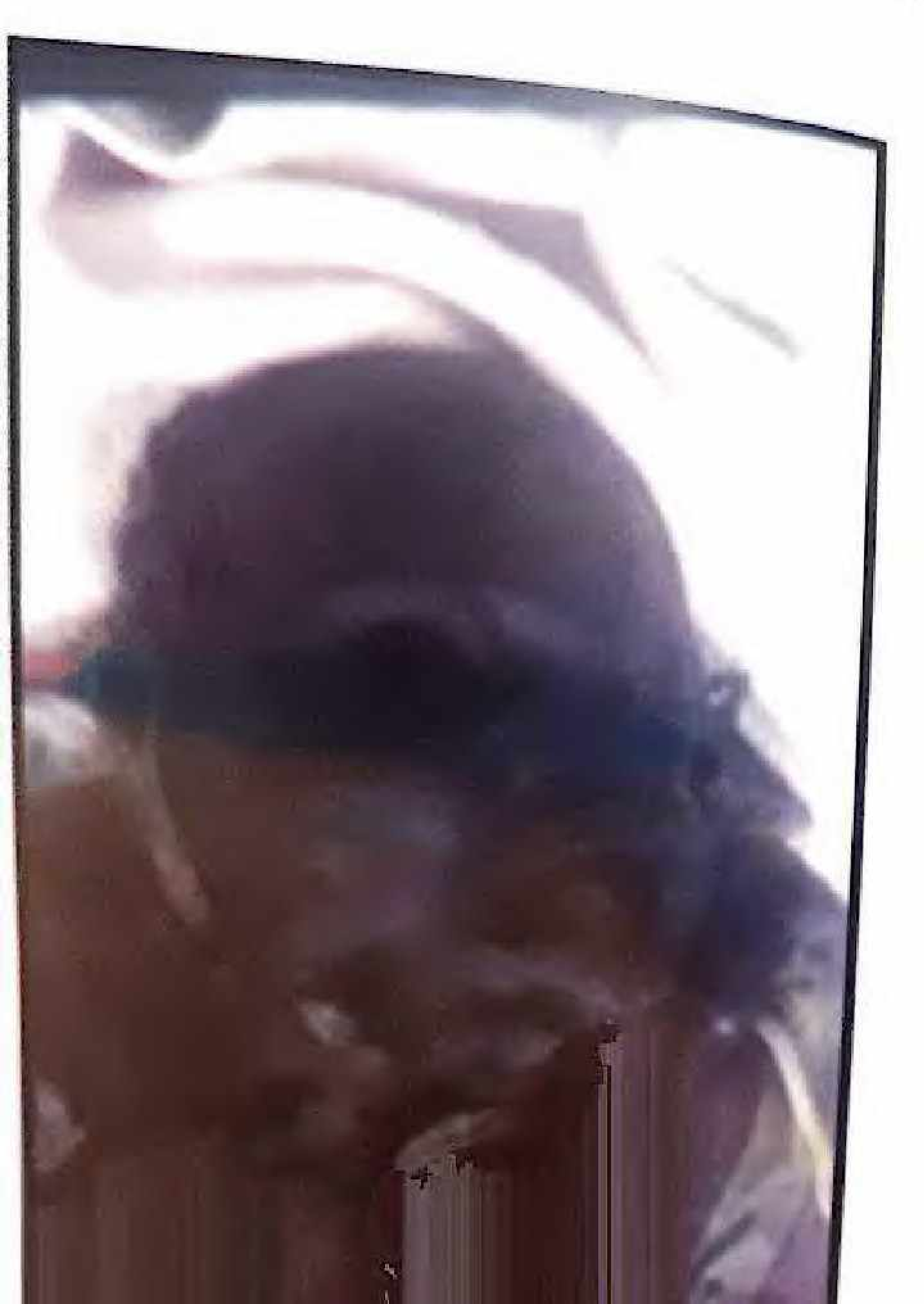


















للجغرافي الحر







